

جَفَيْتِ الدُّمُوعَ

يوسف السباعي

٢

www.mlazna.com

RAYANEEN



www.mlazna.com-RAYANEEN

فد الطريق الأبيض

تركت العرب وراعا دور دمشق ، وانطلقت براكيبها في طريق بيروت ،
وعبرت بضعة المقاهي المعلقة على يمين الطريق بيمائها المتساقطة من أعلى السفح ،
وبدا يجري النهر على اليسار وقد أحاطت به الأشجار وجرت مياهه ترتطم
بالحصى والصخور .

وأخذ الطريق يتصاعد بين السفوح البيض .. وبدأت الجبال على جانبيه كأنها
قد سكب عليها الحليب .. يضاء ناعمة بلا صخور ولا حصى ولا جروف ،
فقد لغها الثلج بوشاح منبسطة ممدود أخفى من وجه الأرض كل ما به من
ندوب .. ولم يعد يرى من تنوعاته سوى منحنيات ملساء مبسوطة كأنها
« الكريمة » تفرق سطح الحلوى .. أو الحمار الأبيض على وجه الحسناء .
وبدت الأشجار على سفح الجبل وقد كثل الثلج هاماتها .. كأنها كفلت
بالزهر الأبيض .

وأحس « سامي » وهو ينطلق في ذلك الفراغ الأبيض النقي .. خلفا وراعه
صور المدينة الشاحبة .. كأنها قد انفرجت عنه فضيان السجن .. وانحسرت عن
أكثافه هموم المشولية ، وانطلق يعلو بلا قيود ولا هموم .

وقدح زجاج النافذة بجواره فهبت منه نسمة باردة لعلحت وجهه .. وملأ بها
صدره ثم أطلقها في تهيدة طويلة .. أرخت أعصابه ، وفكت توتره .
والتفت إلى « هدى » فوجدتها تنظر إليه باسمة وقد بدت قريرة ناعمة
راضية .

وأطلق ضحكة قصيرة .. ومد يمينه فأحاطها بها وضمها إليه قائلا :

www.mlazna.com

^ RAYAHEEN ^

— أنعموا .

وحملت وهي تسند رأسها على كتفه :

— أجل .. أنعموا .. أنعموا جدا ، أحس بألى أجلس إليك .. ومتعنى

بجوارك .. تطلب عني من فراقك .

— ألا يخطر ببالك الفراق ؟

— الآن ؟

— أجل .

— يساورني من بعد فأغفله .. وأغمض عنه عيني .. وأصم أذني .. إلى أحس بأماننا طويلة ممدودة كذلك البساط الأبيض الذي تمتد أمامنا .. بلا أفق ولا حدود .. الفراق أبعد من أن أفكر فيه .. ما زال أماننا طريق طويل من التلوج . وما زال أماننا بيت ترتبه ، وطعام نظهوه ، ومدفأة نوقدها .. وجلسة لا ينتهي فيها الحديث إلا بالرقاد .. أشياء كثيرة ما زال علينا أن نفعلها سويا ، قبل أن يقترب منا شبح الفراق .

— لن يقترب منا أبدا .. إنه يمنح علينا من بعيد . دون أن يقدر على الاقتراب .. إنه وهم فراق .. لا فراق .

— أكره وهمه ، وأكره نباحه .. وأكره كل ما يهدد به .

وعبرت العربة ميسلون ، وكانت التلوج قد امتدت حتى وصلت إلى حافة الطريق .. ولاح بعض الصبية يتقاذفون كرات التلج ، ووقف حارس يلف وجهه بالوشاح المخطط .. ويهز الصبية أن كانوا عن اللعب .

واستمرت العربة في الانطلاق نحو الحدود حتى بلغت الجديدة ، ومرة أخرى عاود « سامي » الإحساس بالحرج وهو يصير يضع عربات تقف متعاقبة أمام حاجز الحدود بجوار مبنى الجوازات .. وأحس بأن ثمة إجراءات تستدعي نزوله وسيره وسط العربات ودخوله إلى مكتب الجوازات .

وأوقف العربة على جانب الطريق بعيدا عن العربات .. واتجه إلى المكتب وهو

يشد باقة المعطف حول عنقه ويدفع بيده في جيبيه ، وقد أحس بالريح الباردة تلمح وجهه ، وتتلج أطرافه .. وكانت التلوج قد تراكمت حول المبنى وغطت بضعة الأكواخ المحيطة به .. وامتدت حتى حافة الطريق .

وارتقى الدرجات القليلة ودخل الباب ليحتويه الدفء الذي أشاعته مدفأة الغاز التي توسلت الحجرة .. ووجد صفا من المسافرين يقفون أمام نافذة الموظف الذي انحنى فوق بقع أوراق وانهمك في فحصها .

وكانت المرة الأولى التي يسافر فيها « سامي » بدون سائق .. وقد تعود أن ينجبه السائق في كل مرة إجراءات المرور . كل ما كان يفعله « سامي » هو أن يجلس في العربة .. لينسى بالقراءة ، أو ليتمشى حولها ليحرك قدميه ويشاهد المسافرين .

ولكنه في هذه المرة عليه أن يقوم هو بنفسه بالإجراءات .. مع كل ما يحس به من حرج وخوف من أن يصادف أحد معارفه .. ومع جهله التام بما يجب أن يعمل .

وقبل أن يقترب من الموظف .. رفع الرجل رأسه .. وألقى نظرة على الصف الذي أمامه ، ثم عبره إلى « سامي » .. ولم يكذب يقع عليه بصره حتى تنف : — الأستاذ سامي .. أهلا وسهلا .

وانطلق لسان الرجل بكل ما يملك من آيات الإعجاب والتقدير .. ثم ففز من مقعده وأقبل عليه يضافحه في لغة وهو يكمل قوله :

— طالما تميت أن ألقاك من قبل .. تفضل .. تفضل .

وأحس « سامي » .. أن معرفة الرجل وإعجابه ، هو آخر شيء كان يمكن أن ينشأه .. وحاول جهده أن يبدئ الرجل .. غربت ظهره في رفق وأجاب : — هذه فرصة سعيدة لي .. ولكن لا أريد أن أشغلك عن عملك .

— أبدا .. أبدا .. لا بد أن تشرب القهوة .

— أشكرك جدا .. ليس هناك وقت لها .

— كيف لا أجد وقتا للجلوس معك ، ليتنظر كل شيء .
 — ولكن معى بعض الرفاق .. ولا أريد أن أعطلهم .
 — ليتفضلوا هنا .. سأذهب لأناديهم .
 وقبض « سامى » على ذراع الرجل .
 بنادى من ؟؟ أين هو ؟؟
 وأجابه وهو يحاول جهده أن يكون لطيفا في إجابته :
 — شكرا .. شكرا .. لا داعى أبدا لأن تعصب نفسك .
 — أنا فى خدمتك دائما .
 — كنت أريد أن أنهى إجراءات المرور .
 — ليس هناك أى إجراءات .. لا شيء سوى استارة بلرّة واحدة للفرد ..
 وخمس ليرات للعرية .
 — وأين أجدهما ؟
 — فى هذا الخانوت الصغير الذى أمام المكتب سأذهب أنا لشرائهما لك .
 وكانت العربة تقف أمام الخانوت الصغير .. ولم يستعد « سامى » أن يسلح
 الرجل « هدى » وهى جالسة فى العربة .. وأن يعرفها ويبدى لها من الإعجاب
 والتقدير مثل ما أبداه له .
 وكان المسافرون ما زالوا يقفون أمام مكتب الرجل فى انتظار إنهاء
 إجراءاتهم .. ووجد « سامى » أنهم غير ما يستعين به لإبقاء الرجل فى مكتبه ،
 فقال وهو ينظر إليهم :
 — لا .. لا .. لست أريد أن تعطل مصالح الناس من أجل .. إلى أستطيع
 شرائها .
 وكان يتوقع أن يهجم الناس من ضيقهم لتعطيل الرجل لهم .. مما يردعه عن
 الاستمرار فى سبيل الترحيب والإعجاب .
 ولكنه واجه ابتسامات ترتسم على وجوههم وسمع أحدهم يقول فى فرح :

— لسنا فى عجلة .. نحن جميعا فى خدمتك يا أستاذ .
 إذن فهم أيضا يعرفونه .
 ما شاء الله ؟؟ لم يبق غير أن يذهبوا كلهم معه لى يروا « هدى » ويعرفوا أن
 الأستاذ حارب بها إلى لبنان .
 وقبل أن يفكر فى خطة جديدة لمنع الرجل ، كان الرجل قد انطلق أمامه
 متجها إلى الخانوت .
 وغير « سامى » الطريق وراءه إلى الخانوت .. وأخرج من جيبه الليرات
 اللازمة لشراء الاستارات .. واندفع إلى المكان الضيق الذى رصت فوق رفوفه
 علب السجائر ولقاعات الشاي .. ووضعت على أرضه أكياس البقول ..
 وصفائح الزيت والزيتون ، واعتلطت رائحتها جميعا براحة الكيروسين
 المتساقط من المدفأة .
 ولم تطل وقفته مع الرجل فى الخانوت الدافئ .. وسرعان ما احتواه برد
 الطريق مرة أخرى .
 ووقف الرجل يودعه مصافحا .. و « سامى » يصحب عنه العربة ويحاول أن
 ينسى الوداع بتوديع الرجل إلى مكتبه .. ولكنه أصر على أن يقف حتى تسير
 العربة .
 ولم يكن معقولا أن يقضى « سامى » يومه فى جدال الرجل ، ومحاولة إقناعه
 بأن عمله أولى بوقته وأن الناس ينتظرونه .. ولم يجد بدا من أن يتركه يودعه
 بالطريقة التى تحلو له .. فاتجه إلى باب العربة واتخذ مجلسه أمام عجلة القيادة ..
 وأخذ يدير المحرك .
 وانحنى الرجل ملوّا يديه .. قلمح وجه « هدى »
 ومضت يضع ثوان .. لم يبد خلافا أنه ميزها .. وأحس « سامى »
 الارتياح .. ورفع يده ملوّا للرجل .
 وفجأة تبدلت ملامح الرجل وهتف :

— هدى نور الدين .. أهلاً وسهلاً .

واندفع عماراً لا أن يصل إلى الناحية الأخرى من العربة ، ولكن « سامي » كان أسرع منه بالانطلاق في الطريق .. ووقف الرجل فاغراغاه .. وهو يلوح بيده ويصيح :

— هدى نور الدين .

وانطلق « سامي » بالعربة .. وقد تجهم وجهه .. ونظرت « هدى » إليه متسائلة في دهشة :

— ما هذا ؟

وهز « سامي » رأسه في رأس قاتلا :

— محبول .

— وماذا يضاهلك منه ؟

— الفضيحة .. التي بدأ يثرها الآن .

— أقد عرفك !!

— طبعاً .. أتظنني قد أكرمني كل هذا الإكرام من أجل سواد عيني .

— وعرفني أنا أيضاً ؟

— هذا ما أعتقد أنه يؤكد لك الموجددين في نقطة الجديدة .

وهزت « هدى » رأسها وضحكت ضحكة قصيرة ساخرة :

— الفضيحة الأولى !!

ولم يجب « سامي » .. وهذا شارد الذهن .

وأحست « هدى » بضيق يملئها وعادت تتسائل :

— هل ضاهلك الرجل ؟

ونفخ « سامي » نفخة من أنفه وأجاب بقوله :

— يعني ؟

ولم تعرف « هدى » حقيقة ما يعنيه بقوله « يعني » وعادت تقول في شيء

من المראה :

— متأسفة .

وأحس « سامي » أنه قد ضايقها بتجهمه .. وكره من نفسه تلك الحساسية المفرطة للناس وأقوال الناس .

ولم يجد ما يجيب به عليها .. وعلى نفسه سوى قوله :

— لعنة الله عليهم أجمعين .. ليقولوا ما يريدون .

— على أية حال .. الحمد لله أن حدث الأمر .. في نقطة الجديدة .. وليس لي

قلب دمشق .

وعبرت العربة المسافة بين حدود سورية وحدود لبنان .. ومرت بنقطة

الحدود اللبنانية .. في سلام ، وما لبثت أن عادت تنطلق بين التلوج البيض ..

التي كست الأرض .. فلم تترك سفحاً ولا قمة إلا كفلتها بالبياض .

وعادت السكينة تحيم على نفس العاشقين الحارين .. وتبدد القلق والضيق

الذي أمسك بينهما بعد نقطة الحدود .

وبدت الكروم الجرداء المحلفة على جانب الطريق .. وكأنها حيال الباسمين

أو عيوب اللين .

وشرد ذهن العاشقين .. فسادهما الصمت حتى اقتربت العربة من شعرة ..

وبدت بيوتها .. وجوانبها .. المرتبة الأنيقة على الجبالين .

وهذا « سامي » من سرعة العربة قاتلا :

— خير لنا أن تكمل العربة بالبنزين من هنا .

— أنا أيضاً أريد أن أشتري بعض الخضروات والفاكهة والعلب المحفوظة التي

قد تحتاج إليها في البلدة .. حتى لا نموت جوعاً .

ووقفت العربة .. وملاً « سامي » الخزان بالبنزين .

ثم سأل « هدى » :

— ماذا تريد أن أشتري لك ؟

وابتسم هدى ، وأجابته :
 — هذا ليس عملك .. سأشتري أنا من حاتون هناك .. يعرفني صاحبه
 جيدا .. لأني تعودت أن أشتري منه كل ما أريد .
 — هل من العقل أن تشتري من هذا الذي يعرفك جيدا ؟
 — لا تخف .. إنه يعرفني وحدي .. ولا أظنه يمكن أن يميزك ، ثم إننا في
 لبنان .. وليس هنا من يعنيه أمرنا .
 — أنظرين هذا ؟
 وانطلق هدى ، مرة أخرى بالعربة .. وما لبثت هدى ، أن صاحت
 به :
 — هنا .. انتظري لحظة حتى أعود إليك .
 — غير معقول .
 والتفتت إليه هدى ، متسائلة في دهشة :
 — ما هو هذا .. غير المعقول ؟
 — أن تنزلي للشراء .. وأنت ما زلت متعبة .
 — أنا لست متعبة .. والمفروض أن أسو بأمر الطبيب .
 — ولكن ليس في هذا البرد .. ووسط هذا الثلج .
 — ليس أحب إلي من السير في الثلج .
 وهبطت هدى ، من العربة ببطء .. ولف هدى ، إلى ناحيتها بسرعة
 ماذا يده ليساعدها على النزول والسير .
 ووقفت هدى ، برهة مكانها .. وتساءل سامي في إشفاق .
 — كيف تمسين ؟
 — كالخضبان ..
 وانغمت هدى ، إلى الأرض وجذبت بأظافرها حافة ثلج كومتها في كفها
 ثم بسطت بها يدها قائلة في مرح :

— أحب أن أطبق يدي على الثلج .
 — تقذفين به الناس ؟
 — بل أتخسسه بشفتي .
 ورفعت قبضة الثلج ومست بها شفتيها .
 ومد سامي ، كفها فأطارت قبضة الثلج من يدها ، فصاحت به ضاحكة :
 — غرت من الثلج ؟
 — بل عفت عليه أن تصهره شفتاك .
 — مغازل كبير !
 — لقد تجاوزنا دور الغزل .
 — أنظرن هذا ؟
 — أتريدن الحق ؟
 — أجل .
 — لا أظنني سأجتازوه أبدا .. ما نظرت إلى وجهك إلا وأحسنت أن أحب
 أن أغازلك .. أنت خالما جميلة .
 واجتاز الاثنان باب الحانوت الزجاجي .. وأقبل صاحبه الأشيب البدين
 يرحب بهما في حرارة .. وصافح هدى ، باعتباره زوجها ، ولم تجد
 هدى ، ما يدعو للنفي أو تصحيح معلومات الرجل ، فقد تركت غلظته في
 نفسها إحساسا لذيذا ، ببداية حلم جميل .. وأعدت تتنقى من الرفض
 والتلاجة البيضاء العريضة .. ما تريد من أطعمة .. وبدأ هدى ، بشاركتها
 الاختيار .. وأخذ يرضع اللعب والأطعمة وقد ملأه المرح والحماس .. وأعدت
 هدى ، ترقبه وقد ذهب عنها كل مظهر من مظاهر التكلف .. وتوتر
 الأعصاب .. وأخذت تتصرف في راحة كأنها بين جدران بيتها .. وتلكها
 إحساس بأن الرجل لم يخطئ حين ظنه زوجها .
 ومدت يدها إلى كيس تقودها لتبلغ الحساب ، ونظر إليها سامي ، نظرة

رأدة .. أعادت النقود إلى كيسها وهمس بها .

— منذ متى تعودت السيدة أن تدفع الحساب في وجود الرجل ؟! ماذا تريد أن يظن بنا البائع ؟!

وضحكت « هدى » وهمت به :

— لن يظن بنا شيئا .. فالحساب دائما مع الزوجة .

— كان يجب عليّ إذن أن أعطيك النقود قبل أن ندخل المحانوت .

ومد يده بالنقود للرجل .. لم حمل الأطعمة بمعاونة الرجل .. وكانت

« هدى » قد استقرت فوق أحد المقاعد بعد أن أجهدها الوقفة .

وعاد « سامي » يمسك بذراعها حتى استقرت في العربة .

وبعد برهة .. كانت العربة تشق الطريق الصاعد إلى الجبل ، وقد انبسط

الثلوج على مدى البصر . وبدأ على اليسار شريط سكة الحديد يشق طريقه في

الجرف بين الثلوج ، وعلى السطح المجاور بدا لاعبو الاسكي يتزحلقون فوق

الثلج ، وهم يتراثبون في مرج .

وأحست « هدى » بأن الدنيا كلها ترح وتبسم .. وأن الحياة بيضاء بقة

صافية كهذا الثلج الذي لا تشوبه شائبة .

أجمل ما سمعته

بدأت العربة تقترب من صوفر .. ولاحت لسامي أشجارها الجرداء المكلفة

بالثلوج على جانبي الطريق .. وقبل أن يصل إلى فندقها العنيد ذى الجدران

الحجرية العالية الشيبة بالقصور الفرنسية في العصور الوسطى .. أخذت

« هدى » تلفت يمينا نحو الشاحنة باحة عن الطريق الفرعى الموصل إلى

البيت .. وقالت لسامي وهي تمد عنقها من نافذة السيارة :

— تمهل قليلا .. فقد شارفت على البيت .

وخلف « سامي » من سرعة العربة .. ومدت « هدى » سبابتها مشيرة إلى

مفرق طرق قاتلة :

— أظن هذا هو المفرق المؤدى إلى البيت .

وزاد سامي من تباطئه حتى كاد يتوقف ثم قال ضاحكا :

— تظنين ؟! إن المسألة لا تحتمل الظنون .. إذا لم تكوني واقفة ...

— ماذا تفعل ؟

— تنجى إلى الفندق وأمرنا لله .. فضيحة بفضيحة .

وأنت « هدى » قاتلة :

— ويبدو لا بيد كاتب الجوازات .

وكانت العربة قد وصلت إلى مفرق الطرق ، فتساءل سامي .

— ما رأيك ؟

— اتجه يمينا .. إنه أكيد الطريق إلى البيت .

وانحدر « سامي » بالعربة يمينا .. و« هدى » تقول :

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

— كنت أعرف البيت بمعام كثيرة ، أخفى الثلج معظمها . ولولا هذا السور الحديدى .. لضللت عنه بلا جدال .

وبدت الثلوج وقد تراكمت فى الطريق المنحدر حتى كادت تسده .. وأخذ « سامى » يتلمس طريقه بين الثلوج وه « هدى » ترشده فى المنحدرات حتى أشارت له فجأة وهى تصيح :

— هنا .. انصرف يمينا ثم قف .. هذا هو البيت .

ووقف « سامى » بالعربة .. وتلفس الصعداء .. ثم نظر إلى حيث تشير « هدى » وتساءل فى شيء من السخرية وهو يرى البيت غارقا فى أكوام الجليد :

— بيت أم لئلاجة !!

— انزل .. وكفى مزاحا .

— أتريدون أن نبيت فى هذا الكوم من الثلج ؟!

— سيكون دافئا من الدنايل .

— هل له داخل !!

— طبعاً .

— وكيف يمكن أن نصل إلى هذا الدنايل ؟

— نزع الثلج الشراكم على الباب .

ونزل « سامى » من العربة وهو يضحك قائلاً :

— هذه عملية تحتاج إلى أحد علماء الآثار .. أرجو أن تنسى منها قبل حلول

الصيف .

ووقف برهة يتلفت حوله .. وكان البيت يقع على حافة الجرف المشرف على الوادى الفسيح الذى يضم قرنايل وقالوعة وبقية القرى المجاورة .. ولم يكن البيت كبيراً .. ولكنه كان أنيقاً بسقفه المنحدر الذى كسته الثلوج حتى بدا كأنه كومة من الثلج .. وقد أحاطت به مزارع التفاح والكريز المصفوفة على طول السفح .

ووقف « سامى » يفكر فى طريقة يزعج بها الثلوج للتراكمة أمام الباب .. ثم فتح حقيبة العربة وأخرج « الكوريك » وبدأ يستعمل قاعدته فى إزالة الثلوج ، وهبطت « هدى » من العربة متجهة إلى الباب لمعاوته .. ونظر « سامى » إليها وهو يقذف بأكوام الثلج بعيداً عن الباب وصاح بها بحملاً :

— انتهى مكانك .. لك أن تعصى نفسك .

— لقد قلت لك إلى أحب اللعب فى الثلج .

— هذا ليس لعباً .. هذا جد .

— دعنى أساعدك ولا تكن عنيداً .

ووقف « سامى » وهو يحمل « الكوريك » فى يده وقد تناثر الثلج على ملابسه .

— يا حبيبتى كوفى عاقلة .. إنك خارجة من عملية لم يزل جرحك منها بعد .. وكان المفروض أن تكونى الآن راقدة فى فراشك .

— سترقد كثيراً عندما نجتاز هذا الباب .. لن يكون أماناً بعد ذلك سوى الرقاد .

وأقبلت تجرف بيدها أكوام الثلج وتقذف بها ضاحكة عابثة . وأصابته إحدى الكرات وجهه .. فأخذ يلعب الثلج بطرف لسانه وقال لها ناعراً :

— أهذه أفعال ناس عقلاء ؟

وأجابته ضاحكة :

— أمازلت تصر على أننا عقلاء .. بعد كل هذا الذى فعلناه ؟!

وهو رأسه قائلاً :

— معك حق .

ثم أمسكت بقيضة من الثلج وقذفها فى وجهها قائلاً :

— أنت تحبين الثلج على شفتيك .. ألم تقولى هذا ؟

ورفعت الثلج عن وجهها ثم أقبلت عليه تعضه إليها وقد أمسك بالكوربك .. وضمت شفيتها إلى شفتيه في لحظة وهي تقول :

— عدت تغار من الثلج .. إلى أحب شفيتك أكثر منه .
وأجابا وهو يضمها بيده الحالية :

— إن وجهك مثلج .. وأعشى عليك من البرد .. أرىني المفتاح .. فلعل أقفل في فتح الباب .

وجذبت حقيبتها من العربة ثم مدت يدها بداخلها وأخرجت مفتاحا نحاسيا وسلمته له .

ودفع به في ثقب الباب الخشبي ولفه فلم يجد صعوبة في إدارته داخل القفل . وبدأ بهز الباب بيده فوجد الثلج ما زال يفلقه .. ونظر إلى « هدى » فوجد علامات الإعياء تبدو على وجهها « فراجع إلى الوراء بضخ خطوات .. ثم سأل « هدى » وهو يستعد لدفع الباب بساقه :

— يبدو أنه لا بد من استعمال العنف معه .. ما رأيك ؟
وابسست « هدى » قائلة :

— اكسره إذا شئت .

ورفع « ساسي » ساقه ثم دفع به الباب دفعة شديدة .. فافتتح على مصراعيه . وضحكت « هدى » قائلة :

— لم أعرف من قبل أنك « قبضاي » .. إن ساقك في متنى القوة .

— « القبضاي » لا يحتاج إلى ساق قوية ، لأنه لا يجري .

وقذف « ساسي » بالكوربك داخل العربة ثم حمل « هدى » بين ذراعيه قائلا :

— دعني في كل شيء من الآن .. كل ما عليك هو أن تتردى .. ساكنة ..

حتى أرتب البيت .. وأصنع الطعام .

وأجابته « هدى » وهي تمد شفيتها فتمس بها شفتيه :

— بلا عية .

— أنظنين هذه الأشياء التافهة التي تقوم بها النساء تحتاج إلى مهارة ؟
— طبعاً .

— كلام فارغ .. إنكن تحاولن أن توهمن أن البيوت لا تدار بغير كن .. لقد ظلت أُمي توهم أُنّى طوال حياته بأنها لو تركت البيت لحظة لانهار على رءوسنا .. ومات الرجل وهو واثق من هذا .. وهي اليوم تحاول أن تجعل الخدعة تنطل على .. تخافن إلا أن تدبر حركة البيت بلسانها وهي في فراش المرض .. وتحاول عبثاً أن تجعلها تلزم الراحة .

ووضع « ساسي » حمله فوق أثواب أريكة في القاعة .. ووقف ينظر حوله مستشكفاً البيت .. ونهضت « هدى » بجواره قائلة :

— دعني أريك البيت ، فأنا أعرفه جيداً ، هذه هي القاعة وعلى اليسار غرفة نوم .. بفراش واحد .

— لا حاجة بنا للقوة .

— مفهوم . وعلى اليمن حجرة الطعام تؤدي إلى المطبخ ، وفي الواحدة حجرة جلوس .. بها مدفأة وشرقة زجاجية تطل على الوادي .. وبين الحجرتين حمام .. و .. ولا أظن هناك شيئاً أكثر من هذا .. هيا بنا أريك أجمل منظر يمكن أن يقع عليه بصرك .

وجذبه من يده قبل أن يحاول المقاومة .. واجتازت به الباب القضي إلى حجرة الجلوس ، ونظر « ساسي » إلى الحجرة فوجد في مواجهتها باباً زجاجياً عريضاً يؤدي إلى الشرفة التي تطل على الوادي .. ووجد المدفأة على اليسار وبحوارها في ركن الحجرة « بيانو » قديم .. ونظر إليها قائلاً :

— نسيت أن تذكرني أهم ما بالحجرة .. ألم لعله عاطل ؟

— أبداً .. لقد عرفت عليه آخر مرة كنت هنا .

وأقبلت « هدى » على البيانو ورفعت غطاءه .. ثم أجرت يدها على أصابعه

بأحدى أغنيائها .. وضحك « سامى » قائلا :
— أكيد .. إنه ليس عاطلا .

واقرب الاثنان من باب الشرقة .. وأدار « سامى » المزلاج وفتح الباب ..
فكادت أكوام الثلج المتراكمة خارجة تهاجر داخل الغرفة لولا أن أسرع
بإغلاقه .. وقالت هدى :

— لا داعى لفتحه .. البرد قارس .

— إن المنظر يبدو جميلا من خلال زجاج الباب . إنه رائع .
وكان الوادى يبدو كطبق الصيني الأبيض وقد بدت فيه البيوت كأنها
رغوى الصابون .. وكان المنظر واضحا بكل ما فيه من تفاصيل .. بهنوبره ..
وطيات أرضه ونماذج جباله .. بقياه وأبراجه .. وقد كستها طبقة الحليب
الأبيض .

وحول « سامى » بصره من الزجاج إلى الوجه الرقيق المسنود على كتفه ،
الشارد ببصره في فسحة الوادى ، وهمس في أذنها :

— جميل جدا .

— المنظر ؟

— بل وجهك .

— ففتحت المنظر أصعبك ؟

— أعجبني ، ولكن وجهك يثير إعجابى أكثر من أى شيء .

— ألا أعجبك جمال الطبيعة ؟

— إعجابى بجمال الإنسان أكثر . ألم تفرق قول الكاتب المصرى « ما ألد
الآدمى كالأدمى » .. ما قيمة هذا المنظر الرائع الذى يبدو أمامى بدونك ؟
— وما قيمته بدونك أنت ؟

— إننا نمتح ما حولنا قيمة .. أكثر ما يمتحننا ما حولنا ، إننا دائما مصدر
الشعاع المشرق .. تلك هى قيمة الإنسان .. الإنسان أقيم من أى شيء على ظهر

هذه الأرض .

— أى إنسان ؟

— لكل إنسان .. إنسان مخصوص ، وما من إنسان إلا ويجد توأما يحس بأنه
ملاده وملجأه .. ومشرق أملة .

— يجد توأما ؟! ألا يكفي أن يجده فقط ؟

— ألا يكفي ذلك ؟

— أتعن مجرد وجوده .. يكاف أن يربحه ؟

— ما رأيك أنت ؟

— أحيانا أحس أن مجرد وجوده كاف ، وأحيانا أحس أن وجوده بغير امتلاك
عذاب أكبر .

— تؤمنين بأن هناك امتلاكا حقيقيا في هذا الوجود ؟

— ولست لا .

— نحن لا نملك حتى أنفسنا .. أعمارنا .. أرواحنا .. هباء بين القدر ..

فكيف تؤمن بامتلاك الغير .. ونحن لا نملك أنفسنا ؟

— نمتلكه .. على الأقل مدى امتلاكنا لأنفسنا . نمتلكه ما دمتنا نملك أرواحنا
وأعمارنا .. ما دمتنا أحياء .

وصحت برهة ثم أطلقت تبيدة حماتها بعض ما بها من مرارة .. واستمرت
تقول :

— اللهم لا طمع .. إن وجوده خير من عدمه ، وامتلاكه بعض الوقت ..
خير من مجرد وجوده .. هيا بنا ولا تضع من أيدينا بعض الوقت الذى نحاول أن
نمتلكه فيه .. هيا .

واستدار إليهما .. وضهما بين فراعيه وأحس بفطرات على وجنتيه .. لولا
سحورتها لظنها فطرات الثلج الذائب على وجهها .
والنصقت ببصره كأنها تخشى أن ينزعها أحد منه .. وأخذت يس طرف أنفها

وعيبها وهديا بشعته ، واستغر في النهاية على شفتها .. ومن أساسها اليسر
المظومة ثم حمدا بين دراعيه . فأجلسها أمام المدفأة قائلا :

— إنك ترعفين من البرد .

— عدت إلى غيائك !!

— أنتكرين أنك ترعفين ؟

— من الحب أيها الغبي .

— من أحب أو من البرد . لابد أن أعمل على تدفئك .

— فاروق كبير بين وسيلتي التدفء في كلتا الحالتين .

— كيف ؟

— أرتجاف البرد توقفه المدفأة .

— والحب ؟

— توقفه أحضانك .

— سأوقفه بكلتا الوصيتين .. سأوقف المدفأة وأحذك بين أحضان .

— سأقوم لترتيب البيت .

— البيت لا يحتاج إلى ترتيب .. إلى أحبه هكذا .

— سأساعدك في إحضار اللقائف من العربة .

— لست في حاجة إلى مساعدة .. سأحملها إلى هنا وأضع العربة تحت

المنظف ، ثم أحضر التوفود .. وأعود إليك في بضع دقائق

وأطلقه ساسي إلى الخارج ، وتلفتت هدى حوفا ، هوجدت اليأس

في غير حاجة إلى ترتيب . كان نظيفا مظلما .. وكل شيء في موضعه كأنه أعد

لاستقبالها .

وسارت إلى حجرة النوم .. هوجدت العرائش مرتبا والملابيات بيضاء نظيفة ،

والسريجة قد صنعت عليها رجاجات المطر وأدوات الرية .

ولم يكن يبلغ حسن ظنا نحو عتبة إلى هذا الحد . لقد بدا البيت كأنه قد

ركته مند خطافات . ولولا طبقة الأتربة الخفيفة التي تكاد لا ترى . ولولا
التلوح المتراكمة خارج الباب لساورها الشك في أن تكون عتبة قد سبقها
إلى هنا لإعداد البيت .

وعطرها أن تخرج لمساعدة ساسي ولكن كانت تعرف مبلغ عياده .

وخشيت أن تعصيه .. لأنها كانت تعرف جيدا مدى خوفه عليها .

وعادت إلى عرفة الجلوس .. وغلظتها حين إلى البكاء وهي تحس بحسها

الكبير بتحقيق .. ولو لبعصة أيام .

وجلس أمام الباتو . وعادت تحرك يديها على أصابعه البيضاء . وأحدثت

تدندن بصوت خافت .. الأغنية التي يحب ساسي أن تعبها له دائما .

وكان ساسي قد نقل اللقائف إلى المطبخ ، ووصلت إلى مسامحه دقائق

الأخيرة . فوضع ما بيده على المنضدة وعاد متسللا إلى حجرة الجلوس

وزعمت هدى عيبا إليه وهي تحس به يتسلل وراءها وصمت :

— عدت سريرا !!

— جلجتي دقائق الأغنية .. فلم أحمل البعد .

— أحب أن تسمعها ؟

— أحب أن أراك وأنت تغني .

— أنا لا أحب وجهي عند الغناء !

— ولكني أعيد .. أعيد عيبك الشاردتي .. ورقعتك المندوفة ، ورأسك

الذي يبدو كأنه يخلق في السماء .

— إلى أحسن إيمان فرد .. أغني له وحده .. وأرى صورته كالطيف

يطوف بعيني الشاردتين .

وأخفى رأسه فمس مفرق شعرها وهمس بها :

— غني يا حبيبتى .. واشردى بصرك .. ومدى رقبتك .

— لن أشرد وأنت أمامي .. إلى أضفلك على طيفك .

— غنى على أى وضع تريدنى

— اجلس هنا بجوارى حتى أراك .. اجلب هذا المقعد الصغير واقرب
مى .

وجذب « سامى » المقعد وفتح بجواره مصة صغيرة وضع عليها جهاز
لتسجيل .. عند يده وفتح الجهاز .. قائلا :

— لو كان به شريط ، لتسجيلت عليه الأغنية .

— إلى ساحصر لك تسجيلا جيدا بالأوركسترا كاملا .

— هذا سيكون تسجيلا خاصا .. سيكون حورا من أى تسجيل للأغنية .

وفتح الجهاز فوجد به شريطا معدا .. وأداره فسمع بعض الأصوات .. ثم
بدية أغنية لأحد المطربين ، وتساءل قبل أن يعد الجهاز للتسجيل .

— أنفضب « عليه » لو أعدنا هذا الشريط ؟؟

— مطلقا .. إن استطع أن أعيدته إليها ، بأى أعين تريد

وأدار الجهاز .. معدا للتسجيل . وسحب المقعد وجلس أمامها .. واصفا

مرفقيه على ركبتيه . سائدا دقه على كفيه . وهمس وهو يتطلع إليها فى شعف :

— هيا .

ومدّت عنقها نحوه وقالت :

— قبلنى أولا .

ومد شفطه غمس شفطها .. وعادت تقول :

— قبلنى أكثر .. وأكثر .

وضمها إليه بلهفة وهو يبتسم

— يا حيتى .. لقد بت أفضل ما أريد فى هذه الحياة ..

بت أنهى آمالى . ومتنى آمالى . لا أريد من حياتى شيئا أكثر من بقائك

وفناء حيك

وتهدت « هدى » وهى تقول :

— نفس ما أحس به .

ثم أخذت أصابعها تحرى على السطح العاجى الأبيض .

ونظرت إلى « سامى » نظرات شاردة . وبدأت تدب .. ثم علا صوتها

رويدا رويدا ، وبدأت كأن الصوت يخرج من شفاه قلبها لا من حنجرتها

وكأنها تخلى فى الفراغ المربض الواسع المحيط بالأرض .

واستمر « سامى » يحدق فى وجهها وعينها .. حتى صمتت وتوقفت

أصابعها عن الدق ، وأحس بالدموع تسيل فى سكود من مآقيا .. وتسابح عن

وجنتها .

واقرب منها وصمها فى رعن وهو يحس أنها توشك أن تدوب بين ذراعيه

وهمت به :

— أحبك ، ولا أريد أن أفقدك .

— أفقد روحى قبل أن أفقدك .. يا حيتى .. يا أعر الناس . هدى ..

أحبك .. أحبك .

وهمت به وهى تضمه فى لفة :

— سامى .. حيتى .. قل لى إلى سأجيدك دائما عندما أناديك . لا أريد أن

أناديك فيهيتى الصمت .

— سأرد عليك دائما .. دائما . ما دام لى نفس يردد .. هدى .

— سامى .

وسمع صوت الشريط وقد انتهى وأخذ يلف حول نفسه . وصاحت

« هدى » فى دهشة :

— أكل هذا قد سجل ؟!

واستم « سامى » قائلا :

— طيبا .. أليسك هذا ؟!

— يسيتى أنا ؟ يسيتى أن أحفظ بأهل ما سمعت فى حياتى ؟! يسيتى أن

أحتفظ بمناجاتك العذبة ؟! أيجنون أنت ؟

وضحك سامي قائلا :

— إذا دعينا نستمع إليه .

وبدا بإعادة الشريط .. وأعد الاثنان يهتنان إليه في لحظة وشعب .. حتى

انتهى التسجيل يتناف كل منهما باسم الآخر .

وضمته إليها وهي تنحس عنقه بهفتها قائلة :

— هذا أجمل ما سمعت .

٣٠

مهركة حب

أعلقت « غايضة » الكتاب الذي كانت تشاغل بقراءته . وعادت تبع
فرص التليفون محاولة الاتصال بسليم ، ودق الجرس بصبح دقائق لم سمعت صوت
سليم :

— ألو .

— صباح الخير .. أنا غايضة .

وأطلق « سليم » بصبح تحنات بسلك بها روره من حشرة اليوم وقال

مرحبا :

— أهلا وسهلا .. كيف الحال ؟

— الحمد لله .. كنت أحاول الاتصال بك منذ ساعة . فكان الخادم يقول

لي إنك نائم .

— صلا .. إلى لم أصبح إلا منذ بصبح دقائق .. لقد كنت متأخرا

— يبدو هذا . فقد حاولنا أن نتصل بك عبثا طوال ليلة أمس

— بخير .

— كان الأستاذ سامي يريد أن يتحدثك قبل سفره .

— سفره ؟ .. إلى أين ؟

— إلى بيروت .

— ولكننا كنا معا عطلة اليوم .. ولم يجرى شيء عن هذا السفر !

— أنا أيضا لم أعرف منه إلا في المساء بعد أن عاد إلى المكتب .

— في أية ساعة ؟

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

— لا أذكر بالعيط ، ولكنها على أية حال بعد التاسعة .

— ألم يقل لك لماذا سافر ؟

— لا .

— ألا تعرفين أنت ؟

— إذا كان لم يقل لي ، فكيف أعرف ؟

— أظن أن هناك أشياء كثيرة يعرفها دون أن يقوها لنا أحد ؟؟

— أنا لا أعرف أكثر مما يقول لي .

— ما علينا .. ماذا قال لك إذن ؟

— قال لي إنه سيسافر إلى بيروت صباحا في مسألة عاجلة . وأنه سيعبر

بصحة أنام .. ثم يحاول الاتصال بك .. فلما عجز عن أن يحددك . كلمني

أنفك بسمرة ، وأرجوك أن تراقب العمل في الجريدة حتى يعود .

— هكنا ؟؟ يمثل هذه البساعة !!

وصمت سليم ، برهة ، لم تعرف فائرة خلاها كيف ترد على تعليقه ..

أردف يقول :

— سبحانه الله . كان فيما مضى لا يرعى أن يترك مكتبه ساعة واحدة حتى

أن يضطرب العمل .

ولم تجب فائرة .

ثم تعين بكلمة واحدة كعادتها على سلوك سامي ، وتساءل سليم :

— لماذا تصمتين ؟

— وماذا أقول ؟

— اسمعي يا فائرة . إن المسألة لا يمكن أن تقابل منك مثل هذا الصمت

والتجاهل والسلبية .

— أي مسألة ؟

— المسألة التي تعرفينها .. مسألة علاقه بهدي نور الدين .

وأحست فائرة « بأسعة من الألم .. وأصاها شيء من الجرع وهي تسمع

سليم « ينطق الاسم بصراحة ، فأجابته في إشتاق :

— أرجوك .. لا داعي للحديث في هذه الأشياء .

وصمت برهة ثم استرسلت تقول :

— على الأقل في التليفون .

— سأحضر إليك حالا .. مسافة الطريق .

وأسي « سليم « حديثه .. ووصمت فائرة « الساعة » ثم عادت تقلب

صفحات الكتاب بعين رافقتين ودعي شارد .

وما لشت أن ألقت الكتاب جانباً .. وتركت مقعدها وراء المكعب

الصغير . واقتربت من المدفأة المذمية .. التي تشع بالبرقارة .. وغطت من

رياح النافذة ، ترقب كلما يتسكع حول عربة طعام ابنتك صاحبا في « فف

الكبنة وطعمية الحمص » ، وقد أخذ يستنوي بحرارة الموقد على ندفه كعبه .

وأخذ بصرفها يتنقل بين العربة .. وعابري السبل من صبية تتواكب

وكهول تتألف عظامها .

عاد قول « سليم « برودة في مسامعها « إن المسألة لا يمكن أن تقابل بها مثل

هذا الصمت والتجاهل والسلبية » .

يقول هذا .. وكأنها طرف في المسألة .. طرف مسئول . يستعرب منه

الصمت والتجاهل ، ويتعالم عليه أن يتدخل بطريقة إيجابية لحلها .

ولكن ما قيمة أن يظن « سليم « هذا ؟؟ إذا كان صاحب الأمر لا يكاد يحس

بأن المسألة تعنيا من قريب أو بعيد !

إنه لا يأتمنحها على أن تعرف أين يكون عندما يجب ، حتى تستدعيه إذا ما

تأزمت الأمور .

كيف تستطيع أن تكف عن التجاهل . إذا كان هو قد عرض عليها الجهل ؟؟

ولكن . أتراها كانت تصح أحسن حالا ، لو أنه منحها المعرفة وأبأها

بمساعدة أبي يكون . ومادا يعمل ؟ وكأن الأمر لا يمكن أن يسبها أو يحدس مشاعرها .

لا .. لا . إن يذكرك الأمر عليها حير بكثير من التسليم لما يصرحه . إنه اعتراف .. بأن لها أحاسيس خاصة .. يكره أن يبرحها اعتراف !!

وأطلقت نفخة ساهرة من أنفها .

ما قيمة الاعتراف بأحاسيسها .. إذا كانت أحاسيسه هو نصب إلى آخر فطرة في قلب آخر .

ومع ذلك .. هي لا تشع بالفيرة .

وإنما تشع بالخوف والقلق .. والفرغ على هذا المبرود من أن يجره التيار . وهوى به العاصمة فيحطم .

لو أنه وجه أحاسيسه . لشدقة يمكن أن تصوره وتشد أزره . وتحفظ قدره !!

حمد ؟

لو أنه فعل . لتهدف بها إلى قاع اليأس . وحمل من مشاعرها خطاها إنها لا تعار من هذه المخلوقة .. لأنها تعرف أن حبها ولد ومعه معول هدمه . وأنه يحمل مع جرثومته العصل الزواق منه . وأنه يحوى في باطنه أسباب مصرعه .

ولكنها تخشى أن يصرعه قبل أن يصرع .. وأن يقصى على صرحه الأشم قبل أن يتسنى .

وهي تنسى لو استطاعت وقايتها .. ولكنها لا تعرف كيف .. وهو يصر على أن يصعها حاسا .. وكأن الأمر لا يمكن أن يصعها . وهي تكره التدخل حتى لا يثبت في أنها طرف في معركة . وأنها تصارع من أجل نفسها . لا من أجله . هو .

وبعد كل هذه الأفكار التي تتصارع في رأسها . تحس أن ثمة حقيقة لا تقبل الخذل . وأمر واقع لا يحتمل المناقشة . وهو أنها تحب في إصرار وصبر وعزم .. وأنه ما من قوة هناك يمكن أن تشبها عن حبه . مادامت هي كائنة . ومادام هو كائنا

وأحسنت بشيء من الراحة والعزاء وهي تستقر على هذه النتيجة . وتجهت إلى المكتب بعد أن أحسنت لسعة المفارقة . وطرق الباب وأقبل رئيس عمال المطبعة يحمل بيده مجموعة من التجارب مسئالا . — أبي الأستاذ ؟

ومدت « فائزة » بيدها لتأخذ الأوراق قائلا :

— دعها هنا .. وسأرسلها لك بعد ساعة

— إلى أريد أن أسأله عن بعض المقالات التي مضى عليها بصعة أسابيع وهي مصعومة دون أن يأمر بإزالتها إلى المطبعة

— هل أحدث رأي الأستاذ عابد سكرتير التحرير ؟

— قال لي أروها للأستاذ سامي

— إذن دعها الآن . هات في التجارب التي تريد مراجعتها .

— ولكنها تعطل لنا الحروف . إما أن تطبع أو نطبعها .

وأجابته « فائزة » في حائل :

— قلت لك دعها الآن .. الدنيا لم تطل .

— أريد أن أقابل الأستاذ .

— الأستاذ غير موجود .

— متى سيحضر ؟

— لا أدري .

ونغم الرجل يصيح كلمات صبق وتريم : ثم سلمها ما في يده من أوراق وأولاهها ظهره وانصرف .

ولم يكده يخرج حتى أقبل الأستاذ « عابد » سكرتير التحرير وهو رأسه بالتحية ثم اتجه مباشرة إلى حجرة « سامي » وأطل برأسه من الباب ثم تساءل :
— ألم يأت الأستاذ بعد ؟!

وهرت « فائزة » رأسها دون أن ترفع بصرها عن الكتاب الذي حاولت أن تعالود قراءته

وانتهى إليها « عابد » وجلس على طرف المكتب متسائلا وهو ينظر إلى الساعة .

— لم يأت حتى الآن ؟! غير محقول .

وجذب آلة التليفون وهو يواصل الحديث قائلا :

— لماذا لم تسأل عنه في البيت ؟! قد يكون هناك ما عاقبه . إن والدته كانت مريضة منذ بضعة أيام .

وأعقبت « فائزة » الكتاب ثم مدت يدها ، فأعادت التليفون إلى مكانه قائلة :

— إنه ليس في البيت .

— هل قال لك أي يكون ؟

— في بيروت .

— بيروت ؟! ما شاء الله .. وأنا ها . كالزوج آخر من يعلم .. أكثر على سكرتير التحرير .. أن يعلم بغير رئيس التحرير ؟!

— لقد سافر فجأة . وكنت أنت قد امتدنت في الانصراف مبكرا ، فلم أستطع إخبارك . وطلب مني أن أرجوك التصرف في المسائل المادية . وأن يسر كل شيء كما هو . وإذا طرأ شيء غير عادي فيمكنك أن تستشير به الأستاذ « سليم » . إنه سيبقى في مكتبه طيلة مدة عيابه .

وهز « عابد » رأسه وقال وهو يفكر في المكتب :

— لن يحتاج إلى سليم ولا إلى غيره .. كل شيء سائر على ما يرام ..

عشرون سنة والعجلة تسير في الجريدة لم يعطها شيء . لو قدموا بالمقالات إلى المطبعة لصمت الحروف بعساها ، وقفرت إلى ماكية التصوير ، وعرجت الجريدة دون حاجة إلى مخلوق .

ورفعت « فائزة » بصرها إلى رأسه الكبير ، دى الشعر الأكرت ، والمخارجي الثقيل ، والبيس الصيق .. وبدأ لها كأنه إحدى آلات الطابعة التي تدور بلا وعي . كان دقيقا منظما ولكنه يكره التفكير .. إنه يعتبر الجريدة حروفا تصف وأوراقا تطبع لتخرج إلى الناس في موعدها . بصرف النظر عما يحويه من أفكار .

وكانت « فائزة » تعرف كيف يستعيد « سامي » من دفته وترتيبه وجلده على العمل .. دون أن يحسه فرصة لإتلاف هذا العمل ، بتدخله بالتفكير أو الكتابة . وإن كان « عابد » قد استطاع أن يعاذه أحيانا ويهمل من بين أعمدة الصحيفة ليبدى للقراء رأيا أو ليقول كلمة ، لا تطعم لها ولا يون ولا رائحة . وعظرت « فائزة » إلى الساعة في يدها ، وقبل أن يساورها الفئق لتأخر « سليم » ، دفع الباب واجتارته إلى الفاحل وهو يقول :

— تأخرت عليك !!

— موعا ما .

ومد يده مصافحا ثم سار بها إلى حجرة « سامي » وهو يقول :

— تعالى . لا بد أن نتحدث في الموضوع بصراحة .. إنني أعتبرك المسؤول الأول عن « سامي » .

ورفعت « فائزة » حاجبيها متسائلة في دهشة ، وقد داخلها إحساس ممنع بأن بعض الناس يمسون بفرط قربا منه لدرجة تحملها مسؤوليته . وهتعت قائلة :

— أنا !!

— أجل .. اجلسي .

واتخذ « سليم » مجلسه أمام مكتب « سامي » وجلس « فائزة » على المقعد

المواجه للمكعب وهي تملود التساؤل :

— أنا مسؤولة عنه ؟ كيف ؟

— لا أريد أن أدخل في جدل معاد . إن أعرف أن لك معزة في نفسه ، ولا أطسى في حاجة إلى أن أقنعك أنه مبرأومة ، قد يعتبرها هو حيا ، وقد يعتبرها نحن روة ، ولكن لا جدال في أنها أرمة قد تعصف به ونحن في حاجة إليه .. كما في حاجة إليه . بطريقة ما ، فهو ليس محسوقا عاديا ، يمكن أن نتركه لحدي بسهولة .. هل تحترقين بهذا أم لا ؟

— لم ماذا ؟

— قولي أولا .. نعم أم لا .

وأعترفت صابرة وهمت غائلة

— نعم

— وأنا لا أريد أن أناقش في قدرتك على إنقاذه . حتى لا تعود مرة أخرى إلى الحلقة المبرعة التي تعودنا أن نجادل فيها . ولكني أسألك فقط .. أنتصين عليه بشيء يمكن أن يعيده إلى وعيه ؟

— كيف ؟

— دعي هذا الآن .. لا أريد أن تناقش المسألة كيف تكون .. بل أريد أن تناقش مبدأ قبولك إنقاذه .

— هل تظن أني أتردد في ذلك ؟

— حسن .. هل تعبدن بأن تبدلي كل ما نستطيعين . على ألا يكون به طبعنا ما يسيء إليك ، أو يخذل كرامتك ؟

وهزت « فائزة » رأسها في ضيق وبأس وأجابته :

— مستدير الأمر سوبا ، بشرط ألا معترض انحرافات خاطئة .

— مثل ؟

— كتر عسلك أنه يهبي .

— لم أقبل إنه يحبك .. ولكني قلت إنه كان على استعداد لأن يحبك

— ولا حتى هذا .

— إذن يستلظمك ؟

— لا داعي لأن تبني خطتك على انحرافات في مشاعر لا يعرفها إلا هو .

— وأنت ؟

— ما أحسست قط بأنني أريد بالنسبة إليه عن تابعة مخلصه له .

— كاذبة .. أنت تحسبن دائما بأنك أقرب الناس إليه .

— فارق بين ما أحس أنا ، وما يحسه هو .

— وهو أيضا يحس بهذا .

— لنفرض أنه يحس بهذا !

— إذا قاضى شيئا . لا تقضى حكما مكتوبة اليدي ، وداعني عن مصوبك .

— مصوبى أنا ؟

— أجل .. مصوبك كمحبة .

— تريد أن أعرض معركة من أجل مصي ؟

— ليس من أجل نفسك . بل من أجل نفسه ، ومن أجل مبادله وعمله ،

وآمالنا فيه وإيماننا به . من أجل كل الأشياء العلية الكريمة فيه ، والأهداف

السامية التي يحمل من أجل تحقيقها .. مهمت ؟

وأجابته « فائزة » بشيء من الحدة :

— طبعنا أنهم . أنهم جيدا .. لكني لا أعرف ماذا أقبل .. أنا أحس أني

عاجزة تحملها .

— الحب لا يمكن أن يكون عاجزا .

— كلام .. مجرد كلام . ما أحسست بجزى كما أحسست به الآن .

وأنسى أحس به يساب مي ، ومن نفسه .. كما يساب الماء من بين الأصابع ،

وأن على استعداد أن أصحى بكل شيء من أجله ، ولكني لست على استعداد

(جفت الدعوى — ٢)

لأن أذهب إليها لكي أرجوها أن تتحرك لي .

— لم يقل لك أحد أن تفعل هذا .

— إذن ماذا أفعل ؟

— كنى أكثر إيجابية في حبه .

— أرغمني على قدميه ؟

— بل عوضي من أجله معركة .. كافعي من أجله .

وهزت « فازية » رأسها في يأس وثالث :

— الأحاسيس لا تكتسب بالمعارك .. كل شيء يمكن أن يكتسب بالكفاح .. إلا الشحور .

— كل شيء يكتسب بالكفاح حتى الحب . لوكد لك ...

ودق جرس التليفون ، قطع « سليم » حديثه . ثم رفع الساعة مسألًا :

— آلو .. من ؟

وأجابته صوت مسأل :

— سامي ؟

— من يريد ؟

— أنا عبد الوهاب .

— أعلأ وسهلا .. عبد الوهاب بك .. أنا سليم .

— صباح الخير يا سليم .. ماذا تفعل عندك .. وأين سامي ؟

— سامي .. سافر .

— سافر ؟ إلى أين ؟

— إلى بيروت .

— صبيحة ؟! لماذا لم يقل لي ؟

— سافر فجأة .. وسألني أن أقوم بعمله حتى يحضر .

— ومعنى سيحضر ؟

— بعد بضعة أيام .

وبدا الضيق في صوت عبد الوهاب بك وتساءل :

— لماذا لم يخبرني ؟! كان يجب ألا يسافر الآن .. ألا تستطيع الاتصال به ؟

— سأحاول .

— اسمع . تعال إلي الآن . يجب أن ندير المسألة بسرعة

— حاضر .

— أنا في مقر الحزب .

— سأحضر حالا .

ووضع « سليم » الساعة .. وهز رأسه قائلاً :

— ألا تعرفين أين ذهب في بيروت ؟!

— لم يقل لي .

— مشكلة . إن عبد الوهاب بك يريد الآن .. سأذهب إليه لأرى ماذا

يريد ثم أعود إليك .

وخرج « سليم » متوجهاً إلى دار الحزب .. وعادت « فايزة » إلى مكيتها ،

وقد بدا عليها الضيق والقلق . وهي تحس بعجز تام من أن تخوض تلك المعركة

التي يسألها « سليم » أن تخوضها . من أجل .. حبا

— أعتاك شيء أستطيع أن أقوم أنا به ؟

— أن تحضره حالا .

— ألا أستطيع أن أتوب عنه ؟

— فكرت في ذلك .. ولكن يبدو لي أنه لا بد أن يقوم هو بنفسه به .

— هل أستطيع أن آخذ فكرة عن الموضوع ؟

— طبعاً .. لقد وصلني اليوم تليف من القاهرة يتبرسي فيه أن موعد عقد اللجنة التمهيدية للمؤتمر الآسيوي الإفريقي قد تمحدد في أول الأسبوع المقبل ويطالبون أن يكون مدفوعاً هناك على الأكثر بعد غد . وليس أمامنا إلا اليوم وغداً لكي نبحث معه موضوعات اللجنة وأراجع معه الكلمة التي سبقوها باسم سورية في اللجنة .

وصمت سليم « برهة » ، وهو يحس أن الأمور تتعقد حول « سامي » .. إنه يستطيع أن يحس سبب غيابه ، ولكنه لا يظن العثور عليه بالأمر اليسير . وهو قطعاً لا يستطيع أن يعلن تخمباته هذه لأي مخلوق .. اللهم إلا « فايزة » . التي لا يظنها إلا أكثر مه عجزاً في الوصول إلى « سامي » .

وقال « سليم » ، وهو يحاول أن يكسب بعض الوقت :

— ظننت أن « سامي » قد اعتذر عن الذهاب .

— حاول أن يحتل مرض أمه .. ولم ألق عليه لاعتقادي أننا نستطيع أن نرسل أحد الإخوان بدلاً منه .. وقد فكرت فعلاً في إرسالك .

— وماذا حدث ؟

— حدثت بعض المناورات التي حست علي ضرورة إرساله هو بالذات .

وصمت الرجل ورفع « سليم » حاجبيه ، محاولاً إلهاء عيبه .

وما لبث « عبد الوهاب » أن استرسل في حديثه موصحاً في لهجة يشوبها الاعتذار :

— لا أقصد بالطبع أن واحداً منكم يقل عنه كفاية .

الاعتذار

لم يمض أكثر من يصبح دقائق حتى كان « سليم » يقف بباب حجرة « عبد الوهاب » يتأكد في الدخول . ورفع الرجل رأسه لأشهب ، ثم قال بصوته الأجنس :

— تفصل ...

وحياة « سليم » ثم اتخذ مجلسه بجوار المقعد الكبير الذي استقر الرجل فيه . وحلج الرجل مظار القراطة وألقى بالأوراق التي كان يمحسها جانياً ، ثم وصح مظهره ، آخر على يمينه واتكأ بظهره على المقعد قائلاً :

— قلت لي إن « سامي » سافر إلى بيروت ؟

— أجل .

— فظننت لا يستطيع أن يعاد دمشق لأن أمه مريضة .

— إنها مريضة فعلاً .. ولكن يبدو أن أمراً طارئاً استدعاه لتسرع فجأة إلى بيروت .

— أمراً لا أعرفه ؟ . كان يجب أن يخبرني أنا على الأقل

— ربما كان أمراً عائلياً .

— حتى هذا كان يجب أن يخبرني عنه . لقد تعود أن يستشيرني في كل شيء .

— اعتقد أنه لم يرد أن يزعجك ، فقد سافر في الصباح الباكر ، ويبدو أنه لم يعرف بأمر السفر إلا في ساعة متأخرة من الليل

وصمت الرجل برهة ، ثم عاد إلى الأوراق التي تحاها جانياً ، وقطع « سليم » الصمت متسائلاً :

واستمع « سليم » قائلا :

« لو كان الأمر بيدى أنا .. لما احترت عيره .. أنا أؤمن بصفاء دعه وترثيه
وذلكاه .. وفرط إخلاصه .. وشدة جلده .

مع ذلك فقد كنت على استعداد للتجاوز عن إرساله .. رغم إيماني أنها
بكل ما ذكرت فيه .. بعد أن أحسست أنه غير متحمس للدهاب .. لولا أنى
أحسست أن إرساله قد أضحي مسألة كرامة .

وزادت دهشة « سليم » وتساءل قائلا :

« كرامة من ؟

« كرامتنا نحن .

« كيف ؟

« إن الشيوعيين لا يهتمون سفرو .

« ولماذا ؟

« لأنهم يعرفون خصوصته لهم .

« وما لهم هم بالمؤتمر ؟

« إنهم يملكون له حماسة رائعة .

« عجيبة !؟ وما سر هذه الحماسة ؟

« نفس حماسهم للسلام .. أنصرف منظمات السلام ؟

« أجل .

« إن المفهوم أن لجان السلام في البلاد الشيوعية هي نفسها لجان التضامن
لآسيوية الإفريقية . وقد سبق أن عقد مؤتمر آسيوى في نيودلهى .. دعت إليه
لجنة السلام في الهند مد بصحة أعموم .. وقد قرروا في هذا المؤتمر عقد المؤتمر التالي
على نطاق آسيوى إفريقى .. في القاهرة .

« وما لنا نحن ، وهذا المؤتمر ؟

« لأنه مؤتمر تضامن للشعوب الآسيوية الإفريقية .

« تنظمه لجان السلام الشيوعية ؟

« أيا كان الذى ينظمه . إننا نؤيد مبادئه وأهدافه ونؤمن بما يمكن أن يحققه
التضامن الآسيوى الإفريقى . وما تجربة مؤتمر بانديونج بعيدة ثم إننا يجب
ألا نكفر بالحق الطيبة لغيره كثيرا بالناطقين بها . من غير المعقول ألا نؤمن
بدعوة السلام لأنها نابعة من مصدر شيوعى . إن من واجبنا أن نشارك في كل
دعوة طيبة .

« حتى لو كانت ستاراً لث مبادئ معينة ؟؟

« واجبا في هذه الحالة يصبح أكثر حيوية حتى يخلص الدعوة الطيبة من كل
ما يشوبها ، وحتى يجعلها تسير في طريقها الحقيقي بدلا من أن تكون مغلية ..
لهذا المبدأ أو ذاك . ١٥

« أجل . معك حق . لا يجب أن نصرف عن دعوة السلام لأن منظمات
شيوعية تدعو إليه ، بل أن نؤكد دعوة السلام من أجل السلام .. وأن نستعيد
من كل جهد يؤيد الدعوة أيا كان مصدره .

« كذلك التضامن الآسيوى الإفريقى . إننا نؤمن بأهدافه .. نؤمن بأن
الشعوب التي تشاركت الآلام والأمال ، والتي تقاسم المستعمر الذى يستغل
أراضيها ويهيب مواردها . يمكن أن تضامن من أجل استرداد حريتها وتحقيق
رغباتها .. من أجل هذا يجب أن يؤيد دعوة التضامن ، ونؤكد أنها للتضامن
للعمره .. وألا نسمح لأحد أن يكون أن يستغلها

« ومن أجل هذا نريد أن ترسل سامى ؟

« ومن أجل هذا أيضا .. لا يريد الشيوعيون هذا أن يرسلوه .

« لأن الدعوة حكر لهم ؟؟

« جائز .

« وصمت « سليم » برهة .. ثم نبض وانقضا وهو يقول في سرور

« سأحضره لك .. أينما كان .

— عدا ؟!

— على المحرور .

وفادر « سليم » الحجره .. وتطلق إلى الخارج .

ومعت الساعات وهو يحاول عتاً أن يعرف أين ذهب سامى وأخيراً عاد إلى

الجرينة .

وأبصرت « فائزة » علامات القلق والاهتمام في ملامحه فصالت :

— عيرا ؟ لماذا طلب سامى ؟

— يريد أن يرسله بعد غد إلى القاهرة .

— في اللجنة التحضيرية ؟!

— أجل .

وهزت « فائزة » رأسها في أسف وقالت :

— كنت أذكره بها قبل أن يرحل .

— ولماذا لم تفعل ؟!

— لم أتصور أنه يمكن أن ينساها .

— إنه تناساها !

— لم تكن هناك غائبة إذا من محاولة تذكره بها .. اللهم إلا إخراجهم ..

وكسفى .

وجلس « سليم » على مقعده .. وحاولت « فائزة » أن تعود إلى حجرها «

ولكن « سليم » أشار لها إلى المقعد وهو يسحب آلة التليفون قائلا :

— اجلسى إلى في حاجة إلى معونتك . لا بد أن يحضر سامى بأى وسيلة

ومن أى مكان

وبدا الضيق على وجه « فائزة » . وهى تتصور هذا الـ « أى مكان » وقالت

وهى تحاول أن يهيم بالانصراف مرة أخرى :

— وماذا أستطيع أن أفعل ؟!

— تساعدينى . اجلسى .

وجلست « فائزة » وأسكت سليم بالساعة .. وطلب الترمك قائلا

— أعطنى بيروت مكانة شخصية عاجلة . للأستاذ سامى كرم . في

الكابيتول أو برستول أو سان جورج .

واثبتت إلى « فائزة » واسترسل يقول :

— لا أظنه سيرى في الجبل وسط كل هذا التلح

ولم تجب « فائزة » واستمر « سليم » يقول :

— لقد تعودنا أن نزل سوبا في الكابيتول .. ولكن من يندرى ربما قد غير

مراجعه .

وعاد « سليم » يتحدث عاملة التليفون :

— أجل مستجبل .. لأجل رقم ٢١٤٠٧ .

ووضع « سليم » الساعة .. ثم وجه القول إلى « فائزة » متسائلا

— لماذا لا تسأل عليه هناك ؟!

وحاولت « فائزة » التجاهل فصالت متعابرة :

— هناك أين ؟!

— عندها .. صاحبة الصور والخطاب

وبدا الضيق على وجه « فائزة » ولاذت بالصمت .

وعاد « سليم » يسأل :

— ما رأيك ؟!

وأجابت « فائزة » في عناد العصية :

— ليس لي شأن بهذا الأمر .

— إذا سألت أنا . أتمررين الرقم ؟

وهزت « فائزة » رأسها قائلة :

— لا .

وحاولت «فايزة» معاداة الحجر ، وتصاحك سليم قائلا :

— ما الذى يخيفك؟؟ إنها «لا تمضى» فى التليفون

وأمسك الدليل وأعد يبحث عن الرقم قائلا :

— هدى هدى هدى نور الدين هذا هو الرقم .. أرحو ألا يكون

قد تغير .

ووضع الدليل جانبا ثم أدار القرص بالرقم ، وبعد بصع دقات سمع صوت

«أم حبيب» يتسائل :

— آلو .. من ؟

— من فضلك نحن نريد الأستاذ سامى فى مسألة ..

— الرقم خطأ

ولم أن يتمكن «سليم» من تكلمة حديثه .. سمع صوت السماعة توصل

على التليفون

وهو «سليم» رأسه قائلا :

— امرأة متبرئة .. لم تؤخذ بالمعاجاة .

تحاول مرة أخرى .

وأدار القرص . ورفع السماعة .. وطالت الدقات هذه المرة .. وبدأ كأن

المجور قد صممت ألا ترد .

واستمر الحرس يرقى .. حتى صاقت به . عرضت السماعة متسائلة فى

عصب

— من؟؟

— نحن المسرح .

— السيدة غير موجودة .

— متى تعود؟؟

— لا أعرف .

— وأين ذهبت؟؟

— لا تعرف أيضا .

— أتم تذهب إلى بيروت ؟

وردت المجوز فى ترم :

— لماذا تسأل إذا ما دمت تعرف أنها ذهبت إلى بيروت ؟

— أريد أن أعرف أين ذهبت فى بيروت . إن لدينا طلبا عاجلا لها

— لا أعرف .

— إنها مسألة خطيرة .

— خطيرة .. خطيرة .. ذنبا على جنبها .. ماذا أفعل لها .. إنها لم تعد بعد

صعوبة .

— ولكنها ستتضائق لأننا لم نتصل بها .

— لقد قالت لى إنها لا تريد أن يتصل بها أحد .. هى المستولة .

ودون أن تحبه المحور . وقبل أن تسمح له بكلمة أخرى . أنهت المحادثة

وأغلقت الخط .

ووضع «سليم» السماعة وهو رأسه فى حيرة .. ثم قال كأنه يحدث نفسه .

— كان يمكن أن ندنا عليه فلا بد أن تكون قد ساهرت معه . إنه يتصرف

بدون عقل كأنى به قد جن .. هذا الأحق المأفون .

وعاد «سليم» يقلب فى دليل التليفون وقد شرده ذهنه ..

وبعد برهة تم قائلا :

— لماذا لا نطلب المسرح .. لنطعم يعرفون بها شيئا .

ولم يطل به البحث فى الدليل حتى عرف الرقم وأدار القرص ورد عليه صوت

عليظ متحد كأنه يتصارع فى التليفون :

— من ؟

— السيدة هدى موجودة ؟

— لا .

— أين أجدها ؟

— أسأل عنها في بيتها .. إنها لم تأت من مدة .

— هل أستطيع أن أحدث أحدا من زملائها ؟

— وأجاب الصوت في طعنة ضجر :

— يا أستاذ لا يوجد أحد هنا

— متى يحضرون ؟؟

— في المساء .

— ووصح سليم : الساعدة قبل أن يملقها الرجل في وجهه .. وقال في يأس :

— غير معقول .. يذهب هكذا دون أن يمر أحدا عن مكانه . هب حادثا

قد وقع في البيت . وهو يعرف أن أمه مريضة .. وبوبات القلب قد تفاقمها في

أى وقت .. غير معقول أبدا .

٣٢

تحدث

خطر يبال : سليم : أن يسأل عن : سامي : في البيت .. وقبل أن يمد يده ليرفع الساعة دق جرس التليفون وسمع صوت العامة تسأل .

— أطلبكم يوروت ؟

— أجل .

— ثريهون الأستاذ سامي كرم ؟

وعاد : سليم : يقول في لفظة :

— أجل . أجل .

— لم نجده في أى مكان .

— أسألت في الكاينبول ؟

— ويرستول وسان جورج .. أى خادمة أخرى ؟؟

— شكرا .

وصح الساعدة في يأس .. ثم عاد يطلب البيت . وردت عليه الخادمة فسلطها عن : سامي : .

فأجابته بأنه قد سافر .

وعاد يسألها :

— إلى أين ؟؟

وقبل أن يجيبه . سمع صوت : أم سامي : تسأل صائحة :

— من الذى يتحدث ؟؟

— سيدى سليم بك .

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

وبعد لحظة سمع صوت « أم سامي » يتسائل في حرج :

— خير ؟! ماذا حدث ؟ يا سليم ؟!

— لا شيء .. إني فقط أسأل عن « سامي » .

— أم يخبرك أنه سافر إلى بيروت .

— لا .

— عجيبة !! لقد ظننت أنك سافرت معه !

— كنت مشغولا بالأمس فلم أراه .

— لقد قال إن هناك أعمالا تستدعي سفره .

— أم يخبرك أين سيزل ؟!

— وسدني كان يخبرني إنه لا يحدثني عن شيء أبدا . وقد طال سهره و

الأيام الأخيرة حتى بات أشعث على صحته إنه يرهق نفسه كثيرا بالعمل

— فعلا .. إننا نمر بأوقات عصيبة .

— ولكن صحته لن تحتمل هذا الإرهاق .. إنه ...

وأحس « سليم » أنها ستدخل في حديث طويل عن « سامي » وصحته

ورواجه الحديث المعاد الذي سمعه مباحثات الزمات .. وكان « سليم » قد

عُودها أن ينصت إليها دائما . ولكنه أحس أن الوقت الذي يصره في البحث

عن سامي .. سيكون أجدى عليه من الإلتصاف إلى شكوى أمه من سوء

صحته .. فلم يجد بدا من مقاطعتها قائلا :

— وكيف صحتك أنت ؟!

— تردد سويلا يوما بعد يوم .

وقبل أن تطلق في الحديث عن سوء صحتها فاطمعتها قائلا :

— سأحضر لزيارتك والاطمئنان عليك لقد أبلغني سامي أنك ترهق

نفسك .. ألا تريدني أتي خدمة ؟!

— شكرا .. ربما لا يجرما منك ، عندما يحضر سامي سأخبره أنك سألت

عه .

ووضع « سليم » السماعة وهو يقول لنفسه :

— لا بد أن أقرأ عليه .. غير معقول أن ينصت هكذا .. هو معقول أبدا

ونظر إلى « فائزة » وهو يقول في يأس :

— ما العمل !! ليس أمامي إلا أن أذهب إلى بيروت لأبحث عنه في كل مكان

يمكن أن يأوي إليه .. أتأتين معي ؟!

— أنا ؟ هو معقول !

— لماذا ؟

— لأني .. لأني .. لا يمكن أن أسمع لنفسى بمطاردته .

— مسألة كرامة ؟!

— سمها كما تشاء .. ولكنني لا أتصور .. أن أذهب وراءها .

— هما ؟ ماذا تقصدين بهما ؟!

— لا شيء .

— هل تقصدين أنهما سافرا سويا ؟!

وهزت « فائزة » رأسها في ضيق وقالت :

— لا أعتقد شيئا .

وقبل أن يرد « سليم » دفع الباب ، وأطلق وجهه « فؤاد عبد الجبار » الطالب

ذي المول الشيعية وقال صاحبا :

— حاولت أن أستأذن السكرتيرة في الدخول .. ولكن لم أجد أحدا .

وهبت « فائزة » ومدت يدها للتحية وقد بدا عليها الارتباك ، وقال

« سليم » وهو يرد على نظرات فؤاد الوقحة في شيء من التحدى :

— كنا نتحدث في موضوع السفر إلى القاهرة لمؤتمر الآسيوي الإمبري .

— حقيقة ؟! لقد أتيت أنا للتحدث في نفس الموضوع . سمعت أن جدول

أعمال اللجنة التمهيدية قد أرسل إلى الأستاذ سامي .. هل أستطيع أن أحصل

عل صورة منه ؟

ونظرت « غيرة » إلى « سليم » متسائلة كيف تنصرف ؟

ورفع سليم حاجبيه في دهشة متعالية :

— جدول أعمال اللجنة ؟ وما لك أنت به ؟

ونظر فؤاد إلى سليم نظرة متحدية وأجاب :

— لأن سأسافر بعد غد لأمثل اللجنة .

— أنت ؟

— أجل .. لقد رشحت للسفر .. لديك اعتراض ؟

— طبعاً .. لأن سامي هو الذي سيسافر .

وعداء انطلقت قهقهة من فم فؤاد ، ونظر إليه سليم في غيظ وسأله :

— ما الذي يصححك ؟

— الظاهر أنك على نياتك جداً .

— ماذا تقصد ؟

— سامي سيسافر لحضور مؤتمر التضامن للشعوب الآسيوية الإفريقية ؟

وانطلق فؤاد يقهقه في سخرية مرة أخرى .

ونظرت إليه « غيرة » في غيظ وأشاحت بوجهها عه إلى « سليم » وسارت

متجهة إلى مكتبها . وصاح به « سليم » ناهراً إياه :

— كف عن هذه القهقهة السخيفة . وقُل ما تقصد ؟

وعاد فؤاد يردد :

— سامي سأسافر من أجل مؤتمر التضامن الآسيوي الإفريقي ؟! إن لديه

تضامناً من نوع آخر .. يلمز الآن في يروت .. فؤاد الله .

وضغط « سليم » على بواجده وقال له وهو يحاول أن يصبط أعصابه

— احترم نفسك يا فؤاد .. وكف عن هذا المزاج الذي تبدي به .. إن

« سامي » سيسافر إلى القاهرة لحضور اللجنة التحضيرية لمؤتمر التضامن .

ورد فؤاد في عناد وإصرار :

— إن سامي لن يذهب يا أستاذ .. لأنه مشغول فيما هو أهم من التضامن

الآسيوي الإفريقي .. مشغول مع هدى نور الدين .. لقد قرأ بها هذا الصباح

لبان

— أنت كاذب .

— أعجب أن أحضر لك من شاهدي هذا الصباح في نقطة اللجنة .. لقد

رأيتها عباس مروان الصمى .. وهما يريان الحنود في عربة « سامي » . الدنيا

كلها تعرف ذلك .. أما زلت مصرّاً على أنه سيذهب إلى القاهرة لحضور اللجنة

التحضيرية ؟

وكانت « غيرة » تجلس في مكتبها في الخارج وقد بدأ عليها الألم والبأس وهي

تنصت للكلمات فؤاد التي أعدت تدفع من فمه كالطليقات النارية . لقد كانت

تحس أن شيئاً من هذا لا بد قد حدث . ولكنها تمت أن يبقى مستراً

ولم تعرف كيف يتوّن أن يصرف سليم .. وأعدت تنصت لما يوشك أن يرد

به .

ومضت برهة قبل أن يستطيع « سليم » أن يتم أعصابه ثم قال في هدوء :

— اصبر يا فؤاد . سامي سيذهب إلى اللجنة التحضيرية . فأرجع نفسك

وكف عن هذا الصبحج الذي تحبته والإشاعات التي تنثرها .

— إشاعات ؟! أما زلت تصر على أنها إشاعات ؟

— أجل .

— إذا أتأكد أن تجمله يذهب إلى اللجنة .

— أتأكد أنا .. إنه سيذهب .. أما زلت تريد شيئاً ؟

— أريد جدول أعمال اللجنة .

— لن تأخذه .

ورفع حاجبيه وتساءل في حنق :

— هكذا ؟

— أجل هكذا .

— انقعه واشرب مائه .. سأعرف كيف أحصل عليه من أى مكان آخر .
واستدار هؤلاء وغادر المكان دون أن يلقى على أحد كلمة نحية .
ولم يكدهم بحدار الباب .. حتى نادى سليم قائلا :
— فابرة .

والغربت « فابرة » من مكتبته فى خطوات متعاقبة وقد بدأ عليها الأسى .
وفى لحظة حزن وإصرار قال لها :

— سأذهب إلى بيروت .

— لتضرب فيها على غير هدى ؟!

— لا بد أن أجده .. سأمر قبل دهاى على بيت « هدى » .

وتسألت « فابرة » فى دهشة :

— بيت هدى ؟

— أجل سأقابل هذه الخادم المحجور .. وسأحاول أن أعرف منها أين ذهبت

سيدتها .

— أتظن أنها تعرف ؟

— أعتقد ذلك .

— وستخبرك ؟

— محتمل .. إذا قلت لها السب بكل صراحة .

وفى الصباح انطلق « سليم » فى عربته متجها إلى بيت « هدى » .

وبعد بضع دقائق كان يلقى جرس الشقة .

وفتحت « أم حبيب » الباب ثم نظرت إليه فى تساؤل قاتلة .

— نعم ؟!

— أنا سليم جبرى .. صديق سامى .

— أهلا وسهلا .

— هل أستطيع أن أتحدث إليك بضع كلمات ؟

ونظرت « أم حبيب » فى تشكك وتسايل :

— من أجل ؟

— من أجل سامى .

— وما لي أنا به ؟

— أرجوك .. إنه فى مأرق وأنا أريد أن أحصل عليه بأية وسيلة .. إنها مسألة
عظيمة .

— وكيف أعرف أين هو ؟

— أنا أعرف أنه سافر مع السيدة هدى إلى بيروت ولا بد أن أتصل به
لأحضره لأمر هام جدا .

ونظرت إليه المرأة نظرة فاحصة .. وأصغت منه نوعا من الطمأنينة
فأفصحت له الطريق إلى الداخل قائلا :

— تفصل .

وخطا خطوات إلى داخل القاعة . وأغلقت المحجور الباب وهى تشير إلى
أحد المقاعد قائلا :

— اجلس .

— إننى فى عجلة . ليس هناك وقت .. لا بد أن أسافر الآن إلى بيروت .

— ولكن ...

وصمتت المحجوز برهة وعاد سليم يتسائل :

— لكن ماذا ؟

— ولكن ماذا ستقول سيدى إذا عرفت أنى أعطيتك الموان ؟

— لن أخبرها أنى عرفت منك .

— إنها ليست بلهاه .. إنها تعرف أنى الوحيدة التى تعرف مكانها

وصمتت المعجور برهة ، وحار « سليم » .. ماذا يفعل بها ؟ ولكنها ما لبثت أن رصعت رأسها قائلة وهي تحديق فيه :

— اسمع .. من أجل سيدي سامي سأخيرك بما تريد .. إلى أخيه وأكره أن أتسبب فيما يصابه .. أو يؤذيه .. ولكن كيف أتى إليك ؟
— ألم تنقني في حين الآن ؟

— لقد أحسست بأنك إنسان طيب .

— إذا قولي وأمرك إلى الله . ولؤكد لك أنك لن تنسى .

— لقد ذهبت السيدة إلى صومر في بيت السيدة « عليّة » الراتصة .. وقد سمعنا تقول إنه على السفح قبل الفندق .

— في صومر !! أوثقة أنت ؟!

— طبعاً .

ومد سليم يده يمز يدنها شاكرًا وهو يقول :

— شكرًا .. لن يسي لك سامي هذا الجميل

وأطلقت المعجور نفخة ساعرة من أنفها وقالت :

— أرجو أن يكون جميلًا حقاً .

وتركها « سليم » واندفع بهبط السلم ، وبعد لحظات كان يتطرق بالمربة في طريق بيروت .

حربة الحباء

أمسك « سامي » كف « هدى » وأخذ يتحسسها بشفتيه قائلاً :

— أما زلت تحسني بالبرد ؟

— قليلًا ..

وكانت « هدى » تتمدد على أريكة مخصصة في غرفة الجلوس ، وقد جلس « سامي » أمامها ، وأشارت « هدى » إلى مدعاة كهربائية وصمت في ركن الحجرة قائلة :

— قُرب هذه المدعاة .

— ليس في سلكها طول يسمح بتقريبها .

— لعل هناك بريزة في مكان قريب ؟

— لا أعطن .

— إذن تقرب نحن منها .

— أجز الأريكة ؟

— بل نجلس نحن على السجادة الحمراء بجوار المدعاة .

وهضت « هدى » .. فجلست على حرم السجادة الحمراء بجوار المدعاة وأشارت لسامي قائلة :

— أجل .. هنا تحس بالدفع جيداً .

ولكن « سامي » ظل واقفاً في مكانه .. وهو ينظر إلى المدعاة المحجربة المواجهة للأريكة محسلاً :

— لماذا لا نوقد هذه المدعاة ؟

— تحتاج إلى حطب وجهد .. تطل .. تمال .

— إلى أحب منظر النار بألسنتها الحمراء المترقصة في جوفها .. إن منظرها يوحى بالدفع أكثر من هذه المدعاة الجامدة . سأذهب لأبحث عن حطب في المطبخ .

ودفع « سامي » إلى المطبخ ووقف يبحث حوله عن وقود . ولكنه لم يجد سوى الصخرة والأرغف والثلاجة وموقد الغاز . وضع باب المطبخ المؤدى إلى الخديفة .. بعد أن دفع الثلج المتراكم حلقه .. وأحس بالسمعة البرد تلمع وجهه .. وغطا بصع خطوات عرق الثلج بعد أن صم أطراف السترة الصوفية حول صدره .. وانجه إلى حجرة خشبية مجهزة ملاصقة للمطلة التي وصح العربة أسفلها .. وأطل من نافذتها الزجاجية بعد أن أزعج طبقة الثلج التي كست سطحها ، فاستطاع أن يترى في أحد أركانها أثاثا مغطى ، وفي ركن آخر كروما من الحطب .

ودفع « سامي » باب الحجر بعد أن أزعج الثلوج المتراكمة أسفلها .. وحمل بعض قطع الحطب وانجه بها إلى البيت .. ودخل حجرة الحلوس حاملا الحطب ثم ألقاه بجوار المدعاة قائلا في مرح :

— عثرت على كنز من الحطب ، سأريك كيف تكون التدفئة . سأهدى لك قطعة من جهنم .

وردت « هدى » صاحكة :

— يا ساتر يا رب .. ألهت عندك هدية غير من هذه ؟

— وسط هذا الكوم من التلوج الذي يهبط بنا لا أظن هناك هدية أفضل من النار .

ولم تحض لحظات حتى كان « سامي » يبيع في لكسة الذهب المتصاعدة من جوف المدعاة ليزيدها اشتعالا

ووقف يهرك كعبه أمام المدعاة .. وقد بدا شبحه طويلا .. عريض المكيب

ثم اتجه إلى « هدى » فاعنى عليها ورفعها بين يديه ، وأحاطت عنقه بذراعيها ومدت شفتيها فست شفتيه وتساوت :

— إلى أين ؟

— سأرقدك بجوار المدعاة .

— ثم !!!

— أبدا عملية نشاط ضخمة في أنحاء البيت .

— مثل !!

— أجهز الحمام .. وأعد الطعام .. و ..

— وتكنس الأرض وتمسح البلاط !!

— لا .. لا .. الأرض يمكن احتياؤها هكذا .

وكان « سامي » قد استقر بمحله على الأريكة المواجهة للمدعاة . وبكبا ما لبثت أن وثبت واقفة ودفعته على الأريكة قائلا :

— ارقد أنت أمام المدعاة . كل ما ذكرت من صميم اختصاصاتي

— لم يأت إلى هنا لتتارخ الاختصاصات . إن اختصاصك الوحيد في هذه الفترة هو أن ترقدى وتستريحى .

وأشارت « هدى » إليه بيدها مهدلة . وردت وهي تسير متجهة إلى الحمام :

— ومن قال لك إنى لست مستريحة ؟ . أنظري هذه الأعمال تستدعى جهدا عارقا . سأريك كيف أعد الحمام في ثوان .

— والطعام !!

— سيكون معنا بمجرد أن تتأخر الحمام .

وعبرت « هدى » القاعة إلى الحمام . ووقفت أمام أسطوانة البوتاجاز وأدارت المفتاح ثم حركت يد الجهاز وأشعلت الثقاب ووضعت داخل الفتحة

ثم مدت يدها ففتحت صيور المياه الساخن فتدفقت المياه وأشعلت الجهاز .

ومطرت هدى إلى البحار المتصاعد من المياه الخشقة في « البانيو » وقالت صاحبة وهي تضع السداة في البانيو .

— هي شعلانة يا أستاذ . لقد جهر الحمام .. بعد برهة سيمتلئ البانيو وتستطيع أن تلبط فيه كما تشاء . حتى أكون قد أعددت الطعام .

— غير معقول .

— اسمع الكلام .

— لا أريدك أن تصيح .

— قلت لك إن هذه أشياء لا تعجب أبدا . إنها غثص . كم مرة تنظي المرحمة ستاح في لكي أخدمك وأنصرف معك كأنك ملكي .

وضمته إليها .. ثم همست في أذنه :

— إنها مرحمة الممر . فدعى أستمتع بها كاملة .. دعني أحبك . وأطعمك وأريحك . دعني أنسى أن أحدا سهرعت مني مرة ثانية .. دعني أنصرف كأنني أعيش معك أبدا .

— ولكنك ستعيشون معي أبدا .

— أحلام .. وأمان .. دعنا نصدقها ونستمتع بها ..

دعني أعيش معك حياتي في هذه الأيام . إن المرء لا يعيش حياته مرتين وصحبها سامي إلى صدره في لحفة قائلا :

— بل ستميشها مائة مرة .

وتركت هدى نفسها تسرحي على صدره .. وصوت المياه يتدفق من الصبور .. مشوا طبقة من الصباب أحدثت تنتشر في أنحاء الحمام تتركبة على

جدرانها طبقة من البحار المتكاثف كأنه العرق

وانفلتت هدى من بين ذراعيه قائلة :

— عدنا نتن من الحمام ناد على .

وخرجت هدى .. لتعد الطعام واستعانت بمقعد في المطبخ بعد أن

أحست أن الوقت قد أجهدتها .. وأخذت تفتح علب الطعام وتضعها في الأطباق .. وأوقدت فرن البوتاجاز حتى تسخن ما يتطلب التسخين .. ثم بدأت تنقل الأطباق لترصها على مضفة مستديرة منخفضة أمام الأريكة في مواجهة المدعاة .

واستلقى سامي في الماء الساخن والبحار المتصاعد من حوله . وأعضض عينيه وأرخص أعصابه وأحس كأن كل شيء من حوله قد سكن واسترخى .. وحاول جهده أن يسك ببعده ليصع به وسط ذلك السكون والاسترخاء فلا يخلط بعلت من يشرد به ويجهز بعيدا إلى الشارع والمشكلات والمهموم . واستكان الدهن فأغشى وتغطى .. ولم يحاول أن يتعدى ذلك الطاق المريح اليه المغادئ الحماط بالفلوح الدائق القلب بالأسرة البروان المترقصة في جوف المدعاة ، والبحار المتكاثف بين جدران الحمام .

ولم يوقظ الدهن المسترخي إلا طرقات خفيفة على الباب وصوت رنين يهبط :

— الطعام جاهز .

وتحس سامي عيبه ليحد الوجه الحسيل قد أطل عليه بعد أن فتح الباب وقد اتسعت الانبساط على شعته وشاعت السعادة في وجهه .

والجسم سامي قائلا :

— لم أجد أحد من استرخاء الماء الدائق في يوم ومهرير

وردت هدى عاتية :

— استرخاء الماء الدائق !!

واستدرك سامي قائلا :

— والخصب الدائق

وصحكت هدى قائلة .

— إنه في انتظارك .

وأغلقت « هدى » الباب وعادت إلى الحجرة لتلقى نظرة أخيرة على المتعبدة .. وفي طريقها مرت بالبار الزجاجي الذي وضع في ركس البهو وتوقفت أمامه وضمت خليفته وألقت على رءوفه نظرة سريعة .
ومدت يدها فأمسكت بإحدى زجاجات الويسكي .
وبدا عليها التردد برهة ، ولكنها لم تلبث أن جدهتها وحملتها إلى مصدة الطعام .. ثم انجذبت إلى التلاجة فأخرجت قوالب التلج من « العرير » ووضعها في طبق بملورى صغير ، ولم تجد أثرا للصوصا فجدبت رجائى كوكاكولا وصارت إلى حجرة المدفأة .
وخرج « ساسى » وقد لف المشقة حول رأسه ، وضم « البرنس » حول جسده ، ووقف أمام المتعبدة يمحس محتراتها ، وبدت الدهشة في عينيه وهو يجد زجاجة الويسكي وتساءل قائلا :

— هـ هذا ؟

— أتستأيل .. أم تستكر ؟

— شكل الزجاجة لا يحتاج إلى سؤال .

— استكأر إذن ؟

— ليس بالضبط استكأرا .. ولكنه فقط استعمار .

— هم ؟

— هم من أين أتت بها .. ولى .. ولماذا ؟

— من البار .

— صدقة إذن ؟

— طبعاً لأن لم أحضره منى .

— ومن ؟

— لى ولك .

— ولماذا ؟

— لى .. لأنى أريد .. ولك .. لكى تجر به .

— أنا لا أحبه .

— وأنا لا أتسك به .. لكنى تحبث دائماً أن أشربه معك .. كنت إذاً ما جلست وسط الحفلات بين الناس وأكرهونى على الشرب .. واحتسبت أول كأس .. طار دهمى إليك . ونجيت لوكنت حليسى .. كان حينما أن أشرب معك .. كم وصحتك أمامى بعين الوهم .. وتناولت منك كأسى .. وتناولت كأسك .. ورشعها سوا . رشعة رشقة ، وعيناك تتطلعان لى .. وعيائى تروان إليك . وأترك الكأس وأعمم بأن ألقى على صدرك رأسى .. ثم ألق . ألقى لأحد آخر على مقعدك .. وأجذك قد تطايرت وتبدد وهى فوك .. أفهمت لماذا أريد أن أشرب معك ؟

— أكاد أفهم .

— إسى أمارس معك كل أملاسى .. أحبك وأطعمك أمتلكك بلا شريك .. وأتأسى الوقت من حولى .. وأتأسى الناس والظروف .. وأحس أن ولناك . قد بتنا على ظهر الأرض وحدها .. فلماذا لا أشرب معك ؟! أذكره الشرب ؟

— لا أسببه .

— ولكنك تشربه فى الحفلات .

— حينما أجد ضرورة .. لا مفر منها .

ومدت يدها بالزجاجة وهمت برفعها فالتفت :

— لا أحب أبداً أن تقبل منى .. شيئاً لا مفر منه .

ومد يده بسرعة وأمسك يدها وأعاد الزجاجة قائلاً :

— سأشرب معك .

— كشى لا مفر منه ؟

— ولَمْ لا لو إذا كان حبك نفسه لا مفر منه .

— هكذا !!؟

— طبعاً .

— هل حاولت المقرار منه ؟

— لم أحاول .. لأن أعرف أنه شيء لا فرار منه .

— هل يصايفك هذا ؟

— أبداً . لا شيء يمتص كإحساسى . أن حيا شيء باق . لا نهاية له .

ولا غير هذه .

ورفعت هدى الزجاجة وأفرغت الويسكى في كأسه ووردت متسائلة :

— مشرب من أجل ؟

— أجل .

— وأنت متضايق ؟

— بالعكس .. لا يستعنى قدر أن أقبل ما يستعنى .

وصبت في كأسها قدرًا مما لا ثم وصعت الزجاجة وتسايلت .

— لم أجد صوداً . أبعثت أن تشربه بالكوكاكولا . أم تفصله بالماء ؟

وصحبت هدى : قائلاً :

— تسألى كائن حير .. أنت أدرى . ثم تفصله أنت ؟

— أفصله بالكوكاكولا

— وأنا أيضاً . على الأقل حتى أصبح طعمه وأمس أن أشرب كوكاكولا

ومدت يدها بالكأس إليه وتسايلت :

— غل كيف تراه ؟

ورشف هدى : رشفة ثم قال صاحبا :

— محتمل .

ورفعت من كأسها رشفة . وأعصت عيها وبدا عليها كأنها تستمتع

جهد برشعتها ، وتهدت قائلة :

— بماذا كنت تشرب عندما يضطرك الأمر إلى الشرب ؟

ورشف هدى : رشفة طويلة أخرى قائلاً .

— بلا شيء .

— كيف !! ألا يؤثر عليك الشرب ؟

— بناتاً .

— ألا تتأثر من الكأس الأولى ؟

— ولا الثالثة . فقد اضطرت إلى أن أجاهل في إحدى المحلات . ثلاثة

أصدقاء . في ثلاث كنوس .. وصايفى طعمها .. ولكنها لم تؤثر في أكثر مما

تؤثر ثلاثة أكواب من الماء .

— ألم تدخ منها ؟

— لم أدر إلا مرة واحدة .. من كأس من مودكا في حجم الكسبان .

وصحبت هدى : وهي تنصوّر هدى : دائماً ، من كأس مودكا وسائله

قائلة .

— صعب لي كيف حدث ذلك .

— كنت في طريقى إلى محسن البواب وعمرت بالفصل الروسى لأترك بعانة

ردا على ريارته . فوجدت ابنة .. ودعيتى إلى أن أشرب شيئاً فحاولت أن

أشكرها ، ولكنها ألحّت ، ثم قدمت إليّ كأساً صغيرة من الفودكا . وعندما

حاولت أن أختبر بأن الشرب يؤثر على معدى .. أكلت في خمس أن الفودكا

هى أحسن علاج للمعدة .. ثم دعيت إلى بالكأس .. ورصعنا إلى شعنى ودعصنا

إلى مسمى .. فأحسست بأنى أشعلت في جوفى لها ، ولكنى لم نملك إلا أن أرسم

على شعنى بسمة رضاء ، وأن أؤكد لها أن استمتعت بالكأس وأن معدى قد

أصبحت كالخديد ، ولم أكد أهم بالانصراف ، حتى وجدت القصر قد عاد .

ورحب بي الرجل وأصر على استيقاقى . لكنى يقوم بواجب الصياغة ، وقدم لي

كأساً من الفودكا .. وحاولت أن أختدر له ، ولكنى المكأس كانت أقرب إلى

شعنى من الاعتذار . ومرة أخرى أحسست بالحرق يشتعل في جوفى .
وعندما حاولت البوص أحسست بالأرض تدور في .. كما كانت تفعل عندما
« أركب المراجيح » .. وأسقط في يدى ولم أعرف كيف أخرج إلى الطريق
ولا كيف أذهب إلى مجلس النواب .. وكيف أواجه الأعضاء .

واستغرقت « هدى » في الضحك وتسابلت :

— وماذا فعلت ؟

— بسر من الله ، استمدت توازلى .. وكفت الأرض عن التراجع تحت
قدمى وأسرعتم مغادرة الدار عندما رأيت روجة الرجل مقبلة وأحسست من
معانم وجهها أنها مصرة على إكرامى .. بكأس ثالثة
ورشف « ساسى » رشقة طويلة أخرى من كأسه .. كادت تأنى على الشبهة
الباقية منه .

وأحسست « هدى » أنه شرب كأسه بسرعة فصاحت به صاحكة .

— ما هذا . يا أستاذ !! حينك . لماذا تسرع في إحسانها كأسها ماء ..
وكأنك تريد أن تتخلص منها على أى وجه ؟!

— كيف تريدني أن أشربه ؟!

— رشقة .. رشقة .. استمتع به .

وصحك « ساسى » قاتلا .

— ولكن الواقع أنى لا أستمتع به .. لأن طعمه لا يعجبى

— أنا منك . ولكن تظاهر أن طعمه يعجبك .. واحسنه بإيمان .

واستمتع . ونصوّر أنه سيسب لك بشوة ويسعدك .

— أنا أستطيع أن أنصوّر هذا من غير شرب كأس .. أنا أعرف أنها حالة وهم

ولست واقعا . وأنا أستطيع أن أوحى لنسبى أن انتشيت ، وأن أنتشى من غير

أن أشرب .. وأنة مجموعة من الصحاب يمكن أن يوجدوا أنفسهم في حالة نشوة

من مجرد اجتماعهم وتحملهم من القيود . وانطلاقهم على سجيبتهم .. بلا تكليف

ولا ترمت .. فتشبع نفوسهم .. وترفع أحاسيسهم . وتضاعف قابليتهم
للانفعال .. تصحكهم أنفه الكبات .. وترجعهم أحف الآلام .. ويصحرون
عن حياتها صلوهم .. من أقل إثارة .. ولأزهى سب . ذلك ما تعلمه نشوة
الكأس .. مجرد حالة .. يمكن أن يوحى به من غير كأس .

ورفعت « هدى » الكأس إلى شفيتها ، وهى تحسبها في بطء واستمتاع
قاتلة :

— ربما .

— هل تستمتعون حقا .. بطعم الويسكى ؟

— لا أظن .. إلى استمتع باحتسائه ، وليس بطعمه . لأنى قد عوّدت نفسي
على طعمه .

— أنا لم أعوّدها بعد .

— إذا قمهل في الشرب حتى تصوّدها .. ولا تجرّعها هكذا كالبدواء .. لماذا
لا تمنحني حصة الشرب منك ؟

وصحك « ساسى » ثم مد يده بالكأس قاتلا .

— لا تقصصى .. سأشرب هذه الكأس كما تريد . سأستمتع بها ..
وأستمتع

وملأت كأسه بعد أن أفرغت فيها ببقية رجاجة الكو كاكولا . وبدأ
« ساسى » يرشفها في بطء واستمتاع . وتسابل ضاحكا وهو ينظر إلى الأشعة
الحمرات المتراقصة في المدفأة :

— أيعجبك هذا ؟!

— أيعجبك أنت ؟!

ووضع الكأس على المنضدة .. ثم مال حتى انكأ برأسه على كتفها ومس
عنقها بشفتيه وقال .

— لا يعجبى سواك .. أيتها الغنية أنت أنتع ما في الوجود .. أنتع من

الحمر .. وأدنا من نيران المدفأة ، ومن بخار الحمام .. وأبهر من ساء التلج الأبيض .. كل هذه الأشياء الممتعة التي حولنا .. أنت أمتع منها . ما أحسست أبداً بالملل منك .

ومد يده فجذب مجلة لقاء بجواره ، وقال لها صاحكا .. وهو يشير بأصبعه إلى جزء من إحدى صفحاتها :

— اقرئي هذا .

— ماذا به ؟

— اقرئي .

— غير عني ؟

— لا . لا . سأقرأ لك أنا . اسمعي .. اسمعي .. لكي تعرف ما إذا كنت تحب إنسانا ما . حاول أن تقضي معه سبع ساعات . فإذا استطعت أن تجلس ولها وحيدتين بلا ملل .. فأنت بلا جدال تحبها .
وتسابت « هدى » صاحكة :

— سبع ساعات فقط .. أجهنون هذا الكاتب ؟

— لا جدال في أنه لم يهرب الحب .. إلى أحسن بعد أن أنقضى معك سبع ساعات .. أن أسوأ ما يحدث لي هو أن أتنزع منك .
— إن السبع ساعات تمر بما كأنها السبع دقائق .
— لقد مرت بها عشر ساعات .. وكأننا لم نصل إلا هذه اللحظة .

— عشر ساعات !! مرت بها عشر ساعات ؟! لماذا يبدو يا الزمن هكذا ؟!

لماذا لا يتجهل ؟

— دعك من الزمن الآن . دعيه يمر كما يشاء . إنما على الأقل . لن تقف بالباب لبودع أحدهما الآخر .. ولن يمر أحدهما من بين ذراعي الآخر ليرى الساعة ، ثم يعود ليرتدى ملابسه ويتطلق في ظلمة الليل .
— ليرتك الآخر يتقلب وحده في العراش ويحضن الوسادة .

— بل سنظل أمام المدفأة ، يطبق كل ماعلى صاحبه . ويستمتع بأنعامه .. حتى يطبق اليوم أجسادنا فنام .. وتستغرق في النوم .. دون أن نكلم أنفسنا حتى مشقة الذهاب إلى الفراش . ودون أن نخشى أن يسرقتنا اليوم .. سنستريح عندما يخلونا الاسترخاء . وسام عندما يهاجمنا النوم . وستنقبط عندما تنمطي وتناهب ، ونحس بأننا أحرار في أن ننام .. أو سننقبط .. ونتحرك في الفراش ببطء . لنام وستنقبط ثانية ، ونعم بكل ما ملكت من حرية الأحياء .

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

الحدود

مرت الليلة الأولى « بسامى وهدى » .. وهما يستمتعان بما سماه سامى « حرية الأحياء » . واسترخى الاثنان على الأريكة المنخفضة أمام المدفأة ، متعاقبين .. كأولئك ما يكون الصالح .. وأسرما تكون اللهفة . وأشد ما يكون الارتباط والحب .. وأهدأ ما تكون السكينة والطمأنينة .

واستيقظ « سامى » حلال الليل .. فوجد المكان غريبا عليه لأول وهلة .. وحاول أن يتحسس موضعه من الحجيرة كما تعود أن يفعل في حجرته في البيت أو في حجيرة « هدى » في دارها .. حاول أن يتصور باب الحمام ومكان التبرجة والدولاب .. ولكن معالم المكان بدت غريبة . ومرت برهة وهو يحاول أن يتذكر أين يكون .. هو أن يمر بمحاولة .. إلا الوجه الرقيق الغنيبي في صدره . والذراع الحليمة التي تصممه في رفق . وحررات حمر تشع بصوه حامت في أقصى المكان كأنها مصابيح آخر الليل .

ورويدا رويدا .. عادت إلى ذهنه تفاصيل المكان بالحجرات داخل المدفأة الحجيرية . والأريكة المنخفضة والبانو في ركن الحجيرة .. وباب الشرفة الرحاجي وقد تساقطت عليه الثلوج وهذا من وراء رجاجه صوه السماء الشاحه وقد تكدمت فيها السحب .

وتملكه إحساس متنج بالسكينة وهو يشعر بما يحسه له المكان من طمأنينة واستقرار داخل وحار جى .. ودهه قلبه وروحه وجسده .

وصم « هدى » إليه .. ثم مس شفتيها في رفق .. فزمت شفتيها نرد القيلة على غير إدراك منها وبلا إرادة . كما تنقلص عضلة النائم لصد الوحزة بمر وعى

ولا يقظة .

ورادت « هدى » انكماشاً في صدره .. واشتد ضغط دراعها عليه . كأنها تقاوم قوى تيمى انتزاعه منها . وقابل « سامى » صمتها بضمة أشد يؤكد بها أنه موجود وأنه باق .. وأنه أشد تشبهاً بها وإصراراً عليها .

واسترخت « هدى » بين أحضانها ، ومالبت حتى أرغى ذراعيه حولها ، ثم استسلم للنعاس وأغشى في هدوء وسكينة ولم يعرف كم طال به النوم .. حتى استيقظ مرة أخرى وكأن هذا تدلعه في عصف .

وتفتح عييه هذه المرة وهو على أتم الوعي بما حوله .. ليقع بصره على الحجيرة واضحة في صوه البهار الذي تسرب من رجاج الشرفة فأظهر معانها وأخفى وحج الحجرات الخمر القابعة في جوف المدفأة متشعبة بالرماد الأبيض . ولم يعرف ماذا أيقظه حتى عادت الطرقات تدق الباب في شيء من الإلحاح والاضطراب .

وتفتحت « هدى » عيها ونظرت إليه في وجل المفزوع من يومه ، لتجدته قد جس بصعه الأعلى وقد بدت في وجهه علامات التقلب والذهشة . وتسايلت « هدى » في جزع :

— ما بالذك ؟

— طرقات على الباب .

وأنتصت « هدى » ، وكان الطرقي قد كف .. وهذا السامى كأن الطارق قد أصابه اليأس فانصرف ، واسترخت « هدى » في القرائش وهي تحيطه بذراعيها قائلة :

— لا بد أنك وأهم .

وقبل أن يجيبها « سامى » ، رد عليها الطارق بمريد من الطرقات الملحة وأراح « سامى » العطاء ، وهم بالهوى .. ولكن « هدى » تشبث به

مستأثلة :

— إلى أين ؟

— أفتح الباب .

وعادت هدى ، تسام في دهشة وسحرية :

— لماذا ؟ .. أنتظر أحدا .

وهز سامي رأسه وتساءل بنفس السخفية :

— أنتظر أحدا هنا ؟

— إذن لماذا تريد أن تفتح ؟

— أتركه يدق إلى ما شاء الله ؟

— ... بل إلى ما شاء هو .. أو ما شئت تلامته .. عم .. لا أظنه إلا الزبال ..

يطلب الزبالة .

— زبال هنا ؟ في هذا المكان المفقرا

— ولم لا !! أبصر دخان المدعاة . فظن بالبيت بابا .. وطن للناس

مخللات .. فأق ليحملها ويسترزق .

وعاد فطارق يدق في إلحاح ، وراذ الانزعاج على وجه سامي .. ووثب

من الفراش دون تردد وهو يقول :

— حتى لو كان زبالا .. فلماذا لا يصرفه بالحسنى حتى يكف عن طرقاته

المرعبة .

وقبل أن يترك سامي الغرفة وثبت هدى من الفراش مستأثلة في

جزع :

— وإذا لم يكن زبالا ؟

وتوقفت سامي في مكانه وردد سؤالها وهو يلتفت إليها .

— إذا لم يكن زبالا ؟

— أجل .. إذا لم يكن زبالا .. أو يبيع صحف أو يبيع لبن .. أو أحدا من

طارق أبواب الصباح .. أعنى إذا كان طارقا أخطر من هؤلاء .. أم الحكمة أن

يحتج ؟

— أخطر من هؤلاء .. مثل من ؟

— أي إنسان يلاحقنا .

— أتوقفين أن يلاحقنا إنسان ؟

— ولم لا .

— يلاحقك أنت أم أنا ؟

— أو عن مما !!

— لا أظن أحدا يعرف أين عن .. عن الأكل من ناحيتي أنا

— ولا أحد يعرف أين من ناحيتي أنا اللهم إلا أم حبيب ، ولست

أحسن الظن بها حتى أتصور أنها تلاحقنا هنا

— إذن من يخشى ؟

— من يدري ؟

وعاد فطارق يدق . وقد بدا مصرا على ألا يصرف

وأسكت هدى بذراع سامي وحديثه داخل الحجرة وهت هي

بالخروج قائلة في إصرار :

— سأفتح أنا .. ابقي أنت داخل الغرفة .

وأعادها سامي إلى الحجرة ورد قائلا .

— ما هذا ؟! تخرجين أنت لتضحي وأبقى أنا هنا .. أنت مجرمة ؟

— ولم لا .. إذا كان زبالا سأصرفه .

— وإذا كان واحدا ممن تصورهم ؟

— سأصرفه أينما

— كيف ؟

— أخيره أين أقصى ما دور القاعة . وأق أرشد أن أسترخ

— وكثيرين أنه سينصرف ؟

وبدت الحيرة على وجه هدى .. واسترسل : سامي ؟ قائلا :

— أنظري أنه قد أتى من دمشق إلى هنا .. نكي بصرف بمجرد أن يعلم أنك هنا للنقابة .. كأنه لا يعرف .. أن هذا أدعى لبقائه .

واردادت الحيرة هدى . وصمت : سامي : برهة وهو يرقب أفعالاتها ثم قال في شيء من السخرية :

— اللهم إذا كنت تتوهم استصافته معنا .

ونظرت إليه هدى : في لوم قائلا :

— كف عن هذا المزاج السخيف .

وجدها : سامي : وصمها إليه لم دفعها نحو المرائش وقال في لحظة أكثر مرحا وأشد طمأنينة :

— اجلسي هنا .. سأرى هذا السخيف الذي يلح على الطرق كأن حياته معلقة بالدخول .. وسأعرف كيف أمصره أيما كان .

وانجحه : سامي : إلى البهو . وبعد لحظة كان يدفع الملاح ويمتص الباب ليجد أمامه سليم وقد تساقط الثلج على شعره وهوق كتمه .

وهتف : سليم : وكأنه يلقى بحمل من فوق كتمه :

— أخيرا .

ومصت برهة وسامى يظفر فاغرا فاه وقد ارتسست على ملامحه أقصى معالم الدهشة ، وهو يتساءل .

— سليم !! ماذا أتى بك إلى هنا ؟؟ كيف عرفت ؟

ونظر إليه : سليم : وهو يمعن عن رأسه الثلج الذي تساقط على أنفه وقال وهو يمد يده ضاحكا :

— أنوى أن تتركى هنا وسط الثلج .. أم ستسمح لي بالدخول ؟

— طبعاً .. طبعاً .. !! تفضل .. ادخل .

وجده من يده إلى الداخل ، ورأسه يموح بالأفكار والوساوس والأوهام .
وقبل أن يستقر : سليم : على المقعد . أمسك : سامي : بفراجه وسأله في جرح كأنما انتابه عاظم مفاجيء :

— هل جرى لأمر شيء ؟

وهر : سامي : رأسه مؤكدا :

— أبدا . أمسك بخير .. لقد حدثها بالأسس وهي في أتم صحتها .

— ما الذى أحصرك إذن ؟! وكيف عرفت ؟! وماذا ؟

— يا أخى .. دعى أنفط أنعامى . سأخبرك بكل شيء .

— أريد أن أطمئن .. ألم يحدث شيء مزعج ؟

— حتى الآن .. لا .

— إذن لماذا أحضرك ؟

— حضرت لأخذك .

— من أجل ؟

— السفر إلى القاهرة .

— له ؟

— لحضور المؤتمر الآسيوى الإفريقى .

ونظر إليه سامي في عجب ودهشة وتساءل كأنه لا يصدق .

— المؤتمر الآسيوى الإفريقى !! أمقول هذا ؟

— ولم لا ؟

— لأنى أولا .. قد اعتبرت عن الذهاب . وثانيا . لأن موعد الاجتماع

لم يحن بعد .

— اعتذارك لم يقبل . وموعد الاجتماع بعد باكر ، ولابد من تسافر عدا .

— لابد !! ماذا تعنى بـلا بد ؟

— أعني كل ما يمكن أن تعيه هذه الكلمة .
 — تعني أني سأستأجر أردت أم لم أرد ؟ ألا تعرف أني لا أقبل قط أن يرعى
 أحد علي شيء .
 — ليس هناك إزعاج . مستأجر لأن هناك ضرورة قصوى لسرك .
 — لست أرى هذه الضرورة القصوى .
 — عندما أقص الظروف التي تلائم الموضوع ستري بمنسك مدى ضرورة
 سفرك .
 — ولكن هذا غير معقول .. هب أني مت مثلاً . ماذا ستفعلون ؟
 — لا داعي لهذه الافتراضات الصيانية .. لأنك ما رلت على قيد الحياة ..
 وتستطيع السفر .
 — لكنني لن أسافر .
 ورفع سليم « كفيه مسلماً في يأس :
 — أترك ! كل ما أستطيع أن أفعل هو أن أقبل لك المسألة بمحاورها .
 وأنت وشأنك . تذهب أو لا تذهب .. إذا كنت تصر على أن تتحل عر
 واجك من أجل متعة بضعة أيام .. فهذا شأنك أنت وحدك . لقد فعلت أما
 كل ما استطعت لكي أعمر عليك وأبعثك حديث عبد الوهاب بك .
 — ماذا قال عبد الوهاب بك ؟
 وقبل أن يجيب « سيم » سمع « سامي » حركة في حجرة الجلوس وأحس
 بما يمكن أن يكون قد أصاب « هدى » من قلق عاتج إلى باب الحجرة قائلاً
 لسليم :
 — عن إيدك . دقيقة
 وفي الحجرة وجد « هدى » وقد ارتدت ثوبها الرمادي القصصا من الشبه
 بالروب ومشطت شعرها ووقفت بجوار المدفأة وقد بدت عليها أمارات الصيق
 والقلق .

وأقبل عليها « سامي » قائلاً في صوت خافت :

— إنه سليم

— أعرف .

— لقد حضر لكي يطلب سفري إلى القاهرة لكي ..

وقاطعت « هدى » وهي تتند في يأس :

— سمعت كل ما قال .

— وما رأيك ؟

— رأيي .. أني إنسانة محسرة ! حتى بضعة أيام .. أحاول أن أحيا
 فيها . كما يحيا الأحياء .. بأبهاها على القدر ! لم أطلب أكثر من بضعة أيام ..
 يساق فيها القدر .. والناس .. والشقاء .. والشباب .. يفلتون خللاً
 أعينهم وذاكرتهم .. ويسود أن كاتبة مأبوها علي .

وأحس « سامي » بما في صوتها من لوعة .. فأجابها هامساً وهو يتحسس في
 حنان عتقها وعدها وأنها وشقتها :

— لا تأخذني المسألة بمثل هذا اليأس .. إن العمر أمامنا صويل .. ولن نعدم
 فيه أياماً أخرى .. نضمتنا بعيداً عن الناس والمقاعب .

ورفعت إليه عيني كسبتها طيقة تترقق من الدمع وسألت في يأس .

— ستذهب إذن ؟

— سأستمع إليه .. لأعرف تفاصيل المسألة .

— ثم تذهب ؟

— إذا كان هناك ضرورة فلا بد أن أذهب .

— أصاقت الدنيا كلها إلا عدك . لماذا لا يرسون أحداً بدلاً منك ؟

— لو استطاعوا بالفعلوا . ولما تكلف سليم مشقة البحث عني والضيء إلى
 ها .

— إنهم يلقون عليك كل شيء .. لم أر إنساناً يقسو على نفسه من أجل العير

ملكك .. أليس من حقك أن تتراح !

— ليس هذا وقته يا هدى .. سأستمع إلى تفاصيل الموضوع من سليم ..
وسأرى ما يجب أن أفعله . تعالى لتسلمي عليه .

— إلى أكرهه .. لقد كان دائما ضدي .

— أكرهه كما تشأين .. ولكني أظن أنه من اللائق أن تسلمي عليه .. حتى لا يظن أني أغضبك عنه .. تعالى .

وخرج « سامي » من الغرفة متقدما « هدى » .. ورفع « سليم » رأسه ليوافق وجهها .. ولم يستطع أن يجمع نفسه من أن يؤخذ بمجامعها .. رغم روح الخصومة التي كانت تسيطر على كل مشاعره نحوها .

كان يتوقع أن يرى وجه غانية . أصابع الرقاد عن وجهها مساحيق الزينة وأصابعها .. فعدا لونها أصفر شاحبا .. ونسج الخطوط عن حاجبيها والكحل عن رموشها ، وبخ الثوم جفونها ، فعدا وجهها أقرع « كالبطاطس » .

كان يتوقع أن يرى وجهها أدبلة السهر والمجد .. ولم يبق من حاله سوى تقاطيع تحتاج إلى قناع دائم من الأصابع لكي يبرر حالها .

ولكنه أحد عندما أبصر وجهها صوحا . صاف السشرة .. مورد الوجنتين . كأنه وجه طفلة حلوة .. ولحج يفاض أسنانها وهي تبسم بحية إياه بانسامة يشوبها شيء من الحياء لم يتوقعه منها .

وانحدرت « هدى » مقعدها أمامه . وجلس « سامي » بجوارها ، وتخللت « سيم » إحساس بالاضطراب والارتباك ، وهو يشعر أنه قطع على عاشقين حلوتهما . وأحس أن عليه أن يقدم نوعا من الاعتذار بعد أن هزت « هدى » . بمجرد شكلها وأسلوبها في اللقاء والتحية . إحساس الخصومة والتحدى من نفسه ودعته فيه ميلا إلى التعاطف والفهم

وتغم سليم محاولا الاعتذار :

— أنا متأسف على ما فعلت من إقلاق .

وأحدث « هدى » باعتذاره وحنينه الآسفة .. وأحست أنها قد بلغت في تصور خصومته .. وأجابت في لهجة رقيقة :

— أهذا .. يستعدنا دائما أن نراك .

وصحكت « سليم » وهو يرى مدى ما في قولها من محاملة مامية للواقع ، ورد قائلا :

— جائز أن يستعدكم لقائي .. ولكن ليس في هذا الوقت أو في هذه الظروف

وصمت برهة يستجمع أفكاره ، ثم استرسل قائلا .

— إن أعرف جيدا . مدى ما في ريارتي من إزعاج ، ولكني أعرف أيضا أن المسألة تستدعي أن أقوم بهذا الإزعاج . وأعترف أيضا أنك تحرصين على مصلحة سامي أكثر مما تحرصين عليها جميعا .

وتهدت « هدى » وهي تستمع قائلة :

— طيبا .

واستمر سليم يقول :

— لقد سألت عبد الوهاب بك عنك ، ودعش من عيادت المعافي . ثم طلب مني الذهاب إليه ، وهناك أخبرني أن موعد الاجتماع قد قرب ، وطلب مسرك بصعة عاجلة . وقد عرضت عليه الذهاب بدلا منك . ولكنه أصر على ضرورة مسرك أنت بالذات إلى المؤتمر .. لأن الشيوعيين يصرون على ألا تسافر

وحذف « سامي » حسانا في دهشة :

— الشيوعيون .. لماذا ؟

— لأهم لا يتقون بك

— وأنا أيضا لا أتق بهم .

— إنهم واقفون من هذا . وهم يتبرون المؤتمر مسطرة مودهم وعن ربك أن يكون المؤتمر . منطقة مود للشعوب الآسيوية الإفريقية .. ومن أجل هذا

قال عبد الوهاب إن الرضوخ لم وإقصاءك عن المؤخر معناه التسليم بما يريدون .
ونظر سامي إلى سليم متشككا . ورفع حاجبيه متسائلا .

— أقول هذا لتحمسي للذهاب إلى المؤخر ؟

— بل أقوله كحقيقة واقعة .. أكندها حصور قواد عبد الجبار لمكبها ومحاولته
أن يحصل على جدول أعمال الاجتماع قائلا إنه سيحضر الاجتماع .. ثم سحر مسي
عندما قلت له إنك ستذهب .. وأكد أنك لن تذهب .

— هو قال هذا ؟

— أجل .

— لماذا ؟

— لأنه .. لأنك ...

وصمت « سليم » وقد بدا عليه التردد .. وعاد « سامي » يتساءل في
الحاج :

— لأن ماذا ؟

— لأنك قابع هنا بين أحضان هدى .

ورفعت « هدى » عينيها في دهشة ثم أطرفت . وتساءل « سامي » في
غضب :

— هو قال هذا ؟ من أدراه ؟

— قال إن الدنيا كلها تعرف .

— كيف ؟

— صحى رأيا في الحدود عند الحديقة فأشاع الخبر في كل دمشق
وأحس « سامي » تخطيط من العصب والصيق واليأس يعم نفسه ، ولعلكه
الوجوم ، سم يمس بكلمة وأحد بطرق الأرض بقدمه في عصبية
وكان « سليم » أول من قطع الصمت بقوله :

— من أجل هذا حشرت إليك .. لا بد أن تعود وتقطع ألسنة السوء

وتقصي على كل هذه الشائعات التي يحاول قواد إلثامها .. إن مجرد وجودك في
دمشق اليوم ودعائك عدا إلى القاهرة كفيلا بأن يسكتهم .

وتبد « سامي » وتساءل في صوت حافت وهو يحس أن المسألة أحقر مما تصور
— أنتظن هذا ؟

— بل لأؤكد .

ونظر « سليم » إلى « هدى » التي التزمت الصمت وقد غابت على وجهها
سحابة ألمى :

— ما رأيك يا هدى ؟

وازدحمت « هدى » ريقها وقالت في صوت خافت :

— إنك على حق .. لا بد أن يعود .

— وأظن من الخير أن يعود وحده . خشية أن يراك أحد معا . وسندحق به
في مرمى .

وأحست « هدى » كأن بدا قاسية تلوى عنقها وتجدب « سامي » بعيدا
عنها .

إن هذا يعنى الفراغ العاجل . الآن . حتى وحشة الطريق . لن يؤسها
وجوده .

وتحلت العودة بدونه .. وحيدة في هذا الطريق الطويل مع الشوج التي تشو
كأنها أكتفان تلف الكون .

عجبا لغوسا .. كيف تقلب .. الحلاوة مرارة . وكيف تجعل من الحليب
الأبيض .. أكلانا يضا .

ولم تجد « هدى » موى لمقاربة . وحدثت الكلمات على شعبتها
فلم تملك إلا أن تقوم وكأن عثا يتقل كاهنها ويقف ظهرها . وتحركت تحاء

الحجرة كأنها حطام معركة تحرر أديان الأبدحار

وبعض « سامي » وهو يتمم معتذرا لسلم :

— يصيح دقاتك حتى ترتدى ملايتنا .

ثم توقف قائلا :

— أأعد لك فنجانا من الشاي ؟

— لا داعي .. نخشى أن يضيع الوقت

ودخل « سامي » وراء « هدى » إلى حجرة النوم ، وفي صمت حزين ارتدى كل منهما ملايته ، وحزم حقيبته .

ووقف أمام جدران المدفأة التي حجب الرماد وجهها ثم مد يده فجذب دورق المياه وسكبه فوق الجدران .. وتصاعد البخار منها ، وتعللت المفاتيح ، وما لبثت أن جمدت .

وتهد « سامي » وهو يرقب في المدفأة قطع الفحم السود ثم ينظر إلى « هدى » . فإذا بها تقاوم طبقة من الدموع جعلت تسيل من عينيها ، وتساب على خديها حتى جاسب شفتيها ، وكعادتها مدت طرف لسانها فلعقت دموعها ، ولم يطق « سامي » النظر إلى دموعها ، وخشى أن تجر معها دموعه . فهمس بها وهو يتجه إلى خارج الغرفة حاملا الحقيبتين :

— هيا بنا .

أكثر علة؟

انطلق « سامي » بعزته إلى دمشق ، وبعد برهة كانت « هدى » تستقر في عربة « سليم » بعد أن أغلقت باب البيت .

وتحرك « سليم » بعزته في صمت ، وهو يحس كأن سحابة خائفة من الحزن واليأس قد غيبت عليهما .

وطال الصمت الحزين ، وهو حائر كيف يقطعه . كان يشفق على جاراته أن يثرى في نفسها شجما كامنا .. ولكنه كان يحس أن ثمة أشياء في نفسه يجب أن تقال .. وأن هذه هي فرصتها .

وهبت موجة من الصباب . أو العطيفة .. أعصمت الطريق .. فلم يستطع « سليم » أن يرى أكثر من يصيح عطلات أمام العربة .. هبدا السرعة .. ووجدتها عرصة سائحة لأن يقول شيئا يقطع به الصمت ولو كان غير ذي موضوع .

وسألها ، وهو يجد عنقه ليكتشف مزيدا من الطريق المغم

— هل تعين الضباب ؟

وأحس بمدى ما في سؤاله من بلاهة فاسترسل يقول :

— أنا أحس بشيء من المتعة ، وأنا أسوق في الصباب . كمن يحاول أن يخرس في أصاقي البحر ليكتشف شيئا .

كلام فارغ .. كان يمكن أن يقول غيرا منه . ولكن دعه لم يسمعه .. ولم يد عليا أنها قد فهمته . فقد أدارت رأسها ورمقته بنظرة نائمة ، ثم قالت كأنها تحاول أن تسكته :

— يجوز .

ولم يعرف ما هو هذا الذي يجوز .. ولكنه أحس بأن الكلام — حتى ولو كان بلا قصد ولا معنى — حرم من هذا الصمت المطبق الذي يذمغ بأحاسيس من اليأس تريد أن تتسلل إلى أعماقه مع درات الصباب المطبق عليه وحاول أن يرد بشيء يسترسل به في الحديث .. ولكن دهنه لم يسفغه حتى بالكلام الأبله .. وأحس أن عليه أن يركز كل انتباهه إلى تلمس طريقه وسط الضباب ، فأخذ إلى الصمت .

ولم تنته موجه الصباب إلا قبيل ظهر البدر عندما لاح لمبه المسى الحق لقطعة الشرطة ، وقد تراكت النوح على سقفه وعطت شرعائه وحروف مواجده واعتدل « سليم » في جلسته ، وهو يرى الطريق واصحأ أمامه .. دون حاجة إلى الاعناء على عجلة القيادة ومد العنق نحو رحاج العربة .

ومرة أخرى عادوه التفكير في تلك الأشياء التي يجب أن يقولها .. وحشي أن ينهي الطريق وتضييع عليه الفرصة الوحيدة التي يمكن أن ينتهرها .. وفجأة وبلا مقدمات التفت إلى « هدى » قائلا :

— اسمعي يا « هدى » ، أريد أن أحدثك في موضوع حيوى . كنت أظن دائما أن أحد الفرصة لكي أحدثك فيه . لقد كنت أود أن أقول لك رأى .. والتفتت إليه « هدى » ، وقد كست وجهها مسحة هم ، ثم قاطعته في مرارة :

— أظن أني أعرف جيدا رأيك في ؟

— كيف ؟

— من كل ما قلته « سامي » عني ؟!

— كانت مجرد آراء عامة قلتها بمناسبة .

— آراء تم كلها عن كرهك .. وسوء ظلك .

— لا أتحديها على هذا الوحه .. ليس هناك ما يدعوني أبدا لكرهك . على

التقيص .. أنا من أشد الناس إعجابها بك كصفانة .

— عانة فقط ؟

— تلك هي الزلوة التي استطعت أن أعرفك من خلالها . كواحد من آلاف المستمعين إليك ..

— لماذا إذن تجاوزت موقفك وتطوّعت لإبداء رأيك في من روائيا أخرى لأنظفك تدرى عنها شيئا ؟

— لم أبدا عنك رأيا كشيء مستقل . أبدا .

— شيء مستقل ؟

— أجل .. مستقل بذاته .. ولا علاقة له بأحد .

— لا أفهم .

— أمسي أني لم أبدا عنك رأيا إلا كشيء متعلق « سامي » يمكن أن يودى به .. وبدمره .

— أنا . أنا أدمر « سامي » ؟ . هذا يؤكد مني سوء فهمك لما قلت .

— أنا لم أتعرض لما بينكما .

— كيف إذن تحاول أن تبدي رأيك في كشيء متعلق به .. دون أن تفهم حقيقة ما بينا ؟

— أنا أبديت رأيي من رواية قد لا تريحها أنت . رواية لا أظن أنه يحسبها حقيقة ما بينكما بقدر ما يحسب ما يمكن أن تؤدي إليه هذه الحقيقة .

وهزت « هدى » رأسها في صيق وأجابت :

— لا أفهم ماذا تعني ؟

— إذن دعني أشرح لك الوضع على حقيقته .

— دعني أنا أولا أدمع عن معنى تلك الالهام التي ألصقتا في

— أنا ألصقت بك نهما ؟

— أجل . قلت إن امرأة بلا قلب .. لا أجرى إلا وراء المسعة

— الأحمق القبيح .. قال لك هذا ؟
 — وأكثر من هذا .
 — على أية حال . لم أقل ما قلت إلا كتعرج من أسلحة الدفاع ضدك
 — ضدي أنا .. ولماذا تراهي خصما ؟
 — لأنك فعلا خصم لكل من يهلك آمالا كبارا .. على « سامي » .
 — إنكم تظلموني . أنا لم أحاول قط .. أن أسيء إليه .
 — أنت تسبني إليه ذنوب محاولة .. إن مجرد علاقته بك إساءة إليه .
 — لماذا ؟؟ من أجل تلك الإشاعات التي يطلقونها حولي !! من أجل هؤلاء
 العشاق الذين تختلقهم الأوهام والذين يتروون الذهب من حولي . لكي يحسون
 حياة البذخ والترف التي تسبجها حيالات الناس لي .. ماذا في حياتي يستوجب
 كل هذا ؟؟ إلى أحياء أقل من أي امرأة متوسطة في دمشق .. معظم أيامي لا يوجد
 في بيتي من الطعام أكثر مما يوجد في أي بيت عادي . والدجاجة قد تبقى في
 التلاجة أربعة أيام حتى تنتهي . و « ملايكي » قد أعدت نصليحتها كلها حتى
 نلحم المودة . وتبدو كأنها جديدة .. لم أحاول أن أصعب ثوبا واحدا هذا العام
 لست أجد أبدا في حياتي شيئا من البذخ يستلزم عشاقا ينفقون .
 وتعمل « سيم » في مقعده ، وهو يحس بأسف لما سببه لها من مرارة دفعتها
 إلى الإقضاء بهذه الأحوال الخاصة عن حياتها .
 ونعم « سليم » في شبه اضطرار :
 — أنا لم أقصد أن أحررك .. أو أضعك بشيء . ولكنني فقط أحب أن
 أشرح لك حائبا من المسألة . يبرز ذلك الموقف الذي اتفقدته منك . والذي
 أصبر على اغتاده رغم ما قد يبدو عليه من مظهر العداء . إلى أجد من واجبي أن
 أوضح لك ذلك الجانب .. فطنتك تمهيه وتقديره .
 وتنهت « هدى » ثم قالت في مرارة :
 — ليتكم تفهمون أتم وتقديرون .

— أنت تعرفين « سامي » جيدا .
 — أعرفه أكثر مما يعرفه أي واحد في هذا العالم .
 — تعرفين مدى إيمانه بمبادئه السياسية .
 — لم أحاول قط أن أناقشه فيها .. أو أخفيه عنها .
 — إذن دعيني أنا أعطيك فكرة عنها .. إنما عرفت في هذه الفترة من تاريخنا بأدق
 مرحلة . إننا نتقف في مفترق طرق .. أو في مهب ريح . وعلى الدفعة التي
 ستعصا في هذه المرحلة إلى أي أحد هذه الطرق ما تتوقف حياتنا وحياة الأجيال
 القادمة . ومن بين هذه الطرق المدينة التي يمكن أن ندفع إليها . طريق واضح
 مستقيم .. يحقق لنا الوصول إلى كل ما نرجو من أهداف طيبة .. وكل ما نأمل
 من مستقبل مشرق .. مليء بالرخاء والطمأنينة والسلام .
 وهرت « هدى » رأسها في نوع من الملل كأنها تحس أن كل هذا لا يهمها ..
 ولا يدخل في الموضوع ، وقالت تصجله :
 — وماذا بعد ؟؟
 — أصبري علي .. إذا لم تهمني هذه الأشياء .. فليصعب عليك أن تهمني
 حقيقة الوضع الذي أحاول أن أوضحه لك .
 وحاولت هدى أن تتسلل بأهذاب الصبر فرددت قائلة :
 — ها !
 — هذا الطريق .. الذي يحقق لنا الشخصية القوية المستقلة هو طريق القومية
 العربية .
 — ما لي ، ولهذا كله .. لقد سمعت عن القومية العربية مئات المرات .. وأنا
 لست ضدها .
 — قلت لك أصبري علي .. لا بد أن تمنحيني الفرصة لكي أقول كل
 ما أريد .. أحب أن أسألك سؤالا بسيطا .. كيف يمكن أن تصوري أمريكا
 إذا انفصلت ولاياتها .. وأصبحت كل ولاية دولة مستقلة . دولة كتشكي

مثلا .. ودولة كاليفورنيا . ودولة .. نيويورك .

ونظرت إليه « هدى » في دهشة وتسايل :

— ما المناسبة !! لماذا يحدث هذا ؟

— ولماذا لا يحدث . لقد حدث هذا عندما . قطعت الأمة العربية .. حرط . غرط .. كما تقطعون « صبية السبوسة » .. لكي يقتسمها الآكلون .. حتى تصبح سهلة الاتهام . ولم يكن هناك مبرر لتقسيمها سوى .. هذا .. كانت تماما « كصبية السبوسة » .. نفس المجبة . ونفس النصح ، ونفس الطعم بلا حدود متصل بها .. سوى الخطوط التي رسمتها سكين الأكل .

وابتسمت « هدى » لأول مرة وقالت :

— وماذا تريد أن نصنع بصبية السبوسة ؟

— بعدها كما كانت .

— ولكن صبوية السبوسة !؟

— إنها مجرد تشبيه « هدى » .. لقد لعد إلى الأصل . قلت لك تصوّري الولايات المتحدة .. وقد تعرّفت . ثم تصوّري الأمة العربية ، وقد اتحدت بكل ما تمكّن من إسكانيات يكمل بعضها البعض . ولكل ما يها من تكامل في الباحية الاقتصادية .. فإن الأمة العربية يمكن أن تكون وحدة اقتصادية كاملة لاتنافس في داخلها . بلاد هارغوس أموال في حاجة إلى استثمار .. وبلاد تحتاج إلى هارغوس أموال لكي تستثمر طاقاتها المعطلة .

ونظرت إليه « هدى » .. وقد بدا عليها الشرود ، وكأنها لم تعد تضي بما يقول .

وأحس « سليم » أن أقواله تذهب هباء . ولم يجد بدا من أن يلهم حديثه السياسي ويصل بسرعة إلى ما يعيها من كل هذا الذي يحاول شرحه وهو سامي .. وصمت لحظة ، ثم استرسل يقول :

— ذلك هو طريق القومية العربية .. الذي يؤمن به « سامي » .. يؤمن به .. لا كورقة يلعب بها أو وسيلة حرية توصله إلى الحكم كما يؤمن بها بعض رجال الحرب . بل يؤمن به كطريق الخلاص للشعوب العربية كلها . يحقق لها الخلاص من كل سيطرة خارجية كانت أو داخلية . يؤمن به .. كطريق يحقق للشعوب القوة لكي تحرر من كل تبعية . ويمسح الحرية لكي تحقق لنفسها العدالة الاجتماعية .

وهزت « هدى » رأسها في ضيق وقالت :

— وما لي أنا بكل هذا .. أنا لست ضده .

— إنك تعين ضده من حيث لا تدري . إن الدفعة في هذا الطريق تحتاج إلى قوة كبرى لمقاومة الدعايات المصادرة . تحتاج إلى قوة لمقاومة قوة الشيوعية الغلية . التي تريد أن تدفع بنا إلى بوع من التنمية وتعرض علينا نظاما لا يمكن أن يلائم طبيعتنا . تحتاج إلى قوة لمقاومة قوة الاستعمار العربي الذي يصر على أن يطر إليها كميعة يجب ألا يتركها نصبح بين فكي الشيوعية . تحتاج إلى قوة لمقاومة قوى الرحمة التي تريد أن نحمدا . لكي لا تقدم خطوة إلى الأمام حتى نضل الفلقة المشحومة .. تغطي الكرة الخائفة . هذه القوى المقومة المخلصية يجب أن توجد في جميع البلاد العربية لتدفع بنا إلى الطريق السليم . و « سامي » هو أحد عمد هذه القوة عندما . هو الذي يقود الشباب ويملأهم إيمانا وعزما .. والقوى المصادرة تنلمس له المقومات والمخاطبات لكي تبثد إيمانهم به . وتشكك في كل ما يدعو إليه . وأنت من حيث لا تريدن قد تصبحين . أو قد أصبحت صلا .. إحدى وسائلهم في هذا

وصمت « سليم » برهة يلتقط أنفاسه .. ومالت حتى استرسل متصائلا
— هل أدركت حقيقة الوضع ؟! هل عرفت الجانب الخطير من المسألة ؟؟
هل فهمت كيف يمكن أن تكون خطورتك على « سامي » ؟!
ولم تحب « هدى » . وبدا الشرود في عينيها .. وكانت العربية قد دخلت في

الخدود البالية .. وأوقعه سليم العربة وهبط ليحوص في التلوح البيض التي
كست وجه الأرض .. فآثالا :

— عن إدراك يا هدى : دقيقة واحدة .

واختفى سليم في بقاء الخوارات ، ولم تغل غيبته طويلا حتى عاد إلى
العربة .

واستمر الصمت حتى عبرت العربة بحر الجمر ، ونظر سليم إلى وجه
« هدى » فوجد لها شاردة تالفة وحولت « هدى » بصرها إلى « سليم » .. ثم
زحزحت زفرة حارة وسألت في صوت خافت :

— والمطلوب ؟

وازدرد « سليم » وبقه ولم يجرؤ أن ينطق بما يتحتم طلبه منها كشيخة لارمة
لكن ما قال ، بل تساميل دون أن يلتفت إليها :

— ألى حاجة أنت إلى أن أذكر لك ما يتحتم عليك فعله .

— أن أتركه ؟ أليس كذلك ؟

— أجل .

وصمت « هدى » برهة .. وعادت تطلق بصرها .. في المراح الأبيس
الذى امتد على مدى البصر .. ثم التفتت إليه قائلة .

— لقد أمضيت نصف ساعة أنصت إلى حديثك عن مفرق الطرق الذى
تقف فيه . وعن « حبيبة البسوسة » والقومية العربية . وولادات أمريكا
المفصلة .. وانتهيت من حديثك إلى وضع يميني أن أسلم له ببساطة كشيخة
حبيبة لمطلق حديثك

— لا يمكن لأحد أن يرغمك على شيء

— مفهوم .. ولكن المفروض .. كإتساة لها ضمير .. أن أسلم بما طليت
— أعتمد هذا .

— ولكن . ألا تجد من حقى أن أبدي وجهة نظرى في الموضوع ؟

— أكاد أعرفها .

— لا أعتمد .

— أعرف على الأقل مشاعر سامى نجوك .

— ولكنك لا تعرف مشاعرى عمه .. أنت تعرف أشياء كثيرة عنه

وعن كعابه . وعن دوره السياسى . تعرف أشياء كثيرة .. عن القومية
العربية .. والشوعية .. والرجعية .. و .. و ... ولكن عى أنا ، لا أطك
تعرف أكثر من هذه الشائعات التى تنسب عليها خصومتك لى .
— ولكنى ..

— اصبر على ، كما صبرت عليك .. أليس من حقى عليك أن نسعى كما
سعتك ؟ أنا طرف في المسألة ويتحتم علينا قبل أن تصدر أحكاما أن نسمع بجميع
أطراف القضية . ألا تجد من الضرورة لك ، أن تعرف المسألة من وجهة
نظرى .. أنا التى أمثل الطرف الآخر .
— طبعاً .

وتهدت « هدى » قبل أن تبدأ حديثها ثم أسدت ظهرها على المقعد وألقت
برأسها إلى الوراء قائلة :

— أنا لست شريرة كما يمكن أن تتصور ، لست بلا قلب . ولست بمعينة .

ولست .. ولست .. من سلسلة هذه التهم التى حاولت دائما أن تلصقها بى .
— أنا متأسف .

— لا أقول لك هذا لكني تأسف .. ولست أغضى في حاجة لأسف أحد .
ولكنى أقوله لك كحقيقة واقعة يهمنى أن تنق في . وتصمها قاعدة لكل ما أئوى
أن أقوله لك من حقائق .. وإلا فلا ضرورة للحديث مطلقاً

— تكلمنى .. إلى أختدر بنح عن كل ما قلت .. سواء قلت الأسف أم لم
تقله .

— أنت تعرف أن من حقى في هذه الحياة أن يحب هذا أرم اللوازم لى في

هذه الحياة .. ومن أشد ما يمكن أن ندب به في حق أنفسنا ، وأن نخرجها من هذه الحياة صغر القلب واليدين من الحب .. هذا إذا صح .. أنه يمكن لأي إنسان أن يأق إلى هذه الدنيا ويخرج منها دون أن يحب — ما منا من أحد إلا أحب .. ولكن منهم أن يحب الإنسان الملام . — كعالم .. عن لا يختار .. لكي تنتفي الملام وتترك غير الملام . إنا نحب هذا الشخص أو ذاك . لا لأنه يلام أو صاعا الاجتماعية ، وبسب حاجتنا في الحياة .. وإنما نحبه لأن ثمة أشياء داخلية لا يمكن مقاومتها تدفع كلا منا إلى الآخر .. وأقول داعية لأنها بلا مقاييس ولا معايير .. قد تشابه نوجال في كل شيء ، ولكنك نحب أحدهما .. دون أن نحب الآخر .. كما أننا لا يمكن أن نقبل في الحب مبدأ البذل . مهما كان وجه الشبه ، ومهما كانت التفاصيل . — حقيقة .

— وأنا كمنحرفة في هذه الدنيا . لما الحق في أن نحب .. لا أريد أن أفسد عطفك على سرد ماضي حياتي ، ولكني أخص لك أيامي الماضية ، بأنها صياح أو هدو في صحراء جافة محرقة .. أنتجت عن ظلي أو ماء . تزوجت وأنا صبية صغيرة .. تزوجت لأخرج من حصار أمي ، أقبلت على الزواج في فرحة الطفلة . ترتدى ثوب العرس وتلبس بالدمي .. لم أعرف أن هناك شيئا اسمه الحب يمكن أن يربط بين اثنين ، وعشت حياتي مع زوجي ، كودج ارتبطت به ، لا يد من أداته ، تماما كما تتعاقد للقاء في صالة أو مسرح ولا يد أن أي مدة العقد ، ولم تطل مدة العقد مات زوجي . وبذلت أجسم الحرية . وأخذت أمارس مع الحرية تجاري مع جميع أنواع الرجال .. وانتهت إلى نتيجة . هي أن الحرية رادتي احتقا وأصاحت إيمان بالإنسان . الإنسان الطيب . النقي القلب الذي تستطيع أن تلمس فيه الأشياء الجميلة في الإنسان . الحب والرقه ، والوفاء ، دون أن تكشف مجاة أنها أصباغ وظلاء ، وسرت ، وفي حياتي نوع من اليأس الذي يجعل المرء يهدف بأعبائه ومسئولياته

ولا يحس لأي مشكلة من مشكلات الغير بإحساس جاد ، وتبدد إيمان بالخفاقي الطيبة ، حتى كنت أفقد كل ما في باطني من أشياء عذبة ، وأنت تعرف معنى ما أقول ، حتى لقيته . ولم أكن فيه مجرد رجل ، ولكني لقيت الأشياء الجميلة التي كنت أبحث عنها والتي اعتقدتها من قبل حتى خيل لي أنها غير موجودة . فجأة أحسست أن الضائقة الصادقة المرهقة التي أرهقها السير في الخمر والجفاف . قد استقرت عديع تحت ظل الشجرة . لم يكن هذا البيع سراها ، ولم تكن تلك الشجرة شجرا ، ولكن بيع حقيقي ، وشجرة خضراء وازقة .. وبحوار أحسست بأن الطمأنينة والسكينة قد عادت إلي .. أحسست أني أشبه بطفلة تستقر على صدر أمها ، وعادت إلى معنى كل الأحاسيس الجميلة التي كادت تنفوي ونجف ، أصبحت أحب كل الناس من أجله ، أصبحت أحس بمشكلاتهم ومآسهم . لم أشعر أني أعاف عليه وحده من البرد والحر ، بل شعرت أني أعاف أيضا على أم حبيب ، والحادمة ، وعلى بواب البيت وأولاده .. وأحسست أنه محسب أشياء كثيرة طيبة ، لا يحس بها الغير .. فصحت كل شيء .. ولم أحاول أن أطلب منه تلك الأشياء التي نصر المرأة على طلبها — كحق لها أمام الغير . لم أكن جاعلة بوضعه في المجتمع — كنت أعرف عملي ما حدثني عنه ، دون أن أدخل في تفاصيله ، ومن أجل هذا بذلت ما أمكنت لكي أستر حبا ، ولكيلا أحله عفا لا يظفنه .. بل حاولت أن أعصف عنه أعياء حياته ، ومتاعب عمله .

واعتقد أني مجت .. كنت أمتحه كل يوم ساعات من الراحة والسكينة لم يكن له معنى عبا ، ومجته الحب الذي كان في حاجة إليه .. بمثل ما كنت أنا في حاجة إليه . فعلت من أجله كل ما أستطيع ، وأنا على استعداد لأن أفعل المزيد . لقد قبعت في باب حياته الخلقى . بلا تبرم ولا صيق . وأنا على استعداد لأن أبقى فيه دون أن أطمع في أكثر من أن أراه . عندما يستطيع هو . دون أن أحله أي عيب .. أو أريطه بأي قيد .. هل هذا كثير علي ؟

وأحسن : سليم ، بأن صوته قد أوشك يهتق بالبكاء .. ولم يجب .. فقد كان عليه أن يصمت برهة حتى يربل عدوى البكاء التي أوشكت أن تنتقل إليه .
ورفرت : هدى ، رفرة حارة .. وعادت تتسائل بصوتها المختق :
— لماذا لم تجب !

وهز : سليم ، رأسه ، وقد شرد بصره في الطريق الذي تكاثفت من حوله اللالوج .. وقال في أسمى ومرارة :

— لست أفرى كيف أحبيب .
وازدرد ريقه ليخفى بحة البكاء وقال كأنه يحدث نفسه .
— مملك حق .
وصمت برهة ثم عاد يقول :
— مشكلة

النفس طيبون

كانت الساعة قد بلغت الثامنة والنصف صباحاً ، وصحابة ثقيلة سوداء نزحفت من الأفق المرقى منتشرة في صحبة السماء مدبرة ييوم معتم ، وعربة « سامي » قد وقفت بهاب مهي الجريدة على أمية الدخاب به إلى المطار .
وجلست « فائزة » بمكتبها تشاغل بترتيب بعض الأوراق .. تنتظر أن يخرج « سامي » من مكتبه لكي تصطحبه إلى المطار وقد تملكها شعور غليظ من الراحة والضيق ، والسكينة والقلق .

لقد أراحها بلا جدال .. عودة « سامي » ودعابه لحضور المؤتمر بالقاهرة .. وقصاؤه على الشائعات التي أطلقها خصومه بأنه فر مع عشيقته إلى بيروت وأنه لن يذهب إلى المؤتمر .

أراحها أنه عاد سالماً آمناً .. إلى موضع الحقيقى .. وإلى مكانه القهادي في الحركة التي يؤم بأهدافها .. دون أن يستسلم للبروة الطارئة التي جذبت منها .
أراحها . ابتعاده عن مصدر الداء ولو إلى حين .. فقد يبيء له ذلك فرصة مقاومتة .. والخلاص منه .

ولكن الراحة .. التي استشرعها . كان يشوبها قلق الشك في حقيقة الوضع الذي اجتذب إليه سامي . والمدى الذي بلغه في الارتباط بهذا الوضع .. والخيرة في مكانها هي من هذا التيار الغريب

ولم تلبث حتى رأت الباب يفتح وه « سامي » يخطو إلى مكتبها ، فهبت تستعد لاصطحابه إلى المطار .. ولكنه أشار إليها بيده قائلاً وهو ينظر إلى الساعة :

— ما زال أمانا ساعة ونصف على قيام الطائرة .. سأذهب لتقصاء أمر هام وأعود بعد نصف ساعة .

ولم يستمع على « هانزة » أن تخمس هذا الأمر امام .. وازداد بها الإحساس بالصيق والشك والحيرة والخوف . ولكنها لم تقل سوى التمسك بالصمت . والاستمرار في حطة التجاهل التي اتبعتها من بداية الأمر .

وغادر « سامي » المكتب متجها إلى بيت « هدى » . وبعد دقائق كان يقف أمام باب الشقة ، ولم يزد الجرس ، بل دفع المتاح في ثقب الباب . وخطا إلى الداخل في صمت .. ووقف برهة حتى تعودت عيائه على ظلمة اليوم ، ثم تقدم إلى المر المصق إلى حجرة النوم . ولكنه لم يكذب بخلو بصح عطلات حتى أبصر « هدى » وقد جئست مطرقة أمام المائدة وقد أسندت دفنها إلى كعبها وشردت بصرها في البحار الذي يتصاعد من صحان الشاي الموضوع أمامها .

ورفعت « هدى » رأسها وقد بوغت به بقف أمامها وهضت صائحة في فرحة :

— سامي !!

ونصت إليه مائة دراعيا في لفة .

واقرب بها « سامي » فضمها إلى صدره قائلا :

— طبتك في الفراش .

— أرقمت من البحر . وحاولت البقاء في العراش فلم أطق .. كنت أنتظر تليفونا منك .

— فصلت أن أفاخك بالحضور .. لأودعك قبل السفر .

ووجت « هدى » وشاع الأيسر في قسماها وهضت قاتلة .

— أستاذ اليوم ؟

— في طائرة العاشرة .

وعددت تصبه في خوف كأنما تخشى أن يترعه السر منها وهضت في

حان :

— هل ستطول عيتك ؟

— بضعة أيام .

— هذه أول مرة تفترق فيها .

— لن تطول الفرقة .

— أكره بك هذا قصر . إلى أحس بظمائية وأنت هنا على مقربة مني ..

أسمع صوتك عندما أريد . وأشعر أن في يومي شيئا جميلا .. أنتظر الحصول عليه .. شيئا يجعل لحياقي معنى .

وحدها « سامي » إلى المقعد المواجه للمائدة الرجالية المربصة . واستقر بها فوق المقعد وضما إليه وهو يبس :

— لا يستحق الأمر كل هذا الحزن .

— جائر .. ولكني مع ذلك أحس كأن هذا الرحيل . سيرحك مني .

— ما الذي يدفلك إلى هذا التشاؤم ؟

وأخضت « هدى » رأسها في صدره وأطلقت دمرة طويلة حارة ، ونحس « سامي » شعرها في رقن وهمس بها :

— ما بالذك . يا هدى .. ماذا حدث ؟

— لا شيء .

وصمت « سامي » برهة ثم تساءل فجأة :

— هل قال لك سليم شيئا ؟

— قال أشياء كثيرة .

— مثل ؟

— لقد حاول إقناعي بأن علاقتنا يجب أن تنتهي .

— هذا ليس شيئا جديدا عليه . ألم أقص إليك بما كان يردده دائما ؟

— كنت أخلفه دائما على أنه إحساس بخصوصية .

— والآذ ؟

— أحسنت أنه يتحدث عن إيمان بك ومصلحتك .

— مصلحتي أما أعرفها خيرا منه .

وضمها إليه هامسا :

— انسى كل ما قاله .. إنك أشد ما أحرص عليه في حياتي .

ومضت اللقائين تملو سريعا وهي قائمة بين ذراعيه .. وأحسنت به بخلص يسراه لكي ينظر إلى الساعة . وأصاحت حركته شعور السكينة التي أحدثت تعاودها وهي مسترخية في أحضانها ، وشدت أحضانها ووثبت من فوق ساقيه قائلة في مرارة :

— هل حان الوقت ؟

— لم يبق إلا ثلاثة أرباع الساعة .. والمفروض أن أعود إلى المكتب ثم أذهب إلى المطار .

— لماذا تعود إلى المكتب ؟

وتردد ه سامي : برهة قبل أن يجب :

— لقد تركت طائرة تنتظرني هناك .

— ولماذا تنتظرني ؟

— لأعطي بعض الأوراق .

— هل ستذهب معك إلى المطار ؟

— أفضأفك هذا ؟

وهزت ه هدى : رأسها وتهدت .. وعاد ه سامي : يسأل .

— ماذا يضايقك من فائزة ؟

— ألا يضايقني أن أكون الوحيدة في هذا العالم التي لا تملك حق وداعك .

أو مصاحبك . أو التميز عن مشاعري بحوك أمام الناس

وأحاطها ه سامي : بذراعيه وأحاطها برقعه وهو يتجه إلى الباب الخارجي

— أنت اليوم مرهقة .. أنت تحاولين مصافحة نفسك .

— معك حق .

— أنت الوحيدة في هذا العالم التي أحس أني أسارس معها مشاعري الحقيقية . ليس هاك من يملك إسعادي أو إشقائي غيرك

وألقت برأسها على صدره وأجابت في هبة حزينة :

— أسعة على كل ما قلت .. اعتلوني .. إنها لحظات ضعف .

— أبدا .. إنه حقلك .

ومرة أخرى ينظر ه سامي : إلى الساعة ثم ضمها ضمة أخيرة .. وعطا إلى الخارج وأغلق الباب خلفه .

وأحد يهبط الدرج في بطنه وقد شرد ذهنه ، واجتاز الباب الجديدي وسار في الطريق بصبح خطوات ، ثم أدار رأسه فجأة ورفع بصره إلى الشرفة .

وكانت المرة الأولى أن يحاول التلقت حلمه وهو يغادر شقتها . كان دائما

يسير بسرعة دون أن يحول بصره بمة أو يسرة . كأنه يحس أن عيون الشدث

وأصابع الاتهام تشير إليه . مؤكدة أنه عشيق ه هدى . ولكن في هذه المرة

أحس بأن شيئا بدعهه إلى الالتصاق إلى أعلى .. حيث الشرفة المطلة على الطريق .

ولمها تقف هاك .. وكانت لأول مرة مدحرجها .. تخرج إلى الشرفة لترقبه

يسير في الطريق . غير عابح بما يمكن أن تثيره من انتباه .

وعجب لذلك الشيء الذي دعهه إلى أن ينظر حلمه . وينطلق إلى الشرفة ..

وكانه واثق أنها هاك .. واقفة لترقبه وهو يختفي عن عينيها .. وأسعده ألا

تكذب عنه . وأن تكون موجودة دائما . حيث يتطعم إليها .. ويحسى أن

توجد .. وأسعده أيضا .. أنه أحس بوجودها وتطلع إليها .. ورد على نظرة

وداعها . الحرية الباتة .

ورفت كعها في حقة وأشارت إليه .. وبلا وعي ولا تفكير .. رفع كع

ورد الإشارة .. غير عابح بالمرة .. والباعة ، وأعد يلمص إليها في كل خطوة

حتى وصل إلى العربة .

وانطلق بالعربة إلى المكتب ، ليجد « هانزة » وسلمي « وقد وقفا أمام الباب الخارجى لمسى الجريدة وقد بدا عليهما القلق . وسرعان ما تقرا إلى العربة وصاح به سليم :

— كان المروض أن تكون في المطار الساعة التاسعة .

— ما زال أماننا وقت كاف .

— كيف والساعة التاسعة والربع ؟

— عشرون دقيقة كافية لحملنا إلى المطار .

— وإجراءات المطار ؟

— لن تأخذ أكثر من ربع ساعة .

وقبل شعاعه .. كانت المضيفة تولى في المديح أن طائرة القاهرة أوشكت على القيام .. وتطلب من الركاب أن يتجهوا إليها .

ومد « سامي » يده ليشد على يد « سليم » قائلا :

— وصينك الحريدة .. وهانزة .

وصحك « سليم » قائلا .

— لا أظن واحدا منهما سيحتاج إلى

وانتصمت « هانزة » ابتسامة باهتة وأجابته :

— غش لا نستغنى عنك أبدا يا أسناذ سليم .

ومدت « هانزة » يدها إلى سامي ، وهي تحاول أن تبتلع مرارة وداعة قائلة وهي تتصاحك :

— إذا احتجت إلى أرسل تلغرافا وسأكون عندك في أول طائرة .

ورد سامي :

— أنا دائما في حاجة إليك .

وانتصمت شاكرة وصوتها الداعى يقول في مرارة :

— كلام .. إنك لم تعد في حاجة إلى أبدا .

وانته « سامي » إلى الطائرة ود « هانزة » وسلمي « بلو حان له ولم يحاول أن يلتفت ليرىهما . فقد ارتسيت في دمه صورة لوداع لم يستطع وداع المطار أن يحجبها . كانت إشارة الشرقة أثبت في دمه من كل ما عداها .. وكان يتحرك إلى الطائرة وصوت « هدى » يهس في أذنه :

« آسفة على كل ما قلت .. اعذرى إنها لحظات صعب » .

واسترحى « سامي » على مقعده في الطائرة . وألقى برأسه على حافة المسد ، ومرت به المضيفة تنبه إلى شد الحزام .. وتحمه قطعة من الحلوى . وشد الحزام حول وسطه ببطء .. وأخذ يلوذ قطعة الحلوى بين شفتيه وتغلقه إحساس بالراحة ، والطائرة تتحرك به في الجو ، ومد عنقه إلى رجاء الباعثة المستديرة وأخذ يرقب الدور لتضاهل ورقعة الأرض تتعاضد لتصبح كالخرقعة . ودارت الطائرة دورة حول دمشق ، لتكسبها ارتفاعا يمكنها من اجتياز الجبال القائمة في طريقها إلى بيروت ، وبدت دور دمشق كالدمى تحيط بها رقعة العوطة الخصره المتكاثرة الأشجار ، وانتهت الطائرة نحو الجبال البيض التي بدت كأنها كتوس الجلاسد قد عطت الكريمة الدائبة حوافها واضرشت كل ما حولها .

واستمرت الطائرة تجاز الجبال البيض حتى بدت بيروت بين حصن الجبل والساحل وبدت مياه البحر بأمواجها ممتدة كأنها ظهر السمكة .

وأعاد « سامي » رأسه إلى المسد .. وأخذت الأفكار تتخلط في ذهنه .. « هدى » بظرائها الحريئة وأفكارها اللشائسة ، « وهانزة » بهمتها الخمر واستسلامها العائب . وهوامة الأحداث التي تلف البلد فتجعل كل ما فيها متأرجحا مهترا . ينتظر أحداثا .. والأحداث تقف مترهلة بالباب ، تأتي الدحول . ولا تريد أن تصرف وهذا المؤثر الذي يتصره في القاهرة أى نيازات يمكن أن تتعاده !! إنه لا يستطيع أن يكر حقيقة موقف البلاد الشيوعية .. لأن صداقتها واضحة .. وتأيدها مؤكد .. وانفادها الحاسب (جفت الدعوى — ج ٢)

البطولي في معاونة البلاد المكافحة من أجل استقلالها ضد الاستعمار العربي أمر لا شك فيه .. ولكنه يخشى استغلال الشيوعيين اغتيال للموقف كي يرجوا بالبلاد إلى نوع من التبعية يجعل العملية كلها تبدو كقطعهم .. بحر الصيد إلى الخطيرة .. ولوقوف يحتاج إلى دقة في التصرف .. ووعي بحقيقة الأمور .. وإيمان بالطريق المستقيم والمهدف الواضح .. طريق القومية .. وهدف الحرية الوطنية والمعادلة الاجتماعية والسلام العالمي ..

وتفتح « سامي » عينيه على صوت المصيفة تعلن أن الطائرة تمر بيورسعيد ، ومد رأسه إلى النافذة ، وألقى ببصره على المدينة الباسلة .. أو المزل التي فتح الطريق تياراً لحرية لكي يجرى معاقل الاستعمار ، وبمدت المدينة وكأن العمران قد بدر في أرضها فصحا آثار الدمار ، وبدت القضاة مستقيمة تشق الرسائل والبحيرات على الجانبين ..

وبدت المزارع المحصر تشققها القنات .. وتناثر وسطها القرى .. وأعاد « سامي » رأسه إلى المسد .. واستمر في التفكير مرة أخرى

هذه الأرض قد صدت قوى الطغيان ، لم تصدها ضغط عن نفسها .. بل صدها عن العالم المكافح الذي ينقسم بعصه أسام الحرية والذي يجرى إلى تسميتها البعض الآخر الذي مارا ليرسف في القيد .. إن الحركة ليست معركة بد واحد ، بل معركة عام بأسره .. معركة قديمة مستمرة يحوصلها كل بلد بوسيته .. وعندما حدث الاصطدام ها .. في هذه الأرض ، تطلعت الأنهار ، وأرغمت الأحاسيس .. وأحس العالم المكافح أن مصيره يقرر ها في هذه الحركة .. وأن تعظيم القيد ها .. إيمان بتعظيمه في كل مكان يرسف بالإسكان في أعلاله .. عصم على أن يعاون الشعب المكافح ، واستمرت الحرية .. وأشتعلت هذه الأرض شرارة الحركة لتشتكر .. في العالم كله .. بين طالبي الحرية ومختصبيها ..

وعلا صوت المصيفة تطلب من الركاب شد الأحزمة والامتناع عن

التدخين .. وأعلنت الطائرة نهط حتى أحس « سامي » بالطرقات الخفيفة لارتظام المجلات بالأرض ..

وفي المساء حضر « سامي » أول اجتماع بين الوفود العربية لتسيق أعمالهم كوحدة واحدة في المؤتمر .. ثم بدأت الاجتماعات العامة طوال اليوم التالي .. وشرح « سامي » الموقف في سوريا .. وأوضح التهديد القادر على حدودها الشمالية من الحشود التركية التي تحشدتها سياسة أمريكا العدوانية لملء الفراغ الموهوم ..

وبجمع « سامي » مجاحا تاما في إقناع الوفود بتطبيق الوضع الراهن في سوريا .. واستطاع رغم ماوريات المنسوب التركي أن يحصل على قرار بالإجماع بدعم تركيا وأمريكا .. وبطالب الأمم المتحدة بوقف التهديد الموجه إلى سوريا من القوات المحشدة على حدودها ..

وفي المساء عقب انتهاء الاجتماع اتجه « سامي » إلى فندق سميراميس لتناول العشاء بدعوة من الوفد السوفيتي .. وفي البهو صم مع بعض أعضاء الوفد جلسة خاصة لم يدرك أكات وليلة صعدة أم بت تدبر .. وكان يجلس معهم صديقه « أحمد عبد الحادي » ، عضو الوفد المصري ..

وبدا الفاش هيا لها .. بتشفة حارة من الرميل السوفيتي بالنصر الذي أحرزه « سامي » في جلسة اليوم ..

ونقلت المترجمة الروسية المتوردة الوجدتين كلام الرميل بنفس الحرارة والحماس .. مضاعفا لهما اجساما رقيقة عذبة ..

وأحس « سامي » رأسه في تواضع وخجل وأجاب بالرد التقليدي :
— ما أظننا نستطيع أن نحقق أي انتصار إلا بمعاونة إخواننا المحييين لحرية والسلام ..

ونقلت المترجمة حديثه إلى الرميل السوفيتي الذي بدا على وجهه الارتياح وأجاب بمحاسن مفرقة :

— إن هدف الاتحاد السوفيتي وبقية الدول الاشتراكية هو معلونة الشعوب
المكافحة في سبيل الحصول على حريتها والقضاء على الاستعمار .. إننا نجد يد
العون إليها بلا قيد ولا شرط .

وأجاب سامي :

— إننا والقوم من موقف الدول الاشتراكية ونقدر حق التقدير كل ما تقدمه
لنا من معرفة وتأييد .

وإنضم الزميل السوفيتي عندما نقلت إليه الترجمة كلام « سامي » ثم قال
وهو يبرز رأسه هزة ذات معنى :

— إننا أحيانا نعيش برغبة أكثر في الانسجام بترك الثقة وذلك التقدير .

وصمت « سامي » وهو يسمح الرد من شعبي الترجمة من خلال انضمامها
الرقيقة .. وأجس بأن الرد يعني شيئا ، ولم يعرف إذا كان من المستحسن أن يفتح
الباب للاستمرار في المناقشة أم يعلق الباب بكلمة بحاملة لا تقدم ولا تؤخر ،
ولم يسمع رده في الجدل ولا وجد من الوقت متصلا له ولا من الظروف
ما يلائمه ، فرد الانضمام بانضمام أرق قائلا :

— إننا لا نكن إلا إحساس الصداقة والمودة للاتحاد السوفيتي ولجميع
الشعوب الصديقة التي فقد لنا يد العون .

وعاد الرجل يتسم وهو يسمح رد « سامي » . وهذا عليه كأن شيئا في ذهنه
يجب أن يفتح الباب ليقول .. ويرى الانضمامات الحلوة عاد يحاول فتح الباب
قائلا :

— نتحدث بعض أشياء تدعشنا وتشككنا في مدى فهم حقيقة موقفا .

وبدا أن الباب الذي يحاول « سامي » غلقه قد أُنْزِلَ إلا أن يفتح على
مصراميه .. فقد مد « أحمد عبد الهادي » عنقه في المناقشة الدائرة وتساءل في
شيء من العجب :

— مثل ١٢

والصحت إليه الزميل السوفيتي قائلا ، وكأنه وجد النعذ الذي يعضد به إلى
المناقشة .

— مثل . موقفيكم من الشيوعيين ها .. بعد كل ما قدمناه إليكم من
مساعفات .. تحاكموتهم وتصعوبهم في السجون .

وهز « عبد الهادي » رأسه وهو يرفع حاجبيه متسائلا .

— ومادا في ذلك ؟! أي دخل لمساعدتكم بالشيوعيين الذين ها ؟

وبدا التساؤل والاستكار على وجه الزميل السوفيتي . وقبل أن ينطق
بكلمة عاود « عبد الهادي » الحديث قائلا :

— إن هناك حقيقة يجب أن نعلموها . وعلى مدى فهمكم لما يمكن أن نقام
علاقة الصداقة بيننا وبينكم .

وهو الزميل السوفيتي رأسه مستوصحا هذه الحقيقة ، فرد عبد الهادي
قائلا :

— إننا كأى شعب . لنا أهداف طيبة نريد أن نحققها لأنفسنا . نريد أن

نحقق مستقبلا تنوفر فيه الحرية والرحاء والمناخ والسلام

وكمونا من الشعوب قد رسما طريقنا إلى تلك الأهداف . وحددنا

وسبلنا .. كإرسم أنم طريقكم وحددتم وسبلتكم ، وكما تعترون أنم الخارجين

على الطريق .. المناهضين للوسيلة . هدامين معرقلين يجب تسخيرهم عن

المتجمع .. محترهم أيضا كذلك .. وإذا كان من حقكم وفاة نظامكم المحقق

لأهدافكم ، فس حقا أيضا أن نعمل ذلك . وإذا كان من حقكم أيضا أن

تحددوا صعات الهاميين عدكم .. فس حقا أيضا أن نحدد صفاتهم عدنا ..
والسافة سية . تتوقع على موع النظام المحقق للأهداف .

فالشيوخ الذين يعتبرون أسس الباء في نظام شيوعي ، قد يكونون سبب
المدم لنظام غيره .. وإذا سلمنا بأن الشعوب هي التي تختار بنفسها النظام
الملائم . وإذا سلمنا أنه ليس من حق شعب أن يعرض على شعب آخر نظامه

مهما كان ماسيا لنفسه . فبدى أيضا أنه من حق الشعوب أن تحدد صفات الخازجين على ذلك النظام ومن حقها أن تحجب نفسها شرهم ، وليس من حق شعب مطلقا أن يفسد أنه ليس لشعب آخر ما يجب عمله وما لا يجب تجاه بعض مواطنيه الذين يرى منهم تهديدا لنظام حكمه أو هداما لوحيته .. والشعب هو المسئول الأول عن أهدافه ووسائله وعن الطريقة التي يجمع بها تهديد هذه الوسيلة ومخارطة تلك الأهداف .

وصمت عبد الهادي برهة ثم سأل الزميل الذي أخذ يهتف إلى ترجمة الشرحين وقد بدت على وجهه علامات الدهشة .

— هل تقبلون أن سألكم عن تصرفكم إزاء بعض الروس المناهضين للشيوعية في بلادكم .. لأنهم مثلا مسلمون ؟
وهز الرجل رأسه بالنفي .. فاسترمل سامي قائلا :

— إذن لماذا تسألوا عن المصريين الشيوعيين .. وهم مواطنون مصريون قبل كل شيء .. إنهم منا أولا .. وإذا كان قد أصابهم صر ، فمصر هي المسئولة عنهم .. وليس الاتحاد السوفيتي .

وقبل أن يجيب الرجل أطلق سامي ضحكة من أنفه ثم ابتسم قائلا :

— الواقع أن هناك مسألة يجب عليكم أنتم أن تطروا إليها بين الاختيار . يجب عليكم أن تميزوا أساليبكم في التعامل مع الغير .. يجب أن تطوروا طريقة معاملتكم مع الشعوب .

وهز الرجل السوفيتي رأسه وتساءل وهو يحس أنه يستمع إلى كلام جدير بالانتباه .

— كيف

— لقد كنتم فيها مضي داخل ستر حديدي .. وكنتم تحشون على نظامكم من الرخ الخارجية . وكان الناس خارج الأسوار ينظرون إليكم في شك ولزيتاب .. كانت سفارتكم ها مثلا مكانا محرما .. وكنتم تعيشون في عزلة

خارج أسواركم .. وكنتم تعتقدون في مشر مبادئكم واكتساب ثقة الناس وصدائهم على التنظيمات السرية المتسللة وكنتم تأملون أن تنجح هذه التنظيمات وتقوى بحيث تصبح هي الشعوب نفسها ، أليس كذلك ؟
وهز الرجل رأسه وابتسم قائلا .

— أكمل .

— ولم تكن هذه التنظيمات السرية كلها تقتصر على الخصص فقط لمبادئكم ، بل كان معظمها مبرا على الجايس .. ولم تكونوا أنتم تستطيعون تحديد صفات المتعاملين معكم . لأنكم في حاجة إلى كل من يقبل التعاون معكم .. تلك هي خطتكم .. وهي غطة بعرضها وصعكم داخل الستار وريبة الناس عليكم . أما الآن فما حاجتكم إليها .. والشعوب تجد إليكم أبديا في ثقة وحيمة . ما حاجتكم إلى تنظيماتكم الشيوعية التي كانت تعمل تحت الأرض . إذا كانت الشعوب كلها تجد إليكم بدها مرحلة فوق الأرض . لم تعد سفارتكم ها مكانا معزولا .. ولم يعد رؤسكم يرزرونكم سرا . ولم تعد أعلامكم تجمع .. ولا مشهوراتكم تسب التهم .. لقد بتم لتعاملون جهازا مع كل الشعوب . فلماذا تحاولون التمسك بملاقات غير واضحة مع البعض .. لقد كنتم صداقة الشعوب بالمعاونة والصرخة .. فصادا تحاولون هدمها . بالتسلل والتآمر ؟

إذ العالم كله يؤمن بالاشتراكية . وتكافؤ الفرص بين جميع الأفراد .. ووقف الاستغلال والاحتكار . فلماذا لا تتركوا الحرية لكل شعب بعد أهدافه بوسائله الملائمة .. تحكسوا صداقة جميع الشعوب . بدل أن تحاولوا التسلل بتنظيمات شيوعية فتجسوا بمحاولة طرد الاستعمار العربي لفرص استعمار شرقي .

وانتهت الترجمة المتوردة الوجتية من ترجمة الحديث هذا الحماس . ولم يعرف : سامي : إذا كان حماسها نوعا من الأمانة في الترجمة .. أم نوعا من

الرضا عنه .. ولكنه لم يستطع أن يكرر الابتسامة الراضية التي ارتسمت على شفتها .

وهر الرميل السويتي رأسه .. وصمت .. وقبل أن ييم بالخديث اقرب أحد زملائه ليعلم بداية العشاء . وهن الجميع وأسك الرجل يذراع سامي في صداقة وقال له :

— سنكمل حديثنا في فرصة أخرى

وصمت برهة ثم استرسل يقول :

— إنا على أية حال ، عضل الرجال الأما .. غابهم أقدر على دعم الصداقة بين شعبنا .

والفقه الجميع إلى مائدة العشاء .

وبدأ العشاء بشرب الأغلاب .

وجلس المترجمة بين « سامي » وبين أحد أعضاء الوفد السويتي .. ولاحظت أن « سامي » يشرب عصير البرتقال فسألته ضاحكة في دهشة :

— لماذا لا تشرب شيئا يستحق للشرب ؟

— ألا يستحق هذا الشراب ؟

فرضت كأس الفودكا قائلة :

— الذي يستحق هو هذا .

وضحك « سامي » وسأله :

— أهذا يدخل في عملية الترجمة ؟

وأجابت المترجمة في ابتسامة عذبة :

— إني أتحدث الآن لحسابي .

وتذكر « سامي » إلخاخ « هدي » عليه في أن يشرب كأس الويسكي

وتذكر قولها « إني أريد أن أشرب معك مرة واحدة .. لأن لا أكاد أحلس لأشرب حتى أذكرك » .

وعادت المترجمة تسأل ضاحكة وهي تمسك رجاجة الفودكا :

— ألا تشرب كأسا ؟

وردة « سامي » في رفق :

— لم أتعود الشرب .

وبصوت أرق هتعت :

— من أجل !

وأدهشت « سامي » لمحتها . وأحس كأن ثمة عريضا إنسانيا يمكن أن يجمع بين شعوب الأرض قاطبة على اختلاف مذاهبها وأحاسيسها .

وقبل أن يفتح شفتيه بالرد .. رفضت المترجمة الرجاجة وملأت له كأسه قائلة :

— هذه الفودكا تذيب الغموم وتنش الأرواح .

وجرعت كأسها دفعة واحدة ثم أركته وهي تقول .

— ونفس الأحوال السياسية .. من أدهان الناس .

وضحك « سامي » .. وسألها قائلة :

— أتخمين الناس ؟

— الناس طيبون في كل أنحاء العالم . أتشرب كأسا أخرى ؟

— لا أريد أن أدعبل إلى الصديق محسولا على الأعناق .

وصمت بالرد .. عندما تحدثت جاراها وبدأت تباشر عملية الترجمة لحساب الجبلر .

ما تبادل الصمت بذل الحديث ، وإذا بكل منا يحمل في الآخر ويتسم في سذاجة .. كصغار التلاميذ ، ويحدثني الحب !

مشكلة أن أكذب إليك . كيف أناديك ؟ إن مطلق ألفاظ التذليل سهل .. تمتع . ولكن كتابتها قد تمسحها ، وتصنع رقيا وحلاوتها ، والمناجاة الخلوة الهامسة التي تبادها .. قد يكون لترديدها حلاوة في الأذن ، ولكنني أغشى لوعصمتها على الورق أن تكون جافة معادة ، وألا يزيد وقعها في النفس .. عن وقع العلامات الموسيقية لوتة مكتوبة . وشتان بين وقع اللحن في الأذن ، وأثر علامات النوتة على البصر .

أيمكن أن ألخص حديثي إليك .. بعد هذا الصغر والحيرة في أن في لفظة عليك وشوقا إلى لتلك ؟! وإن كنت — فيما يبس وبين نفسي — لا أدرى لهذه اللفظة مبررا .. عظيماك يروح ويعلو أمامي .. في إصرار . كأن الدنيا قد خلعت إلامه . أو كأنه يعرض عليّ نوعا من الرعاية ، أو الحماية ، أو ربما الرقابة . وصورتك في ثوبك الرمادي العصامي وبردي ينساب أسفل الشرفة ، وأنت تلوحين بيديك .. قد انطبعت في ذهني لتجذب كل ما عداها ، وتقف حائلا بينها وبين غيرها من المربيات .

في لفظة عليك رغم حالة الاحتلال التي فرضتها عليّ . والخصار الذي صرته حولي .. ولا أظن هناك محلا .. قد اشتاق إلى مستمره كما اشتقت إليك .

تري ماذا أحتاج حينئذ إليك . وملأني باللفظة على الحديث معك ، ودفعني إلى أن أمسك القلم لأكتب إليك ؟!

أهو المقعد المريح واسترحائي فوقه . بمحس عارغ .. ودراعين لا تصمان سوى ، وأنعاس إباحا فتدرد .. ثم أنصت فلا أسمع غير حفيف الأشجار تنيرها سمات الليل ؟

ثم تراه الأفق الممتد بأصواته المنعكسة في مياه النيل الزرقاء .. إباحا من فرط

الإساعة .. إلا ومنعها

انتبه العشاء .. وعاد سامي إلى حجرته في فندق شبرد ، وصمته الغرفة الدافئة المظلمة على البهر المريض ، وأحس لأول مرة بشيء من السكينة والاستقرار ، واستطاع أن يركز ذهنه لأول مرة في أحب مجالات التفكير إلى نفسه .. بعد أن كان يختطف التفكير احتطافا وسط تلك الدوامية من المناقشات والبيانات والخطب والقرارات .

واسترخى سامي في المقعد الكبير بعد أن جذبته نحو باب الشرفة الزجاجي ومد ساقيه ، وشرد بصره نحو أضواء الطريق التي انعكست في بحري النيل ، وتملكه إحساس عجيب بالخنين .. وعيّل إليه أنه يكاد يسمع حفيف أنفاس رفيقة يسري دفقا بين أحضانها ، ومد يده إلى الحقيقة فأخرج من كيسها الداخل صورة صغيرة أعيد يتأمل بسمتها الخلوة ، ثم قربها من شفتيه ومسها في رفق وما لبث أن أعادها إلى موضعها وهو يحس كأنها جزء من كيانه .

وملائته رغبة في أن يحدثها ويستمع إليها .. أن يقول لها أشياء كثيرة جميلة .. أن يذكر لها قسما في نفسه . ومزجها عنده . وأحس راحة وهو يجذب كراسة الاجتماعات ويقدها على صفحة بيضاء ، وأمسك بالقلم . ومضت برهة وهو يقرض طرفة بأسانه وقد بدا عليه الشرود والحيرة .. حتى بدأ الكتابة :

ه هدى ..

أنتعري أن الكتابة إليك مشكلة .. وألى ظلمت أتلطف عليها وأحضر لها في ذهني .. حتى أسكنت القلم .. وبدأت الكتابة ، فلأنني أفتق أمامك عاجزا .. تخالفا كما كنت أحضر لك الحديث ثم أفتك .. فإذا بكل ما في ذهني قد تبدد ، وإذا

الشوق مصاييح الطريق تنادى فى جبرى بردى ؟

أم هى الساعات الطوال التى مرت فى وأنا أطلّق فى بيضاء العمل وأنت واقفة باب الدهر .. أطلع إليك حلسة .. حتى خلوت بنقصى ، فاندفعت إليك اندفاع الصادى إلى عدير .

أما كان سبب الحزن . لقد وجدت نعى أجلس لأفكر بك ، ثم أمسكت بالقلم لأكتب إليك .

ثم .. وقعت بعد ذلك حائرا مشدوها .. لا أعرف ماذا أقول .

والكتابة إليك مشكلة .. إن لى الكثير مما أود قوله . ولكن هذا الكثير لو قلته لبدأ كأحلام الشراء .. هل أصعب لك القمر يتسلل من وراء السحب .. والبحر الرهيب تلونه المصاييح الشرخعة على صحفه ؟ .. هل أحدثك عن الشوق والعينين ، وكل ما يصطخب فى نغمة من أحاسيس طمعى عليك .

كيف أصوغه ؟ كيف أكتبه على الورق ؟

كلام كالذى يكتبه الناس !

هراء .. فى هراء .. إنه أكبر كثيرا مما يكتبه الناس . أكبر كثيرا من الكلمات الضعيفة التى تحملها بوسعها ما لا طاقة لها به .

بل .. كيف أصمت أنت معك . لو حاولت . أشك الدقيق . وعياك الصافيات ، ومما تملك السيلة .. و .. و .. ومما ؟ .. ؟

أهذا حقا كل ما بك ؟

هراء .. أيضا .. فى هراء .. أنت شئ أكبر كثيرا من الإطار الذى تصنعه تلك الكلمات التى تغد شكلها جيلا . قد تتساوى فيه مع عيونك من الجميلات . أنت شئ معوى ترجع كفته .. كل ما فى حبات من مصوبات مهما بدا من قيمتها وأهميتها

هل استطعت أن أشعرك بحقيقة موقعك فى نفسى .. بل فى حباتي ؟

ولكن أنصت أنت بحاجة إلى هذا التعبير والتفوق ؟

ألم تعرف موقعك عندى بعد ؟

عن نفسى أنا . أحس بالرعية الدائمة فى أن تؤكدى موقعى عندك . وأن تحدثني دائما عنه .

أحس فى كل لحظة بأنى أكاد أحتف :

موقعى عندك لا أعلمه آه لو تعلم عندى موقعك هل ألق من حباتك كما تقمى من حباتى .. فى القمة ؟!

هل تشعرون بمصارى كما أشعر بمصارك ؟!

هل أصمت عينيك عن كل ما عداى .. كما أضمضتهما عن كل ما عداك ؟

هل يلامرك طبعى كما يلامس طبعك ؟ هل . وهل .. ؟

أسئلة كثيرة تطوف بذهنى . وأود لو سمعت ردعا همسا من شفئك

ولكن أعجز ما فى الكتابة أنها ترين ما جاتا ومشاعرا على الورق وكأنها صيحة فى راد .. لا سمع لها حتى رجع الصدى . إنسايع الحب فيها .. بشئ مؤجل .. الله وحده يعلم متى نقبضه .

أفلس عليك ؟!

ولم لا ؟!

فى جلستى هذه . والحزن لا يبعدك . والشوق لا يردك . والسحب تملو على وجه القمر .. والماء يساق على وجه المصاييح . ولا شئ يؤس وحشتى سوى هذا الحظيف الذى يتدعى فى حيات أنفاسك .

ماذا أملك غير أن أكتب لك وأناجيك .. وأفلس عليك ؟

وأقول لك إن الكتابة إليك مشكلة .. ثم أكتب إليك أربع صفحات .. تملؤها الحروف من لونها إلى آخر سطر فيها .

ماذا إذن .. لو لم تكن الكتابة إليك مشكلة ؟!

أفقرين الحق ؟!

ليست مشكلة أبدا .. أن أحدثك أو أكتب إليك .

محاوله لثأر

أقمت « هدى » نظرة على صندوق البريد .. وأصابها رجفة .
 فقد تعودت أن ترقبه منذ أن سافر ساسى .. كانت تنتظر منه كلمة تخرجها
 من هذا الفراغ الذى تعيش فيه .
 متى سيأتى ؟! كيف يعيش ؟! أما زال يذكرها ؟! أما زال يحبها ؟!
 كانت تود أن تسمع منه كلمة تطمئنها عليه ، وعن نفسها
 ومصمت بها الأيام القلائل ، وكأنها تدور .. لم تكن تعرف قط أن الرمز
 دووجو هو وجه يمر بنا فى القلبي كأنه برق ، ووجه يتهاذى بنا فى العرفة
 كالسحابة .
 لم تتخيل « هدى » قط أن عقرب الساعة ، الذى كان يحدو بها يوم
 أحضارته .. هو نفسه .. المتعد المتسطى .. المتناوم فى عيابه .
 لقد بدا لها الزمن المتعجل ، وكأنه قد انتبر فرصة بعده ، وحصل على
 إجازة .
 وراحت تستحث الأيام المتباطئة . وهى تبحث فى الصحف عن أخباره ،
 وتبحث فى الإذاعة عليها لتلقط بآه .. وتذكر له التابعون عليها تماجاً
 بصوته ، وتحقق فى صندوق البريد آملة فى رسالة منه . وهمت ذات مرة أن
 تسأل عنه « سليم » .
 ووسط كل هذه « الدوخة » بحثت رسائله فى صندوق البريد ، ففتحت
 الصندوق فى لحظة ، واحتطمت الرسالة لتجد طابع البريد المصرى عليها
 فانطلقت بعدو بها إلى أعلى .

فما أحببت شيئاً فى حياتي .. ككل ما أفعله معك .. من النظرة الصامتة ..
 إلى الصمت المملوء .. إلى الثثرة البلهاء .
 وبعد .. أبقي شيئاً لم أتحدث عنه ١٩
 الكثير .. الكثير جداً .. فما أضفى بعد كل ما قلت . . قد قلت شيئاً
 ولكن نادداً لا أحتفظ به حتى ألقاك .. لقد أخذ تصب الليل ينسلل إلى
 جسدى .. وأود أن أتغطي ، ثم أسترعى على الفراش .. وأتفعل جهرات المدعاة فى
 صوغر تلمع فى ركن الغرفة .. وأنصت إلى البرد يتساقط على رجاج الباعلة .
 وأضم ذراعى فأجد حسدك مطوياً فى صدرى . وأغماسك تتردد دافقة على
 عنى .
 وأغمض عيني . على ليلة .. كأنها حلم فى الدجى .. أو جلسة الخليلس ..
 وأكاد أسمع من حفيف الشجرة .. صوتاً يهتف :
 قد يموت العمر إلا ساعة أو يموت الأرواح إلا موضعاً
 « ساسى »

ورأتها ، أم حبيب ، تتجاوز حجرة المائدة ثم تنجس ممرعة إلى حجرة النوم ،
فهتعت بها متسائلة :

— أنتجهر العناء ؟

وفي عجلة سمعت ردها .

— بعدى بعدى .

ودخلت إلى العرفة وأغلقت الباب .

كان الخطاب في حد ذاته .. وجهة .

وفتحت النافذة ، وغلبا يدق .. وأبصرت حطه .. فرفعت الرسالة إلى
شعبيها ، وصعدت فيها وجهها كأنها تصه ، وأخذت تشم الورق كأنها تشم
أبناسها .

ومضت برهة وهي تمسك بها ، دون أن تحاول فرائها .. كأنها سحيدة بمحرد
إمسائها ، وتحسها .

وهذأت أعصابها قليلا . هذأت القراءات واستمرت تقرأ . وتقرأ .. حتى
دقت الساعة أربعاً .

وهزت ، أم حبيب ، رأسها وهي تعذر للمطبخ متجهة إلى حجرة النوم وقد
أصابها القلق لعدم طلب هدى العناء .

واقتربت من الباب فلمحتها مستيقية على وجهها في المرايا وقد أسكت
المرسالة بين يديها ، ولزمت على شعبيها ابتسامة وشاعت السعادة في
قسماتها .

ومضت ، أم حبيب ، لتعسها :

— إنهي يدعها لك . كل هذا من أجل رسالة . وافعل لو كان بها مليون مرة
لما محتك كل هذه السعادة .

وأحست هدى بهمسها فرفعت رأسها متسائلة :

— نعم يا أم حبيب ؟

— نعم الله عليك .. ألا تريدن العناء ؟

— العناء ؟ !

قالتا وكأنها سببت أن الإنسان يتناول شيئا اسمه العناء

وأطرقت ، أم حبيب ، وقالت في هنيهة :

— أجل .. العناء .

— طبعاً .. طبعاً .. سأتى حالا لتناولها .

ثم قصرت من المرايا متسائلة في فرحة .

— ماذا أعددت اليوم يا أم حبيب ؟

ولم تتوقف ، أم حبيب ، للإجابة ، بل سارت إلى المطبخ كأنها قطار سكة
الحديد وهي تتمم :

— أعددت طعاماً من الذي تأكلينه كل يوم . هل أنت دابة بشي من

حزلك ، ما دام حبيب القلب غالياً !

وسارت هدى إلى حجرة المائدة وهي تتبدد بالصاء ، وقبل أن تستقر

على المقعد دق جرس التليفون ، ومدت يدها فرفعت الساعة قائلة :

— هاللو .

وسمعت صوت رباح يهيبها متسائلاً :

— هدى ؟

— أهلاً وسهلاً .

— أهلاً بك .. كيف حالك ؟

— الحمد لله .

— ماذا تفعلين ؟

— أوشك على العناء .

— الآن .. لقد كنت أحتسب أن أوقفك من النوم . ماذا أحرك حتى الآن

أنترفين كم بلغت الساعة ؟

ونظرت « هدى » إلى الساعة فوجدتها الرابعة والربع فأجابته قائلة :
— الواقع أني حشرت من الخارج متعة .. فحصلت أن أستريح ثم أتناول
العشاء .

— سأحدثك بعد العشاء إذن .

— لا .. لا .. إن أم حبيب لم تجهز المائدة بعد .. ثم إنسى أستطيع أن أحدثك
وأنا أتناول الطعام .

— ماذا ستفعلين بعد العشاء ؟

ولم تكن « هدى » تحس بارتباط بموعدها .. في جواب « سامي » : كانت
تحس بأنها تعيش في فراغ خربص . فقالت بلا تفكير :

— لا أظنني سأفعل شيئا .

— إذن أزرورك لشرب الشاي سويا .

— أهلا وسهلا .

— في أي ساعة ؟

— وقتا تريد .

— السادسة ؟

وقبل أن نجيب تذكرت موعدها مع الطبيب في السادسة فأجابته :
— لنفكر السادسة والنصف .. لأن لدى موعدا في السادسة مع الطبيب في
عيادته .

— حسن .. سأكون عندك في السادسة والنصف .

ووصفت « هدى » الساعة بعد أن ردت تحيته .. وبدأت تناول الطعام ..

ودعنها ما زال يستعيد رسالة « سامي » .

وم تستطع زيارة « رياض » أن تحوّل تفكيرها .. أو تفكر صموه فقد
تعودت فيه تلك الزيارات ، واستطاعت أن تروضه على وضعها الجديد
والقائم على أساس وجود « سامي » كشئ حيوى في حياتها .. ولم يجد هو مدا

من التسليم به .. والرضاء بأن يتخذ هو وضع الصديق الذي لا حق له في عزة
أو مناقشة أو حساب .. ولم يصعب عليها أن تفهم « سامي » حقيقة وضعه .
كصديق قديم كبير .. لا وجه مطلقا للحمية منه .. وأقنعته محصلة أنها على أهم
استعداد لقطيعته في اللحظة التي يطلب منها ذلك . وصارحته بكل زيارة ها
وكل زيارة له .

وكانت على ثقة تامة من القناع « سامي » بحقيقة وضع « رياض » .. ويعلم
صيقه منه أو كرهه له ، ولكنها لم تعرف بالصبط إلى أي مدى كان القناع
« رياض » بوضع « سامي » ، وإلى أي مدى قد سئم به ورضع له .. ثم تعرف
حقيقة باطنه ، وإن كانت قد التفتت عما أبداه من رضاء لم يملك هو أن يبدى
غيرة .. ما دام قد أصحى عليه أن يتنازل بين الحرمان منها أو التسليم به ...
وقبل السادسة كانت قد استطعت للذهاب للطبيب لإحرا . محض كان عيب
أن تقوم به بعد مدة معة من إجراء العملية وقبل أن تعاود حياتها الطبيعية وتباشر
عملها .

وقبل أن تفرج مادت هي « أم حبيب » من اسطح فائقة :

— سأذهب إلى الطبيب وأعود بعد نصف ساعة .

— بالسلامة .

— لا تعادري البيت حتى أعود لأن « رياض » بك « سائق في السادسة
والنصف وأعشى أن يحضر قبل أن أعود فلا يجد أحدا ..

— وماذا سأفعل إذا أتى قبل أن تعودى ؟

— أدعيله وأعدى له الشاي .

وتحتمت « أم حبيب » بكلمات غير مفهومة . ولم تحاول « هدى » أن
تفهمها وإن كانت قد حاولت أن تتأكد من أن كلامها هي قد بات مفهوما
للمحور المتحمسة عادت تسأل :

— أفهمت يا أم حبيب ؟

— مهمت وإن كنت أفضّل أن تأتي مكررة حتى تستقبله .. لم يعد مني نفس لاجلاسة الناس .

— م اطلب منك أن تجالسه .. فقط قدمي له الشاي . حتى أحضر

— إنه يحب الثروة والتساول والمجالة .

— قلت لك حالة مرة لا تحببي على أي سؤال يوجه لك . على أي حال سأعود
قيل أن يحضر .

— مع السلامة .

وخرجت هدى منجّهة إلى الطبيب . ولم تكن عيادته تبعد عن بيتها كثيراً . وفي السادسة تماماً كانت تعبر بأمان بحية المرحض وهو تسالطه

— الذكور موجود ؟

وأقبل عليها الممرض مرحبا مهللا .

— أهلاً وسهلاً أهلاً وسهلاً تفصل لا بد أنه آت في الطريق

وحسب هدى الى حجرة الانتظار وصمت بصع دقائق ثم سمعت وقع
تقدم لتدخل القاعة فسمعت بالهوى .. ولكنها لم تجد القادم أكثر من رائر ،
فعدت الى مقعدها .

وأحدث المفااتيغ ثم وبدأ القلق يتأبى .. فأمسكت بإحدى الصحف الملقاة في منبذة أمانها وأحدث تشاغل بقراءتها . وجذب التأملها عيان عريض عن النجعة الضخومية للمؤتمر الآسيوي الإقليمي فأقبلت على قراءة الصفحة في لغة . وأحدث تكرر الشطور عليها تنثر على اسم سامي :

ولم يصعب عليها العثور عليه .. فقد تكررت في الصفحة عدة مرات
وحاولت أن تقرّ الموضوع بأكمّله .. ولكنها لم تستطع أن تنته حتى النهاية
كان كل ما يهمها أن تعرف الأشياء الخاصة باسمي .. ماذا فعل وماذا قال
وماذا يقولون عنه

وانتهت من القراءة . ثم نظرت إلى الساعة فإذا ما قد بلغت السادسة

والضعف ، فوثقت من مقعدها متجهة إلى الخارج .. وكان الرّوار قد تكاثروا في
 حجرة الانتظار .. ووقف الممرّص بالباب ينتظر وصول الطبيب ، وقد بدا عليه
 القلق .. وعندما أبصر « هدى » عهم بالخروج - اعترض طريقها معتبرا في
 نتيجة أسفة :

— آسف على هذا التأخير .. ولكن لا بد أن يكون قد حدث طارئ آخره ..
إنه لم يتعد أن يتأخر .. ولا بد أن يكون في الطريق .. لأنه لم يحتسب في التليفون .
— لقد انتظرت أكثر من نصف ساعة .

— بحسب دلائل انگریزی .

— إن لديّ موعداً في السادسة والخمسة ولا بد أن أذهب إليه .

— سیتھائیں الذکور جدا .. إذا حضر ولم یجئک .

واہجست : ہدیہ ، قائلہ :

— دعه بنضابق حتی یکم عن التأمیر عن زهانه

— لابد أن يكون آتيا في الطريق .

— مند نصف ساعة ، وهو آت في الطريق .. لعله لا يكون آتيا من حلب .

— أهدا .. أهدا .. إته آت .. من ..

ولم يكمل الرجل حديثه فقد اقتحم الطيب الباب ، وهو يخف عرقه قائلا :

— هدى حاتم .. أمي جانا .. لقد دعيت لميعة طارئة .. تعضلي ..

— ساتي لك في وقت آخر .

— غير محمول . تفضل . تفضل .. تفضل .

— إلى على موعد في السادسة والنصف .

— ليس أو غيرك؟ فكر من حملي دقائق .. ثم قل لي .
 أنا لست من حملي .. أنا لست من حملي .. أنا لست من حملي ..

ومع ذلك .. هدى .. إلى إدراج الحبيب في النص .. بعد أن سرى من
موجوده .. رهاض .. ولكن إذا كان قد استطاع أن ينظر خمس دقائق .. فلا شك
أنه يستطيع أن ينظر أكثر .. والبركة في أم حبيب .. إنها تستطيع أن تسليه
بغير ثمن .. رغم ادعائها أنها تكبر .. الجليلة ..

ولكنه لم حبيب . كانت في ذلك الوقت قد انتهكت فعلا في إعداد الشاي . فقد وجدت في إبريق الشاي واقفا لها من أسنفة الرجل .. ولقيا سيدتها من شر ثمرتها معه .

وجلس رباح و وحده في حجرة الخلوس .. وقد بدا عليه الصيق .. فقد كان يتوقع بعد أن أجليت هدى الموعود حتى السادسة والنصف أن يجدها في انتظاره .. ولكنه أحس بالخيبة ، وهو يجد أم حبيب . فتفتح له الباب وتمود إلى الداخل وتغيره أن سيدتها قد ذهبت إلى الطبيب وستأتي حالا وممرت الدقائق بطيئة مملّة ، وحاول رباح أن يشاغل بالاستماع إلى الراديو فوجد به برنامجا للأطفال فأسرع بإغلاقه وذهب إلى جهاز التسجيل فأحد يشاغل ببعض الأشرطة . ثم أمسك بواحد منها ، ووضعه في الجهاز وأحد في إدارته .

وحار الشريط بأغنية راقصة .. وراودت الأغنية من صيق رباح . وانغمه إلى الجهاز لتضيق الشريط .. عندما وجد الأغنية قد توقفت ، ثم استمع إلى صوت رجل يمس في الشريط .

— هيا .
وأحس بأعصابه تتوتر ويسمه يرهف عندما سمع صوت هدى ترد هامة .

— قبلني أولا .
ووصلت إلى مسامعه صوت قلة أعقبها صوت هدى ليقول في شوة :

— قبلني أكثر .. وأكثر .
ورد عليها الصوت الآخر الذي لم يثبت في أنه صوت سامي هامة في رفق :

— يا حبيبي .. لقد بت أنصبي ما أريد في هذه الحياة .. بت أنصبي أماني ومتيني آماني . لا أريد من حياتي شيئا أكثر من بقائك معي .

وردت عليه هدى هامة في صوت ثابت :
— نفس ما أحس به .

ثم تعالت دقات البيانو .. واسترسلت هدى في الغناء بصوت حزين تكاد اللحوج تقطر من نبراته .

واستمر رباح ينصت حتى انتهت الأغنية .

ثم سمع صوت هدى : يمس قائلا في لجة الدالة .

— أحبك ولا أريد فقدك .

ورد عليها سامي :

— ألتقد روجي قبل أن ألتقدك يا حبيبي .. يا أعز الناس .. هدى .
أحبك .

وحسبت به هدى .

— سامي .. قل لي إن سأجذك دائما عندما أناديك لا أريد أن أناديك صبيحي الصمت .

— سأرد عليك دائما ، دائما ما دام من نفس يردد . هدى .
— سامي !!

وانتفى الشريط .. وأحس رباح بشيء يطبق على صدره .. ويهوى أمعاءه . وتساعد الدم إلى وجهه حتى أحس أنه يوشك أن يفتق ، ونظر إلى الجهاز . وكان خصمه اللدود يكس داخله . ونسى لو استطاع تحميمهما معا . وود لو أمسك بالشريط ممزقه إزها لعله يمسك بذلك صوت صاحبه إلى الأبد .

إذا فهي تحبه بكل هذا الحب .

لماذا ؟! أي شيء يهره عه . هو الذي قصي السير الطوال بكاد يركع عند قدميها . إنها رحيته به عشيقا .. ولم ترش به هو روجا .. وهي تريد أن يسلم بيذا .. ويبقى بجوارها راضعا مستسلما .

ولقد حاول هو أن يفعل هذا .. أن يسلم بمجرد رؤيتها . وظن أنه رؤى نفسه على الصبر حتى يبر الله ما بينهما .

ليس هناك شيء في الوجود يمكن أن يدوم إلى ما لا نهاية . أمر لا بد أن يحدث .. ليت هذا الشيء الذي يربطهما .. وهذا الأمل استطاع أن يصبر ، وأن يتحمل ، وأن يقاوم موبات لليأس المدمر الذي كان يتناهى من حين إلى حين . أما الآن .. وهو يستمع إلى هذه الحاجة الخائفة .. فقد أحس أن صبره قد نفذ .. شيء ما لا بد أن يفعله حتى ينفس عن ذلك الحقد الذي يعمل في حوفه .. فيكاد يقتله .

يدمر الجهاز .. أو يمزق الشريط .. أو يقتلها ، أو يقتله ، أو يفعل كل ذلك معا .

وبعد .. ما النتيجة ؟! أستطيع هو أن يقتل أحدا ؟!

كلام فارغ .. إنه لا يجرؤ أن يلمح دجاجة .

وإذا مزق الشريط .. وحطم الجهاز .. أستمع ذلك صاحب الصوت أن يكرر الحديث .. ويعيد الحاجة ؟!

وأستك بالشريط ، وعلمه من الجهاز . وقد طاف بدعته خاطر مباحي* . كيف طاف بدعته أن يمزق هذا الشريط . أن يصيح هذا الكثر ؟!

إنه لا يقضى عن صاحبه .. لو حاول أن يفرقه .. إنما القضاء عليه بإداعته وليس بإسكاته .

أجل .. أجل .. إنه نقطة .

ترى ماذا يقول فؤاد لو استمع إليه ؟

وق لمع البرق رفع سماعة التليعون ، وطلب نادى الشرق وسأل عن فؤاد وبعد لحظات كان صوت فؤاد يهيم قائلا :

— أهلا ! رياض ! .. كيف حالك ؟!

— اسمع يا « فؤاد » .. لقد عثرت ثلث على شيء لا يمكن أن ينظر بهالك

— ما هو ؟!

— وثيقة يمكن أن تدفع من أجلها الشيء الكثير .

— قل ما هي وحلصا ؟!

— شريط مسجل بصوت صاحبك .

— من ؟!

— « سامي » .

— ماذا به ؟!

— حاجة يبه وبين صاحبنا .. تثبت كل ما بينهما من علاقة .

— أتتكلّم جادا ؟!

— طبعاً .

— وكيف حصلت عليه ؟!

— عرّدت صدقة .

— وما الذي دفعه إلى تسجيله ؟

— لكي يخرّب بيته .

— أمتأكد أنه بصوته ؟!

— طبعاً .

— من أين تتكلم ؟

— من بيتنا .

— بيت « هدى » ؟

— أجل .

— غير معقول .. أتقول كل هذا من بيتنا ؟

— إنها غير موجودة .

— اسمع .. أمتستطيع أن تحضر الشريط ؟

— طبعاً .

— متى ١٢

— البية .. عندما أنتهى من مقابلتها .

— أم ؟

— في بيتي .. سأصحه لك عندى على جهاز التسجيل .

— في أية ساعة ؟

— الثامنة ١٣

— سأترك كل ما لذى .. وآتى إليك .. لقد وقع في شر أفعاله .. سيفيدنا

جدا هذا الشريط .

— ماذا تنوى أن تفعل به ؟

— دع الأمر لى . سأعرف كيف أقصى على كل ما حلقه في القاهرة ..

سأعرف كيف أثار مما قصه با .. سأتى إليك في الثامنة مع السلامة

ووصح « رياض » الساعة وأعطى الشريط في حيب مقطعه المصوغ على

الأريكة . وخطت « أم حبيب » خطوتها الأولى بعد أن طال انتظارها بالباب ،

وهي تعمل صيبة الشاي وتصحى إلى الحديث الذى دار في التليفون .

ووصعت الصببة في صمت .. وهي تقف بصرها بين الرجل . والشريط

المطوى في المعطف

ووقفت تنتظر أن يذوق الحرس لشدها سيدتها لتنفذ الشريط من بين يديه .

ومعاً تناول الرجل المعطف ، ثم أسرع متحيا إلى الخارج قائلا

— قولى لسيدتك لى انتظريها ، حتى السابعة . واضطرت إلى الانصراف

لأن لذى موعدا هاما .

— ألا تنتظر حتى تحضر .. إنها لا بد آتية في الطريق ؟

— سأتصل بها في التليفون

وقبل أن ترد المحور ، سمعت صوت الباب يفتح ، والرجل يبط السلم مسرعا

ولم تملك إلا أن تصرع كما يكعب .. وقد بدا عيبا العجز والدھول

٣٩

ملوحة

لم تحص بصبح دقائق على خروج « رياض » حتى دق جرس الباب .. وسارت
« أم حبيب » لتصفحه . فاعلمت منه « هدى » في عجلة وتساعلت لاهته .

— هل أتى رياض بك ١٤

وردت « أم حبيب » بلهجة هادئة لا تخلو من التهمك :

— وخرج .

— خرج ؟ لماذا ؟

— لماذا ؟ لأنه لم يملك .. ألم يكن موعدك معه في السادسة والصف ؟

وسطرت « هدى » في ساعة بعدها موجودتها قد جاورت السابعة فقالت في ترم

وملل

— تأخرت عليه نصف ساعة .. ولم أكن أعلم أن لديه من حلات الأعمام ما

يتمه من الانتظار .. فلماذا لم ينتظر ١٥

— لقد انتظر بما فيه الكفاية .. وأحد تصل بالاستماع إلى جهاز التسجيل .

وم تماً « هدى » بقول « أم حبيب » وهرت كعبها وقعدت بحقيبة بعدها على

الأريكة ثم انجحت إلى التليفون .

واسترسلت « أم حبيب » في حديثها وهي ترتقي في هدوء :

— ويبدو أن أحد الأشرطة أعجبه .. فأخذه وهرب .

وتوقفت « هدى » .. وقبل أن تمد بعدها إلى سماعة التليفون التعتت إلى

المجوز متسائلة :

— أحد الأشرطة أعجبه ١٦

— أجل

— وأخذه ؟

— وهرب

واستدبرت « هدى » إلى المحجور ، واقتربت منها وقد بدت عليها الدهشة وتسايلت في غيظ .

— أفرحين ؟

— بل أقول ما حدث

— أتعين أنه سرق أحد الأشرطة ؟

— بل معطيه

— ولماذا لم ينتظر حتى أعطيه له .. وأنا لم أكن لأصبر عليه به

ومضت إليها المحجور في غيظ وتسايلت .

— تعصيه له !. هكذا ! يمثل هذه البساطة !

وعجأة برقت الحقيقة في ذهن « هدى » .. وصاحت .

— لا أحدث تمبر الشريط الذى ...

— بل هو ما أعيبه

وبدا الدهول على وجه « هدى » وهتعت كأنها تحدث نفسها :

— غير معقول . غير ممكن

وبسطت المحجور كفيها في حركة استسلام يائسة وقالت :

— معقول أو غير معقول . هذا هو الذى حدث

ووقفت « هدى » تتعمق كأنها حادة .

— ولكن كيف جرؤ ؟! كيف تجاسر ؟!

ثم وجهت الحديث إلى « أم حبيب » تحاول التأكد منها لعلها تكون غخطئة .

— أوفاقه أنت من أن الشريط به كلام ؟

واسترسلت « أم حبيب » تكمل سؤال « هدى » مؤكدة .

— بيك وبين سيدى سامى بك ..

وانمجرت « هدى » صائحة :

— ولماذا تركته بأخذه ؟

وكانت المحجور تعرف كيف تواجه امجاداتها فأمسكت سرعها في رفق وأجابها بهيئة .

— لم أكن أستطيع أن أمسك بخاتمه . أو أعلو ورائه . أو أطلب الشرطة ..

لم يخطر ببال قط أن أملك مثل هذا التصرف مع صيولك ثم ...

وهربنا في شيء من العصبية وأردعت لائمة :

— أمثل هذا الشريط . يترك هكذا بها للأسماع ؟! كنت أظنك أشد حرصا

من هذا .

واهبزت « هدى » على الأريكة وأجابت في صوت خافت

— كنت أعتقد سماعه صباح اليوم . وتركته مع بقية الأشرطة . لم يخطر

بأل أن أحدا سيدخل البيت . لكني يستمع إليه ثم يأخذه ويهرب .

وعادت تصر على أسنانها صائحة في غيظ :

— ولكن لماذا يأخذه ؟! ماذا يجهه منه ؟

— أظنه في حاجة إلى أن يسمعه لبعض الناس

وقصرت « هدى » من مقعدها كرس لسحبها أنفى ، وأمسكت بدماعى

« أم حبيب » غيرها في عصف صائحة .

— ماذا تقولين ؟ يسمعه لبعض الناس ؟

— أجل .

— كيف عرفت ؟

— سمعته يتحدث في التليفون إلى شخص اسمه مؤاد . وواعده على اللقاء في

بيته .. ثم وصح الشريط في جيب معطيه . واندفع إلى السلم

وصخطت « هدى » على صروسها وهتعت وهي تحاول أن تقاوم بوبة بكاء

نوشك أن تصعب بها .

— المصنوع .. السائل . المسحط .. كان يجب أن أكون أكثر حذرا مع
ثم اندفعت إلى الباب كالقديمة . دون أن تترك فرصة لأمر حبيب لكي تسألها
إلى أين تذهب .. ولا متى تعود .

ولم تعرف كيف هبطت السلم . ولا كيف جلست في السيارة وأدارها
واطلقت بها .. كان ذهبها يلور في حركة صاخبة . تذكرت حديث سليم عند
عودتهما من صغر .. تذكرت أماله في سامي وخوفه عليه منها . وحشيته من
أن تكون سببا لتدميره .. وتديد إيمان الناس به . وتذكرت سحريتها من
حديث سليم . وعجزها عن أن تفهم كيف يمكن أن تسقى إلى سامي أو
تخدشه .

وتصورت ما يمكن أن يفعله هذا المصنوع الذي يأكل الحقد قلبه .. يمثل هذا
التسجيل .. لو سلطه إلى خصوم سامي .

كيف يمكن أن يستعملوا مآحاتهما المقدسة ، في السحرية منه والمرة به ؟
تصورت أي كارثة يمكن أن تحمل به . لو أقدموا على إداعته بين أنصاره بدل
أحد أصدقائه .
وأحست بمرارة أيتها .

هذه الحياة الساحرة !! لماذا تجعل من أجل مشاعرنا سببا لسحرية الناس
بها .. وحيلنا من أنفسنا !!
لماذا لا يفهم الحب غير أصحابه .

لماذا تأتي الحياة إلا أن تبديه بوجهيه المتناقضين . وجه القديس لأصحابه
وجه المهرج في عيون الناس .

لماذا تأتي إلا أن تجعل الحب عورة يجب سترها . حتى لا تصعب أمام الغير ؟
ولكن .. هل كل الحب عورة ؟
أم حبيبا فقط .

وهزت رأسها كأنها تحاول أن تسكت ذلك الطنن الذي يصطحب في
داخلها . ولكن المرة لم تستطع أن توقف حركة التروس الدائرة في ذهبها ،
والتي تتوالت عليها الأفكار ، متشابكة متداخلة .

أجل .. إن حبيبا هو الصورة التي يجب سترها .
ولكن .. أترى الناس . يحترمون الحب عندما لا يباشرونه .. حتى ولو
لم يكن .. مثل حبيبا .. عورة يجب أن تستر !!
لا تظن ...

الناس حساسة . غملا الأمانة قلوبهم .. لا يفهمون الأمور في الحياة
إلا بمقاييسهم الخاصة .

الحب الحياة . إذا ما أحبوا .. فإذا ما أحب الغير .. أصبح الحب محيلا ،
وعبلا

ومع ذلك .. ليقول الناس ما يقولونه . إنها تحب .. ونفس بقيمة هذا الحب
في حياتها .. ولا تملك إلا أن تنبئ بمقاييسها المرهقة ، وقلوب الحاقق الملهوف ،
وتقوم بأحاسيسها كأنهم ما في الوجود ، وأجل ما في النكرو .
ولا تملك إزاء هذا إلا أن تتمسك به بكل ما تملك من قوى ، وتصونه من كل
شر ، وتقيه من كل عدوان

ووقفت العربة أمام بيت « رياض » ، ووثت « هدى » منها . وملؤها
التحمر للزناك ، والإصرار على أن توقف تلك الحماقة التي يوشك أن يرتكبها
هذا الحاقق المصنوع .

ودفعت باب الخديقة فافتتح ، ولت باقة المعطف حول عنقها وهي تحس
برطوبة الليل لتسبح وجهها . ورضعت رأسها فلم تبصر أنوارا في النوافذ تدل على
وجود أحد في البيت .. واقتربت من الباب الداخلي ودقت الخرس .. ومضت
فترة قبل أن تسمع خطوات الخادم يقترب ليعتج الباب .

ولم يكد الخادم يبصرها حتى فتح الباب على مصراعيه وهتف مرحبا

— أهلاً وسهلاً .. تقضلي يا ست هدى .

وحطت هدى إلى الداخل وهي تحاول جهدها أن تتألك وتكبت انفعالها ، وتصبط أعصابها . واستطاعت أن ترسم على شفتيها ابتسامة ترد بها على الزحاح الذي تلقيا الخادم به . ثم سألت بقدر ما استطاعت من هدوء :
— البية موجود ؟

— خرج منذ ساعة .. تقضلي .

— والست هناء ؟

— توشك أن تحضر .. لا أعطيها ستأخر أكثر من ذلك

وسارت هدى إلى البهو .. وأعصابها تزداد توتراً . ودهها يرداد صخباً .. كان المخصوص أن يصل هذا الخنوع إلى البيت قبلها . على أية حال تنتظره برهة ، وربما قد مر في طريقه بمكانه ، أو بالسوق . ولا شك أنه في طريقه إلى البيت . فمواعده مع صاحبه هنا في البيت كما قالت أم حبيب .

ولكن هب أم حبيب أعطت الإصبات أو أعطت المهم !

هب الموعد كان في بيت الرجل الذي حدثه ، أو في النادي أو في مكان آخر !
لماذا تأخذ كلام أم حبيب قضية مسلماً بها ؟

ولكنها أحدثت من البداية على أنه كلام لا يقبل المراجعة أو الشك حمافة ؟! إنها تعرف أن نصف كلام العجوز فارغ .. وتعرف مدى عجزها عن النشيق الدقيق لكل ما يقال لها . بل تعرف كيف تحوّر في أسماء الذين يطلبونها في التليفون .. وكيف تحرف في أحاديثهم .

لماذا إذن اندفعت في تصديقها في كل ما قالت ؟

ألا يجوز أن الرجل لم يأخذ شيئاً معه . وأنه مَلَّ الانتظار . فأبَت عليه كرامته إلا الرحيل ؟

ثم . ألا يجوز أن يكون عملاً أعد شريطاً .. ولكنه ليس الشريط المقصود .

بل شريطاً لبعض أعان أعجبه . كما تعود أن يفعل دائماً ؟

لماذا لم تراجع العجوز في قولها ؟

ولكن كيف عرفت أم حبيب أن هناك شريطاً به حديث بينها وبين سامي . لعلها سمعته ذات مرة .. أو لعلها هي التي أُوحيت إليها بذلك يجب عليها أن تتروى في مواجهة رياض .

يجب ألا تلقى التهمة جزافاً .

غير لها أن تستدرجه في الحديث .

ولكن لماذا لم يأت حتى الآن ؟

أهكم أن يكون قد ذهب إلى صاحبه مباشرة ؟

ولم لا ؟ كل شيء جائز .

هي تجلس هنا في انتظاره .. وهو يجلس هناك للاستماع إلى التسجيل وحوله ثلة العجر .. يسخرون منه ما شأنت هم حسيتهم وأحقادهم

وكان الخادم قد اقترب بصبيبة الشاي ووضعها على المصدة ، ووقفت هدى وراء الباب الزجاجي العريض الممتد بحرص الحجر والمصق إلى الحديقة بعد أن أوضحت منه الستار .

وبدت أشباح الأشجار من وراء الزجاج جرداء تتسلل الريح بين فروعها

ووصل إلى سمعها خرير الخنول بسبب بخوار سور الحديقة .

وارداد بها القلق .. وهي ترهف السمع لأصوات العربات التي تنطلق في الطريق مارقة بباب الدار .. حتى سمعت صوت عربة تقف . وبها يقف ثم خطوات تقترب من الشرفة ؟ وبها رياض يسير بخطوات متأنقة نحو الباب الرئيسي . ولكنه لم يكذب يسمح صرير البهو يبدو من باب الشرفة الزجاجي حتى انعه إليه في شيء من الدهشة وجب الاستطلاع

وموجي رياض يهدي تقف وراء الزجاج . وتشمك بحسب النص يواجه الشرطة عساة وهو عائد بعيمته إلى البيت . ولكنه ما لبث أن غاثت (جنت الدعوى — ج ٢)

واستصحبك ورفع يده ملوحًا بالتحية .

وبحركة عصبية تصحب « هدى » الباب الزجاجي وتضاحكت قائلة :

— سأوفر عليك مشوار الباب ودق الجرس .. تفضل .

وأومته ضحكة « هدى » أنه بالغ في أوهامه .. وأنها بلا جدال لم تكتشف بعد مسألة الشريط ، بل قد لا تكتشفها أبداً .. إذا استطاع هو أن يقتله على شريط آخر ثم يبيده إليها . قبل أن تنفقه . وعتف بها صائحاً في دهشة .

— هدى .. ما هذه المفاجأة المدهشة ؟!

وحاول رياض أن يستعيد رباطه جأشه . ويسيطر على أعصابه ويخفى ما يخبئ في نفسه من انفعالات حادة متباينة . ولكن صوت المفاجأة انطلق يعلو في أذنه .. يثير كوابس شجنه وغيوته وحفده .

ولمأت نفسه للدراسة والحسرة وهو ينطلق إليها كشيء عرير قد انتزع صه .. وهو أحق الناس بامتلاكه . وأحس بأنه يود أن يشدها إليه في عصف .. ليضع أحداً من صهها أو الاقتراب منها .

ولم تدع له « هدى » فرصة الاسترسال في أوهامه .. ومدت يدها مصافحة وهي تحاول أن تكسو وجهها ما استطاعت من هدوء وعتفت مريحة :

— أهلاً رياض .. مساء الخير .

وأجاب رياض وهو يشد على يدها :

— مساء النور .. أهلاً بالهاربة التي لا تعرف المحافظة على مواعيدها .

— اضطررت إلى التأخر عند الطبيب .. ولم أتصور أبداً أنك ستقلق وتعاود البيت .. فلما لم أجذك . صممت على أن آتي أنا لربارتك .

— انتظرتك أكثر من نصف ساعة وحشيت أن تكون قد سميت الموعد .

— نسيت موعدك ؟! خير معقول !

— ولم لا !! ما دمت قد نسيتنا فلم لا تنسى مواعيديننا !

— أتم الذي نسميوى . مدأسوع ولم يسأل على أحد . لآنت ولا هاء

ليلة حافلة

كانت « هدى » تلقى بأحاديثها السطحية الماداة ، وهي تحس بظلمان في جوفها ، وعيناها لا تتحولان عن جيب المصطف الذي أخذت ترتبه منذ أن وقع بعصرها عليه ، وهو يقترب من الباب الزجاجي متدثراً به .

وبحركة لا إرادية وضع « رياض » يده في جيب المصطف فاصطدمت بالشريط .. وأحس برجفة .. وود لو استطاع أن يتخلص منه ، ومن المصطف ، في أقرب فرصة ليجلس ولهاها .. بهير إحساس بالنفيس بالدب والخوف في كل لحظة من اكتشافه .

ورسم على شفتيه انقساماً عريضة وقال صائحاً :

— عى الذي لا سأل عليك ؟! .. وكلما سألتا .. لا تجذبك إلا خارجة أو دامة .. أو رافعة السماعة .. أو شاذلة السكة .

واسترسل في حديثه ، وهو يتجه بخطوات بطيئة خارج العرة قائلا :

— حتى كدنا نأس من الحصول عليك .

وعندما اقترب من باب العرة همَّ بأن يناديها قائلاً :

— عن إنذك دقيقة واحدة .

ولكن « هدى » اعترضت طريقه ، وهي تمسك بدراعه قائلة :

— أريد أن أحدثك في أمر هام قبل أن تأتى « هاء » .. تعال .

وأشارت إلى الأريكة قائلة ، وهي تهم بالجلوس :

— اجلس .. لماذا لا نخلع المصطف ؟

وأحد « رياض » بخلعه ، وهو يحس بدوامة تدور برأسه .. ماذا تريد

« هدى » بالصبط ؟! أتريها عرفت أنه قد أخذ الشريط ؟! لماذا تصرف إذن بمثل هذا المشوء ؟! لماذا لم تتر فيه . وتطلب إعادته ؟! لعلها لم تعرف .. لماذا إذن حصرت .. أحمرد الاعتذار عن تأخيرها عن موعدنا ؟! ربما . ولكن ما هذا السر الذي تريد أن تحدثه فيه قبل وصول « هاء » . لعلها في أزمة وتريد تقودا .. جائر جدا . وأراحه هذا الحاطر . وهو يخلع المعطف وهم يندق الحرس للمادة الحادوم حتى يأخذ المعطف ويخلصه منه ويرميه من وسائمه وشكوكه .

ولكنها عادت تجره إلى الأريكة قاتلة :

— ضعه هنا .. حتى أتم حديثي .. اجلس .

ووجد « رياض » نفسه والمعطف يسيما على الأريكة كأنه فأر في مصيدة .

أو سجين في قفص ، ومعه جسد الجريمة .

ومع ذلك لم يملك إلا أن يلم أعصابه . ويرسم على وجهه توسع ابتسامة قاتلا :

— غير .. ما الحكاية ؟

وأحسدت « هدى » بأنها ستتلاحق ، وهي تجد المعطف بجوارها والشريط في متناول يدها ، وعادت تقول بقدر ما استطاعت من هدوء :

— أسعة أولا على تأخرى .. إلى اعتذر للمرة الثانية .

— أبدا . أبدا . ليس يسا عتاب . أنا الأسف لأن لم أستطع الانتظار أكثر من هذا لأرتباطي ببعض المواعيد .

— لعل الانتظار لم يصابيك ؟!

— لم يصابني أبدا . إلا أنني كنت أحب أن أقضي وقتي معك

— لعلك وجدت ما تسلى به ؟

وأحس الرجل بأن شيئا ما يكس وراء السؤال ، أو ربما كاد وهما على أنه حان . غير له أن يستمر في الحديث ببراعة وبساطة . فأجاب قاتلا :

— استمعت إلى الراديو . كان به بعض الأحاديث السجيفة .

— والريكوردر ؟

وأحس « رياض » كأنه يدا قد امتدت لتقص على عقده ولم يملك إلا أن يرد في استكار وكأنه يحاول دفع مهمة ألصقت به :

— ماله الريكوردر ؟

وردت « هدى » ببراعة قاتلة :

— به بعض الأغنيات التي تعجبك .. ألم تسمعها ؟

وازدرد « رياض » ريقه وهو يقول :

— أجل .. أجل .. سمعت أحد الأشرطة .

— وأعجبك ؟

— طيحا أعجبني .

— إلى الحيد الذي أخذته لتسجبه لديك ؟

— أسجله لدى ؟!

— أجل . كنت أفضل لو استأذنتني في أعده ، بدلا من الهروب به

وأحس « رياض » بأنه قد وقع في القمص ولم يجد أمامه إلا الطريقة البدائية لدعاع المذهب عن نفسه ، طريقة العصب لذكرامة ، فصاح هدى في صف :

— ما هذا الذي تقولين يا « هدى » .. أنا أخذ منك شريط لأهرب به .

ما هذا الكلام الفارح ؟! هذه إهانة لا تحتمل .

وكانت « هدى » ترمق جيب المعطف بين آوبة وأخرى في نظرات خاطفة ، كأنها تحاول التأكد من أن الشريط مازال موجودا ، أو كأنها ترسم لديها الطريق إليه عندما تحين اللحظة الملائمة

ولم تجد « هدى » لحظة أكثر ملائمة من هذه

وبسرة اليرق مدت يدها ودفعها في جيب المعطف ، وأخرجتها بالشريط ، وصمته إلى صدرها في لمعة وعف كأنها تخشى أن ينزع منها ، وهتفت به وهي

تلهث من فرط الأعمال :

— كنت أهدئ أكرم من هذا . كنت أحس الظن بك .

وأحس « رياض » بأنه قد فقد وعيه .

كانت تعرف إذن أنه قد فعل كل ما فعل .

كانت تعرف حتى مكان الشريط ، وظلت تحاوره حتى تنزعه منه بمثل هذه البساطة .

لقد جعلت منه سخرية لكي تنقد هذا المرور الفاتح الذي يشقها .

واندحرت مراحبه ، وأضى به الحقد والحسب ، وأحس بأنه يود أن يحطمها ، ويحطم نفسه ، ويحطم كل شيء .

ومد يده في عتف ليسرجع الشريط .. قاتلا وهو يصر على أستانه :

— مجرمة .. لن أودعك تأجيله .

— لقد أعدته وانتهى الأمر .

وهب وانفد ، واستمر مواجها « هدى » ، وق عيبه بريق الشر ، وق

عصف اضي عليها قائلا :

— لا بد أن أخذه منك .

ووثبت « هدى » من فوق الأريكة . وقد شمعت كأنها القطعة يحاولون نزع

ويدها من بين أحصابها ، واندهعت في عجلة إلى الباب الزجاجي .

وبما هي في اندفاعها ارتطمت بعمود خشبي وصعدت عليه إحدى الزهريات

الصينية الكبيرة فهوى على الباب الزجاجي فحطمه .

وأسرع « رياض » خلف « هدى » ليحسبها ويأخذها بالشريط ، ولم تجد

« هدى » طريقا للهرب فأقرب من الباب الزجاجي المحطم فاندفعت منه ،

وأعدت تعدو إلى الخارج بلا وعي حتى وصلت إلى العربة ، فانطلقت بها وهي

تطبق على الشريط بشدة وقد تلاحت أنفاسها كأنها ماراث تملو .. وصجيج

العاصفة ما زال يلاحقها .

ولم يعرف كيف قطعت الطريق ولا كيف وصعت العربة في الخارج ،

ولا كيف صعدت السلم .

لم تشر إلا وهي تدق الحرس . وه أم حبيب « تفتح لها لترقى على أقرب

مقعد ، وتندفع في الهكاه

وأقبلت عليها « أم حبيب » ، وقد بدا عليها الغرع وهي تمسك بدمعها

صالحه .

— ما هذا ؟

ونظرت « هدى » فإذا بالدماء تلوث ثيابها ، وجرح يهرف في يمامها

وهزت « هدى » رأسها وأجابت وهي تنهد في ارتياح :

— لقد استعدت الشريط .

وعادت « أم حبيب » تمسك ذراعها في جرح صالحه :

— إن ذراعك تنرف .. ماذا حدث ؟

وأجابته « هدى » في هدوء :

— لا بد أن يكون رجاء الباب المكسور قد أصابني .. أحسرت ورقة القفص

وزجاجة المرحر كروم .

واندهعت المحور باكية لتحضر القطن والرجاجة . وعادت وقد ثملكتها

الاضطراب وهي تنهد .

— يا رب .. الطيف .. لماذا لا أطلب الدكتور ؟

— ليس هناك ما يوجب استدعائه .. إنى لم أشعر بالحرج إلا بعد أن رأته

الآن .

وم يكن الحرج هيا ، كما تصوره « هدى » ولكنها صمدته في شجاعة ،

وهي تحس به كجرح المتصر في معركة . وربطته بالخش ، ثم جلست

مستريحة على المقعد الكبير أمام الباعدة الزجاجية والشريط في يدها

وأحسست بالوحدة المصيبة ، وقد صمها المقعد الذي تعود أن يصحبها معا

وهزت الريح فروع الشجرة القائمة أمام الباعدة ، وبدت من خلال أوراقها
أصواء الجبل ، متناثرة كأنها نجوم متساقطة من وراء السحب .

متى يعود الغائب ؟ متى ؟

ما بان الأيام تتأفف في مشيتها .. كأنها السواد الطوال ؟

بضعة أيام من غيبته ، تترك في نفسها هذه الوحشة .. ما باطأ إدى .. لو عاب
بلا عودة !! لو أصبحت هذه المراثيات التي تربطهما معا .. مجرد ذكريات
حرمة شاحبة . تبعث في نفسها الشجن والأسى ، وتهمس بها . أن ها . في
هذا المقعد أو فوق هذه الأريكة ، أو وراء هذه الباعدة ، كان يجلس الغائب الذي
لم يعود ؟

ولكنه سيعود !

لستقر بين يديها ثانية !!!

إني ما أحست مرة واحدة بأنها أخذته للأبد ، ولما تشع أن امتلاكها له ،
نوقت ما .

ولكن من الذي يستطيع غير هذا في حياتنا هذه ؟

من الذي يحس بملكية مؤبدة لإنسان ما ؟

ولكن الناس تغشى على ملكيتهم من الموت ، أما هي فتخشى من الموت

ومن الناس .. ومن نفسها .. ومن كل شيء .

أى أسى أكثر من إحساسها . بأن أحب الناس إليها .. لا يملك إلا أن يكون

لها عابر سبيل .. مهددا بتركها في كل لحظة .

أى أسى أكثر من إحساسها . بأنها لا تملك محبة إلا أن تكون سبة لم

تحب .. محطرا على مستقبله وآماله وأمانه

وكانت تسمع هذا من قبل ولا تفهمه .

كانت تسحر منه ، حتى ضرب لها القدر مثلا من أمثله .

وتغلكها الحنين .. همدت بعدها إلى جهاز التسجيل لتضع به الشريط .

وبدا الجهل يزور .

ووسط السكون سمعت صوته الحبيب .

وصحاة دق جرس التليفون

واحتلط الرين بالمناجاة

ولم تغلك إلا أن توقف الجهل ، وتعد بعدها لترفع الساعة متسائلة في صيق .

— آلو .

وصممت صوتا نسايا رقيقا يسألها

— منزل السيدة هدى نور الدين ؟

— أجل ..

— هل أستطيع أن أحدثها ؟

— من يريد ؟

وصممت فترة تردد قصيرة قبل أن تجيب المتحدثة :

— أنا فائزة .

وأحست هدى ، برجفة .. وتغلكها مخوف شديد وتساءلت :

— فائزة من ؟

— فائزة .. سكرتيرة الأستاذ سامي .

وارتدت هدى ، ريقها .. وصممت برهة ثم أجابت :

— أجل .. أنا هدى .

— مساء الخير يا أختكم .

— مساء النور .. أى خدمة ؟

وفي شيء من المحيرة والتردد ردت فائزة :

— كنت أريد أن أحدثك في موضوع خاص .

— عصفى .

— كنت أفضل أن ألقاك .

ومرة أخرى عبودها المزعج ولم تملك إلا أن تتسائل .

— بخصوص ماذا ؟

— بخصوص الأستاذ سامي .

وفي صوت مرتجف تسألت « هدى » في فرع :

— هل حدث له شيء ؟

— لا .. لا .

— هل هو بخير ؟

— أجل .

— تعصلي في أي وقت تشائين .

— أحصل لقاء عاجلا .

— تلفظلي الآن إذا أردت

— سأكون عندك بعد نصف ساعة .. مع السلامة .

— مع السلامة .

ووضعت هدى الساعة . ثم ألقت رأسها على مسند المقعد . وأطلقت

زفرة حارة .

تري ماذا تريد هي الأخرى ؟

نعلها تريد أن تكمل الإجهاز عليها .. في هذه الليلة المخافة .

محاولة لقاء

وضعت « فائزة » الساعة .. وهي تلهث

لم يكن الحديث إلى « هدى » بالمسألة البسرة . ولكن كان عليها أن تعمل .

لم تكن تستطيع أن تقف مكتوفة اليدين . وهي تشاهد صرحها القائم ..

يوشك أن ينقض . ومعاول المدم تكيل له الصربات .

كانت تحس أنها لا بد أن تعمل شيئا بعد كل ما حدث .. بدل أن تجلس هكذا

ترقب تطور الحوادث في صمت حزين واستسلام يائس .

وأخذت تستعيد نفسها ما وقع الليلة في مقر الحرب مما دفع أممها بشح

المخطر وملأها قلقا وجزعا .

تذكرت كيف بدأ الأمر بصعقة شبان أمام جهاز الراديو ، وقد أخذت يدع يدع

قرارات لجنة النصارى ويعلق على الانتصار الذي استطاع « سامي » أن يحققه

لسورية بعد أن أدانت اللجنة تركيا وكشفت تهديدها الملوأى للعالم . وكيف

وصح الموقف في سورية على حقيقته . وكسب تأييد الشعوب الآسيوية

الإمبريقية لقصبتها .. ثم بدأ بعد ذلك في إذاعة تسجيل لخطبة « سامي » في

اللجنة .

ومد أحد الشباب يده فأدار مؤشر الراديو على محطة أخرى . فإذا بصوت

« هدى » يعلو فيها مترجما بأحدى أعيانها فصاح به أحد الشبان ثائرا

— أوقف هذه المياعة ودعنا نسمع الخطبة .

وكان أحد الشبان قد استقر مسترخيا على مقعد كبير في ركن القاعة ، وهو

يرقب الجماعة الملتفة حول الراديو .. فابطلت منه صيحة ساعرة وقال ، وهو

ير رأسه .

— يا سيدى .. هذه النعل من ذاك الوطا .

والفتت إليه الشاب المتحمس وصاح به متماثلا في عيظ ودهشة :

— ماذا تقصد ؟

— لا تعصب هكذا .. فصاحب الخطبة نفسه قد يحصل عليها أغية الست

هدى ! .

وهتف به الشاب في ضيق .

— صاحب الخطبة أرفع من أن يستمع إلى هذه المياعة .

واطلق الآخر بتهقه قائلا :

— العاهر أنه ليست لديك أية فكرة .

— فكرة عن ماذا ؟

— عن ليالى الأتس والطرب

وسدع إليه الشاب في صيغ وأمسك به من خاتمه وصاح به متعلبا .

— كف عن هذا الغمر الوقح .. وقل ماذا تقصد ؟

— لا داعي للمصالحح .

وعاد الشاب يهزه في غضب صالحا :

— أية لمصالحح يا حيوان ؟!

وأجاب الآخر في سحرية ، وهو يحاول التخلص من قبضة الشاب .

— فصالحح الببال الحمر التي يقصها ، ساسى بك ، بين أحصاء هدى .

وم يتألف الشاب المتحمس معه ههوى بقصته عن وجهه بصرية أسالت

الدم من أنفه وجعلته ينب عليه صارخا مستعينا

وتشابك الشاهان .. وحدث هرج ومرج . وتعلت الصيحات من ها

وهناك ما بين مؤيد ومعارض

صاح أحد الثلة :

— يستحق أكثر من هذا .. حتى يكف عن طول اللسان .

وصاح آخر

— معتر يستحق التأديب .

وابرى ثالث يدافع عنه :

— حرام والله . لم يقل إلا ما تردده الإشاعات .. وكلنا يعرف هذا .

وصاح رابع :

— إشاعات الشيوعيين ؟! لقد قلت مائة مرة إنه دسيسة عليها . وربه

شيعوى فلم تصدقوا .

وصاح خامس :

— يا جماعة .. كل شيء لا يعجبكم . تصفوه بالشيوعيين .. مان

الشيوعيين هذا . حتى خطايانا نسبها إليهم !!

وهتف به الأول صالحا

— أى خطايا يا عسى .. أنت أيضا تصدق بالإشاعات . إنهم يحاولون

هدمنا .

— نحن لا يهدمنا إلا أنفسنا .

وتعلت الصيحات ، ورادت حدة المناقشات ، وهم يحاولون مع

امعركة .. عندما بدأ عبد الوهاب بك رئيس الحرب مقبلا من الباب الخارجى ،

تسائل في دهشة :

— ما هذا ؟

وهذا الشبان .. ووقفوا مطرق الرعوس .

وعاد عبد الوهاب بك يتسائل .

— ماذا حدث بينكم ؟

وأجاب الشاب الذى اعتدى عليه ، وهو يحاول إيقاف الدم بمعدله .

— لقد اعتدوا على بالصر

وصاح الشاب المحدثى فى حدة ، وهو يهتف

— لأنتك تستحق الصرب .. وإذا عدت إليها .. سأصيرك ثالثة .

والثتت إليه عبد الوهاب متسائلا فى دهشة :

— ماذا فعل ؟

— قال إن « سامى » يقصى الليالى فى أحضان المطربة « هدى »

وبدا الوجوم المفاجئ على وجه عبد الوهاب وتعم قاتلا :

— هو قال هذا ؟

— أجل فأنه بأهل صوته .. والجميع شهود .

وصمت عبد الوهاب برهة ، ثم أطلق تهيدة صيق وقال :

— أهكذا يكون حديث الشبان والوطن على أمة المعركة . كنت

أفصّر أن تقصوا الوقت مناقشة نصبا أهم من هذه السعاسف والأراجيف

وصاح الشاب المحدثى :

— هو الذى بدأ .. لقد قال ..

وقاطعه عبد الوهاب فى هتوف :

— انشبا ! لا أريد أن أغوص مرة أخرى فى هذه الأحاديث إن لديها

الكثير مما يمله فكما عى هذا البعث الضيالى وكووا رجلا

وتركهم عبد الوهاب وقد بدأ التصبق على وجهه .. واختفى فى حجرته مع

بعض أعضاء الحزب .

وكانت « هابرة » ترقب المعركة طوال الوقت مشدوعة حورى . وقد

أحسّت كأن شيئا يطن على صدرها ويمسك بخناقها هى . وتمت لو استطاعت

أن تصيح بهم جميعا أن كموا عى الخوص فى سيرة الرجل العائب . وعن قدعه

برشاش هذه التعليقات الطائشة السخيفة .

ولم يكد عبد الوهاب يعيب فى حجرته . حتى عادت اهمهمة مرة

أخرى مهمة غير واضحة ولا معهومة . وهم البعض بمعاداة القاعة . ومن

يهم الشاب المصروب وقد وصح المذبل على أنفه .. عندما وصل فؤاد

عبد الحبار النائب ذو الميول الشيوعية ، أبصر الثبة المخارجة وبدأ أنه قد مر من

يهم الشاب المحدثى عليه فصاح به متسائلا فى دهشة :

— ما باللك ؟

— لا شيء .. سأعرف كيف أريهم

— ماذا حدث ؟

— صربونى . لأن أحدهم أراد أن يسمع حطية سامى كرم . والثانى أراد

أن يسمع أعية هدى نور الدين . ففتت هم . هذه السبل من ذلك الوطا

ونظر إليهم « فؤاد » فى سخرية ثم تسائل :

— ضربوك من أجل هذا ؟!

— أجل .

— اصبر عليهم . عدا سمعهم الصوتين معا فى موالوح رائع

سكشفت لهم بظلمهم الصديد . فى أسطوانات محانية .

وعاد يقلب بصره بين الشبان حتى استقر على وجه « هابرة » فاطنق بقلقه

— اصبر .. اصبر .. غدا .. سيقع العجل

ثم اتعد طريقته إلى غرفة عبد الوهاب واختفى داخلها .

وعادت اهمهمة تملو .. وتامت فؤاد نظرات الاستكثار وإشارات

السمط .

وما لبث الجميع أن تفرق .. وساد القاعة الصمت .

وارتدت « هابرة » على أحد المقاعد حائرة القوى . محطة الأعصاب

وجلست برهة مأجودة حورى عاجزة عى التفكير أو التصرف

كانت تحس كأنها قد دهنتها عاصفة توشك أن تودى بأعز ما تملك . وكان

عيناها أن تعمل شيئا . كان عليها أن تكفى عى تلك الوقفة العاجزة المشسمة

وأن تعد بعدها لأقرب طوق نجاة .

وفجأة نهضت من مقعدها .. وقد نوت أمرا .

كان طوق النجاة الذي فكرت فيه . هي « هدى » نفسها

وكان عجيبا أن تخاف أن تجعل من معول الغد أداة إنقاذ .

وبكن لِمَ لا ؟! إذ كانت حقا تحبه . يجب أن تصحى بكل شيء من أجله .. بنفسها وبحبها .

لو كانت هي مكانها لمعلت .

ولكن هل هي حقا تحبه ؟

وأحست « هادية » بصيق وهي تخاف أن تسلم بحباله . وأن تسي حطتها على أساس حب « هدى » لسامي .. وعلى أساس احترام سموها إلى درجة

التضحية بكل شيء من أجله ..

ومع ذلك فسم ثلث إلا التسليم بذلك .. فقد كان الطريق الوحيد الذي يحسها أملا لإنقاذ « سامي » .

ليس هناك وسيلة لصعد كل تلك الصاريات التي يمكن أن توجه إليه . إلا أن يتخصص بها فعلا . وليس هناك سبيل لخلاصه . إلا أن تبعد « هدى » عن

نفسها . لأنه هو نفسه لن يفعل ذلك .. ليس لأنه مسلوب الإرادة . ولا لأنه غارق في الحب . بل لأنه لا يمكن أن يقدم على التحلي عن إنسان . أو

حد لانه أي إنسان . فما بالك بإنسان يحبه كل هذا الحب !!

ولكن تبعد « هدى » عن نفسها ، وتقطع كل ما بينها وبينه .. يجب أن تقبل التضحية .

ولي تقبل التضحية إلا إذا كان حبها كبيرا واتما ساميا .

وعلى « هادية » بدد أن تسلم بهذا كأساس للعمل الذي تنوي أن تقدم عليه من أجل إنقاذ « سامي » .

ولكنها مع كل هذه الاعتراضات . لم تقبل أبدا أن تسلم به

لقد عرمت على أن تذهب إليها لترحوها أن تترك « سامي » وتتحدى عن

حبه .. دون أن تفرص فيها شيئا يدعو إلى التقدير أو الاحترام . لا إنكار ذات ولا سمو

ولم تعرف كيف يمكن أن تلقاها . ولا ماذا يمكن أن تقول لها

لم تدر شيئا إلا أنها لم تكذب تعود إلى الجريدة وتستقر على مكتبها حتى وجدت نفسها ترفع الساعة .. وتطلب رقم تليفون « هدى » .

وعندما انتهى الحديث .. أحست بأنها مدعت لتلقى بنفسها إلى البيت . وكان عليها بعد ذلك أن تفكر كيف تتعلم السباحة .

ومرت بها حرة وهي تستعيد في دعها كل ما حدث . وأحست أنها تود لو استطاعت الفرار من المهمة التي اندمعت إليها .

لم تكن تعرف ماذا يمكن أن يكون وقع حديثها على « هدى » . كيف تقبفه وكيف تفهمه ؟!

بل كيف يكون وقعه في نفس « سامي » لو عرف بما فعلت .

وأحست أن الوقت يمر . والموعود يوشك أن يهل . وأنها يجب ألا تترك نفسها بها تلك الأفكار والمخاوف التي تشل حركتها وتميدها إلى حالة المعجز والاستسلام

إذها قبل كل شيء .. تقدم على ما تقدم عليه .. من أجل « سامي » .

من أجله عرمت أن تنفض عن نفسها عباء الاستسلام .

من أجله فقط ؟!

أجل .. لو لم تشعر بالخطر يوشك أن يذمه لما استطاعت أن تقدم على تلك الخطوة التي توشك أن تخطوها

وهل مستصدق هي هذا ؟

بلى . هل يمكن أن يصدق هو نفسه حقيقة إحساسها ؟

يصدق أو لا يصدق . لا بد أن تعمل شيئا . لا يمكن أن تتركه بهار . وتقف مكتوفة اليدين . غرورا من ألا يصدق .

ونصت من مقعدها ، وانجحت إلى المكب الداخلي ، وفتحت الباب ثم
وقفت أمام سليم وقد تلاحت أنفاسها قائلة :
— هل أستطيع أن أستاذ ؟
— إلى أين ؟
ومضت برهة وهي مترددة لا تعرف كيف تجيب . وأحس سليم أنه
شيئا قد حدث فعاد يسألها :
— ماذا بك يا فاطمة ؟ هل أنت متعبة ؟
— لا .
— إذن ما بك مضطربة هكذا . هل بك شيء ؟
— أبدا .
— اجلسي . دعيني نتحدث على مهل .
— ليس هناك وقت .
— وقت ! ما الذي يشغلك ؟
— عندي موعد .
— مع من ؟
— هدى .
— هدى !؟
ويطرق سليم الاسم في دهشة شديدة .. وعاد يسأل كأنه لا يصدق :
— هدى ! هدى !
— أجل هدى
— هدى نور الدين ؟
— أجل .
— وماذا يدعوك إلى لقائنا ؟
— ما حدث الليلة في الحرب .

— ماذا حدث ؟
— معركة بين الشباب من أجل علاقة سامي بها
ونصت سليم « مأخوذا :
— غير معقول
— هذا ما حدث .
— ولماذا يتعاركون ؟
— واحد أطلق النيمة . والثاني لم يطلق حديثه فأقدم على صرعه .
— وماذا بعد ؟
— نشبت المعركة ، واستمرت حتى مضى عبد الوهاب بك .
وصاح « سليم « غير مصدق :
— عبد الوهاب بك نفسه !؟
— أجل .
— وعرف سبب المعركة ؟
— طبعاً .
— وماذا قال ؟
— بدا عليه الوجوم برهة . ولكنه عرف كيف يتألك نفسه ، ولأم الشباب
على عيشهم الصيالي .
— ما شاء الله
وصرب سليم كفها بكف وعاد يسأل في سخرية مريرة :
— ولماذا حدث أبدا ؟
— دخل فرّاد .
— فرّاد من ؟
— فرّاد عبد الجبار .
— وما الذي أدخله وقتذاك ؟

— لا أعرف .. يبدو أنه كان يريد شيئا من عبد الوهاب بك نفسه .
 — وماذا فعل ؟
 — رأى العتي المصاب وعرف منه ما حدث .
 — وماذا قال ؟
 — قال كلاما عجيبا لم أفهم ما يقصده .. سوى أن عدا سيق العجل .
 — يقصد سامي ؟
 — طبعا .
 ونهد « سليم » وهر رأسه وقال في لهجة تشوبها السحرية :
 — ومن أجل ذلك قررت أن تنقذ العجل قبل أن يقع ؟
 ولم تجب « فائزة » بل رمت شعيتها في شيء من العصب وعاد سليم يقول
 بنفس اللهجة الساخرة :
 — وستذهب إلى « هدى » لمساعدتك في إنقاذ العجل . ستذهبين إلى
 ولم تطلق « فائزة » استمراره في هذه اللهجة ، فقاطعت في حدة قائلة
 — أستاذ سليم . أرجوك .. كلف عن هذه اللهجة .. ليس هذا وقت
 السحرية إلى أكره أن يتكلم إنسان بهذه اللهجة عن الأستاذ سامي حتى
 أنت .
 وصمت « سليم » برهة ثم رجع بصره إليها ، وقال في لهجة جادة :
 — لا تمنعني يا فائزة .. إلى حقيقة حائر .. لا أعرف ماذا أقول .. لا تظني
 أن ثقل منك صيفا أو حرما لم أتصور قط أن الموقف يمكن أن يتطور إلى هذا
 الوضع .. ولست أدرى كيف يمكن علاجه .
 — ألم تطلب إلي من قبل أن أكف عن الحجر والسلبية ؟
 — أجل قلت لك هذا ؟
 — إذن سأقوم بمحاولة
 — مع هدى ؟

— ولم لا ؟
 — لا فائدة .
 — له ؟
 — لقد حاولت من قبلك .
 — أنت ؟
 — أجل .
 — حتى ؟
 — عند هودتنا من بيروت .
 — ماذا قلت لها ؟
 — قلت كل ما يمكن أن يقال .
 — وماذا قالت لك ؟
 وهر « سليم » رأسه ، ثم صحك في شيء من السحرية :
 — كادت تقضي بأنها على حق . وأشعرني أن المشكلة أعوص مما تصور .
 — كيف ؟
 — لأنها تحبه حقيقة .
 وأحست « فائزة » بشيء يعصر باطنها .. ومضت برهة قبل أن تنالك وترد
 متسائلة :
 — والنتيجة ؟
 — يعلمها الله
 — ألم تحبته هو ؟
 — كثيرا ولا فائدة ترجي يبدو أننا لا نملك إلا أن نترك المسألة تسير
 حتى نهايتها .. أو كما يقولون .. دع الأمور تجري في أعتابها حتى يقضي الله أمرا
 كان مفعولا
 وهزت « فائزة » رأسها في بأس وأسى :
 — تقصد حتى يقضي عنه .. ويلو هذا الأمل المزدهر .. ونغيب هذه

الشعلة المصيدة . ألم تقل أنت نفسك إنك تحبهم مشروعا ناجحا ؟
— أجل .

— وتسلم بعد هذا بأن يقضى ؟

وصححك سليم : ضحكة قصيرة ساعرة وأجاب :

— تحدّثني عما كنت أقول لك .. وتلوّمي على ما كنت ألومك عليه ؟

على أية حال . لماذا لا تحريين حظك ؟ ادهي إلى « هدى » وقابلها .. وقول لها
كل ما تريد . لعلك تكونين أفدر مى .. إنك امرأة على كل حال .. وقد
تكونين أكثر منهما . وقدرة على إقناعها .. قد تتجعين فيما فشلت فيه
من يدري .

وصمت « سليم » برهة ثم أردف قائلا ، وهو يبر رأسه :

— ومع ذلك .. أنا واثق أن هذه الأمور لا يمكن أن تحل بهذه الطريقة .. إننا

لا يمكن أن نضعها حائلة بيننا .. إن أسحبها وحدهم .. هم الذين

يملكونها .. عندما يكرههم القدر على ذلك أو عندما يحسون أنهم لا يملكون

غير إيمانها . أما قبل ذلك .. فلا يمكن لعرب أن يستطيع وقفها

وأحبست « فائزة » بالأساء مملأ فيها . ومدت يدها فاستدت إلى المكعب

كأنما توشك أن تنهار .

ونظر إليها « سليم » وأحس بالصيق لما قال . وهب من مقعده واقترب منها

وأمسك ذراعها برفق ، ثم قال في لهجة رقيقة :

— ادهي وقابليها . جرف كل ما تستطيعين إن لديك من الإيمان ما فد

يحق ما فشلت أنا فيه

لقد قلت لك دائما إنك طرف في الموضوع . وحسم في المعركة . وإن

لديك من المشاعر ما لا أملك أنا من أسدنة المعركة . ولقد كنت دائما أدهشك

إلى حوص المعركة . فلماذا أحاول أن أتيتك عنها . بعد أن فشلت فيها .

ادهي . وانسي كل ما قلت .. إذا كانت هي تحبه . فأنت أيضا تحبيه

وهزت « فائزة » رأسها في ضيق وبأس وأجابت :

— أنا لا أذهب لأحوص معركة من أجل نفسي .

— حوصيها من أجله هو ولكن بأسلحتك أنت بمشاعرك المرفعة له .

وإنما لك الشديد به .. وحرصك العجيب عليه .. ادهي يا « فائزة » . مع

السلامة .

البدع عما تصوره .. كانت تتمثل البيت على شيء من الإهمال . وكانت تتوقع
أنثا عابرا بلا دوق .. أثبات . صرف عليه مال دون أن يختاره دوق سليم
أو تنسقه بد ماهرة ، ولكنها وجدت نقيض ما تصوره . كان الدوق أعظم من
الغنى ، والرفقة أعظم من الفخامة .

ولم يطل انتظارها حتى أقبلت عليها « هدى » وقد علت شفتيها البسامة
شاحبة ، ووضعت ذراعها المصمدة معلقة بكتفها في داخل صديري الصوف
البنفسجي . ومدت يدها الأخرى لتصاعق « فائزة » وهي تقول مرحة .
— أهلا .. وسهلا .. مساء الخير .

— مساء النور .
وجلس « هدى » على المقعد المقابل .. ومضت برهة قبل أن يبدأ
الحديث .. كانت كل مهما تحاول أن تثقف من الأخرى نظرات خاطئة
فاحصة

وكا أعدت « فائزة » بالبيت .. لم تملك إلا أن تؤخذ بصاحبه .. لقد
وجدت عسها أمام إنسانة رقيقة .. لا يمكن للإنسان إلا أن يؤخذ بجمالها الطيب
المفادى .. كالم وجهها غلوا من كل ربة .. جميلا . فيه شيء من الشجوب .
وكان شعرها ممحشا بساطة .. وأحست « فائزة » بالرمة التي ملأتها .. تزول
شيئا شيئا ، وحل عليها إحساس بالخوف المشوب بالعبوة . وهي ترى المخلوقة
التي أمامها .. إنسانا يمكن أن يحب فضلا .

واستطاعت « هدى » أن تثقف « لفائزة » بعض نظرات كؤُوت لها في
عسها صورة مرحة . أرادت من نفسها الكثير من القلق الذي انابها وهي
جالسة تنتظر وصولها .

لم تجد فيها شيئا يبعث على القلق أو الخوف .. بل وجدت فيها فتاة رقيقة
حلوة . لا يمكن أن تصغر شرا . أو تسب أدنى . وكان يمكن أن تدفع في
عسها شيئا من العبوة . لولا ثقنا المفرطة في حقيقة مشاعر « سامي » . ول

وجه الوجه

غادرت « فائزة » المكتب في صمت . وانطلقت في الطريق شاردة
الذهي .. ومضت بطح مرات أن تعود لأدراجها .

ماذا يدفعها إلى الدخاب إليها في بيتا ؟؟

أى حق لها عليها في مجرد الإشارة إلى علاقتها باسمى !!

ماذا تقول لها إذا أنكرت كل علاقة لها به .. وطردتها شر طردة ؟؟

وجدت الأفكار تتصارع في ذهنها .. حتى وجدت عسها تقف على الباب
لندى الجبرم .

وفتح الباب وأطلت « أم حبيب » برأسها متسائلة .

— من ؟

— السيدة هدى موجودة ؟

— نقول ها من ؟

— فائزة

ودون أن تذهب المعجور لإبلاغ « هدى » صحت الباب فائتة :

— تفصل .. إن السيدة في انتظارك

ودخلت « فائزة » كالناحودة .. لم تستطع أن تغير شيئا مما حولها . كانت

تبع المعجور وقد تلاحقت أنفاسها ، حتى استقرت على أحد مقاعد البهو
وعابت عبا « أم حبيب » فأعدت تلم ذهب الشارد ، وأفكارها المتصارعة ،
وبدأت ترقب ما حولها .. ولم تملك إلا أن تتعرف بأن صاحبة البيت مخلوقة ذات
دوق .. كان كل ما حولها يسم عن الرفقة والعناية والطاعة . كان شيئا بعيدا كل

يقبها من حبه لها .

وعادت « هدى » تحب « فائزة » وكأنها تستحقها على الحديث :

— أهلا وسهلا .

— أهلا بك .

وصمتت « فائزة » برهة تحاول أن تهلك نفسها وترتب أمكارها ..

وما لبثت أن ازدردت ريقها قائلة :

— لقد أتيت لأحدثك بخصوص الأستاذ سامي .

— خير .

وتذكرت « فائزة » قول سليم « أنت طرف في المسألة . أنت خصم في

المعركة » وكأنها خشيت أن تحس « هدى » بنفس ما أحس به « سليم » ..

ودفعها إحساسها إلى أن تبدأ الحديث بعنى تلك الشكوك ، فقالت وقد أطرقت

رأسها :

— لست أدري كيف أبدأ الحديث .. ولكني أحب أن أؤكد لك أولا أن

لم أحضر إلا لأحدثك من أجل سامي وحده .

وأحست « هدى » أنها قد طبقت باسم « سامي » مجردا ، وأصابت نوع من

الضيق والقلق وهي تجرد « فائزة » قد وصفت « سامي » في وصف لا يمكن أن

تضحه سكرتيرة لرئيسها ، ولكنها لم تغلظ إلا الصبر والاستماع

واستمزت « فائزة » تقول :

— ولكني أكون صريحة وأصححة مع نفسي أولا ومعك ثانيا . أحب أن أقول

لك . إلى أحب سامي .

وأحست « هدى » أن شيء قد لسعها ، ولكنها حاولت جهدها أن تترك

انفعالها .. واستمرت تعثر إلى « فائزة » صامتة دون أن تقاطعها أو تطلق

حديثها .

واستمزت « فائزة » تقول وهي تطلق تنبذة حارة :

— أقول لك إلى أحبه .. كشيء مقدس .. وأؤمن به إيمانا لا يتناول إليه

شك .. أؤمن بكل ما فيه من صفاء وحر وحب للبشر . أؤمن بقدرته البهاء

وطاقته التي لا تعد . أؤمن بأشياء كثيرة طيبة أعرفها به .. وأثق في كل ما يمكن

أن يأتي به من عمل طيب نافع

وصمتت « فائزة » لتقول وكأنها تحدث نفسها :

— أقول لك أني أحبه حبا لا يترزع .. حبا لم أشعر مرة واحدة خلال عملي

معه أنه غير أهل لي . وأنا أفكر بذلك الحب حتى أكون واضحة ومفهومة ..

وحسني لا تطغى إن أنا أنكرته أني أصدقك وأحاول التلاعب بك .. ولكني بعد

كل ما قلت أحب أن أؤكد لك أن شيئا ما لم يحدث يسا ، بحيث يحس حق العبرة

عليه . أو التدخل في شؤنه . كل ما يسا لم يرد قط على علاقة عمل .

أو إعجاب بعمل . وأنا أعرف كيف أكرم حتى جيدا .. أعرف قدر نفسي

علاصحتها أكثر مما تستحق من آمال . ولا أؤملها فيما يمكن أن يندلج ويذمر

أناها .. ومن أجل ذلك . ورغم ما أفردت لك به من شعور بخوء . أوقفت

نفسى من علاقتكما موقف المأخذ . لم أحاول قط أن أجعل نفسي طرفا في قضية

لم يشركني فيها أحد . بل يقتحمي فيها مجرد إحساس ذاتي .. لا يتعدى باطنى .

وعادت « فائزة » تلتقط أنفاسها وخشيت أن تكون قد أطلت أو تملست

بطريقة تجعلها غير مفهومة حساسات قائلة :

— أعتشى أن أكون قد أطلت عليك ؟

وهزت « هدى » رأسها وردت بصوت خافت ووجهة مقتصة :

— أبدا .. أكمل .

— ملخص القول أني رغم ما أشعر به من حب .. لم أحاول أن أصبح بعنى

حقا ليس لي . لأنني أعرف أن الحب لم يتعد جانبي .. ولقد فعلت هذا منذ

البداءة ومازلت أصبر على فعله حتى الآن . حتى هذه الساعة التي أحدثك

فيها . ولقد أردت أن أؤكد لك هذا حتى أكون واضحة في نصري ، كما كنت

واصحة في مشاعري .

وتهدت : غائبة : ثم استطردت تقول :

— لم آت إليك إذن ككتاة محبة غيرة .. لم آت إليك كما شئت تريد أن تستعيد

حبيبها

وهرت : هدى : رأسها وقالت في لحظة تشويها الدهشة والاستكثار .

— لا أظن هذا قد حطر بيالي قط .

— لم يحطر من قبل ، ولكنه قد يحطر بعد أن أقول لك ما أنوي قوله . قد

تسيير في الظن : الفلوات التي دعيت إلى مواجعتك والمحدث إليك . قد

تجعلك تفهميني على غير حقيقي .

وردت : هدى : مقاطعة :

— اكمل .. أنا لا أسيء فهم الناس أبدا .

— لم آت إليك إذن كامرأة : لا لتعصف مني .. بل لأن أحدا لم يحسني قط

هذا حق . ولو سمحت ، لإحساس به .. لما أغشى كنت أتأخر حتى هذه الساعة

في أن أحضر معك معركة . لم آت إليك كمحبة لأن أعرف أن ما أعدته

لم أحصل أن عليه قط . ولو حصلت عليه ما معنى شيء من محاولة استعادته مد

أن سبته .

وعادت : غائبة : تهد وتلتقط أنفاسها ثم استرست قائلة

— شعصعي إذن .. ومشاعري . لم يكن لما دخل في حصوري إليك .

بدليل في استمررت طوال هذه المدة ، أقرب في صمت .. وكأن الأمر

لا يعنني . وكان يمكن أن أظل صامتة .. لولا أن حدث ما جعلني أحس أن

سكوني ، وعزلي .. نوع من الإجماع .

ورفعت : هدى : حاجبها في دهشة وتسايلت :

— هكذا !!

— أجل . الإجماع السلي .. الذي يمكن أن يرتكبه عندما يرى اعتداء

يوشك أن يقع ولا يحاول دفعه .. أو عندما يحس أنا عمك إنقاذ حياة إنسان .

ولا تفعل .

— إلى هذا الحد ؟

— وأكثر . إلى أحسن أن صرحا كبيرا .. يوشك أن يهار . وماء شامخا .

يوشك أن ينفض .

— وماذا أيضا ؟

— لا تحاول أن تسخر مني .. لأنني أؤكد أني لا أبالغ .. بل أقول لك

ما أنوي به . أنت لا تعرفين قيمة : سامي . والأمل الذي يعلق عليه .. أنت

تعرفينه كمحبة .

— ألا يكتفي هذا ؟

— أبدا . الشاب الذي تربيه به . يمكن أن يكون في أي إنسان . ولكن

الشباب الذي لا تعرفينه .. والذي أعرفه أنا جيدا لا يتكرر كثيرا في حياتنا هذه

— أنا أعرف : سامي : حورا من أي إنسان على ظهر الأرض .

— من أجل هذا أسألك أن تقيه من كل ما يقدسه .

— وما الذي يقدسه ؟

وصصت : غائبة : برهة ثم حملت أطراف شجاعتها وقالت كأنها تطلق

طليقة :

— أنت !!

ولم تجب : هدى : وساد الاثنين صمت ثقيل . كادت تسمع فيه

أنفاسهما . واستطاعت : غائبة : بعد جهد أن تقطعه قائلة .

— لست أحاول أبدا أن أجرحك . ولكن ما حدث اليوم . دعني زلي أن

أقدم على كل ما لا أطيع .

— وماذا حدث ؟

— معركة في الحزب بين الشباب من أجل علاقتكما .

— معركة في الحرب ؟!

— أجل

— كيف ؟

وشرحت « فائزة » باختصار ما حدث في قاعة الحرب .. وحشت شرحها بما قاله فؤاد .

وبدا الوجرم على وجه « هدى » .. وشردها .. وأحسّت بأن عينا تفيق قد ألقى على كاهلها .. وبأن صدرها يصيق وكأن الهواء قد رادت كتابه فأضحى من العسر نفسه .

وأخيرا رحبت برهة طويلة ، ثم قالت في صوت خافت يملؤه اليأس :

— وبعد !! ما الذي أستطيع أن أفعله ؟

— تتركبه ؟

ونظرت إليها « هدى » نظرة شاردة .. وعادت تقول في مرارة :

— لأكون عادة كالمبلي أخرى !!

وحسنت « هدى » برهة ثم عادت تتساءل ، وكأنها تحدث نفسها

— كيف أتركه !! أعبره ألى لم أعد أحبه ؟ .. أعجزه وأساخر ؟ .. أو أم

بخطاتي ؟ .. نظير المسألة يمثل هذه السهولة التي تطالبها ؟!

وأطردت مستعرة في التفكير . وأحسّت « فائزة » باليأس الذي أطغ

عليها ، والألم الذي كساها ملعبها ولم تملك إلا أن تنغم في صوت خافت

— أنا آسفة لما قد أكون سببه لك .

وهزت « هدى » رأسها وهي تحاول أن تتألم :

— أهد .. ليس هناك ما يدعوك للأسف . لم تأتني بمجيد ، إلا أنك تحبه

ولست أؤمك على هذا .

— حين لم يكن هو الدافع لتدخل في الأمر .. إلى لم أشعر أبداً أني طرف

القصة .

— أعرف هذا .

— إذن .. أبذل كل ما تستطيعين حتى تقصى عن تلك الليم التي ياصقونها

به

وعاد الصمت يسود بينهما مرة أخرى . ولم تلبث « هدى » أن قطعت قائلة

في مرارة :

— حس .. لست أعرف لماذا أجيت .. إن كل شيء مختلط في ذهني

الآن . لست أعرف ما أستطيع وما لا أستطيع . ولكني مع ذلك أؤم بأنها

لاستطيع أن تعاند القدر .

وأحسّت « فائزة » بمدى ما يبدو على « هدى » من إجهاد ولم تعرف ماذا

يمكن أن تقول ولا كيف تحب .. وأحسّت بأنها تشارك « هدى » إحسان

بالصباغ والعجز والاستسلام لقدرة لا تملك إلا الرصوخ له

ومدّت يدها لودع « هدى » وهي تنغم في حزن :

— آسفة .

ثم عادت إلى البيت وكأنها عائدة من جنازة .

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

وهو لم يقل التصحية ؟ .. أبتحم عليها أن تعرضها عليه ؟
كيف ؟ .. تخصي من وجهه ؟ .. تعرض عليه العرفة ؟ .. ثم تتزعج حينما من قلبه ؟

وأحسنت بشيء يختصر باطلها
أمكن أن يحدث هذا ؟
إنها قد تحمل عرائقه .. تحمل كل شيء في هذه الحياة .. إلا مجرد أن تصور أنه لم يعد يحيا .

أجل .. إنها تستطيع أن تفعل من أجله كل شيء .. إلا أن تدفع في نفسه بعضا أو احتقارها .. أو حتى مجرد التبرم بها أو الملل منها .
لا تطبق حتى مجرد التفكير في ذلك لأنها قد باتت تحيا على حمة على حسنة وصحاته ولثامه . ولغفته عليها .. وشوقه إليها
لقد أصبح كل هذا جزءا من قوتها اليومي ككلاء وهواء والطعام
لا يمكن أن تمارس العيش بدونها .

لا تستطيع أن تصور أنها .. كيف يمكنها أن تقدم على استئصال حيا من نفسه .. وهو أعز عرس غرسته في حياتها .. وأشد ما حرصت على رعايته وإتمامه واردهاره .

لا .. لا .. لن تستطيع قوة على الأرض أن تعرضها على ذلك .
لن تسلم في حيا أنها !!
وأبقيت كعها على الكأس في عصف حتى كادت تحطمها وهي تصر على نسائها قاتلة :

— لا . لا .
ثم أرحمت يدها .. واندمعت في بومة بكاء
وفجأة أحسنت بكف توصع على كعها .. وأصابها رجة .. وتلفتت في عروق فوجدها .. أم حبيب .. فرغعت إليها جعنين قرحهما البكاء

ليتنا نستطيع

عادت هدى تسير مطرقة بعد أن ودعت « هابسة » ، وأحسنت بالسكون يخيم من حولها ، وتلكها إحساس ألم بالخوف والوحشة .. وهي ترى النذر تتوالى عليها .. وريح الخطر تصفر من حولها .

وأحسنت بأنها توشك على الانهيار .. فاتجهت إلى « البار » في ركن القاعة وعلت يدها فملأت كأسا وجرعتها مرة واحدة ، ثم ملأتها ثانية واتجهت بها إلى حجرة الجلوس واستقرت على المقعد الكبير المواجه للنافذة .. ووضعت الكأس على « مصيدة الصميرة » بجوارها .. ثم ألقت رأسها على حافة المقعد وأغمضت عينيها وأطلقت زفرة حارة .

أحقا قد قربت النهاية ؟! أصبحت عينا أن تسلم في أعز ما حصلت عليه من هذه الحياة ؟! .. أصبحت عليها بعد كل هذا الحرمان الذي دافقه والجهد الذي بذلته .. والاستمرار الذي استترته لكي تحفظ بها . أن تصارل مع طائفة بخنارة .. أن تجهز أكتفائه .. وتحم فرجه . ثم تقوده يدها .. لتعده .. وهو أومر ما يكون حيا .. وأحسن ما يكون رويقا وساه ؟!

أي شيء يدعوها إلى أن تقدم على مسرح الحياة .. كاميليا جديدة تصحب بها . على مديح الشهامة . والذل العيا ؟!
ثم . ما رأيها هو ؟!

هل يقلل منها مثل هذه التصحية ؟ .. إن المسألة لا تخصها وحدها . أم يحتمل هو التصحية إذا احتملتها هي ؟!
لم ترى التصحية ستكون على حساب آلامه وتعبه ؟!

وتسابت : أم حبيب : في صوت حور ، وهي تقبع على الأرض بجوار المقعد :

— وبعد .. ما آخرة كل هذا ؟

واردت : هدى : ريقها وعتت في صوت متحشرح بمقه البكاء :

— دعيني يا أم حبيب .. أرجوك .

— لماذا كل هذا العناد .. لماذا لا ترصحين للأمر الواقع ؟

— أي واقع هذا الذي تتحدثين عنه . لست أعترف إلا بواقع واحد . وهو أني أحبه وسأحفظ به .

— إلى متى ؟

— إلى الأبد .

— أبدأ ؟ أي أبدأ ؟ أتظنين حقا أن هناك شيئا يدوم إلى الأبد ؟

وهرت : هدى : رأسها ، وهي تمس بواجدها وعتت في عناد .

— لن أسلم فيه .

— حتى يسلم هو .. فيك ؟

وأجابت : هدى : بصوت متحمر وصدرها يعل بالانفعال .

— هو لن يسلم أبدا .. إنه يعني كما أحبه .

— إلى متى ؟

— ماذا تعين بقولك إلى متى ؟

— كل شيء له حد .

— حبا بلا حد .

— بلا حد .. حتى من شهادتك ؟

— سادا تعين ؟

— بلا حد . حتى من الشعور البيض . والتجاعيد المتسللة .. بلا حد

حتى من الصبا المتأكل .. والعمر المنصرم .. ماذا تطبعا .. أيتها الأدمية .. ماذا

تطيق قوتنا واحتيافا .

— لست أفهم .. عم تتحدثين .

— أتحدث عن الحب الذي تقولين عنه بلا حد . أتظنين مثل هذا الحب .

المتأجج . الملتهب . يمكن أن تحمله مشاعرا .. إلى الأبد ؟! أتظنين أن طلاقة

الإنسان تستطيع احتياله بلا توقف ؟! أتظنين حقا أنه يمكن لإنسان أن يحب

كما تحبين مدى الحياة ؟.

— إنم لا !؟

— هل سمعت عن هذا ؟

وردت هدى في صي :

— أرجوك يا أم حبيب . ليس هذا وقت الجدال والمناقشة دعيني من

فصلك .

ولكن : أم حبيب : استمرت تقول في عناد :

— إلا إذا كنت ترين أن تحمل منه رواية كقيس ، وروميو .. أحدهما

جن .. والآخر مات .

— أتظنين أنه ينجم على الإنسان لكي يحتفظ بحبه أن يموت أو يموت ؟

— أو ترين شيئا حبه . ويحس تأججه .. وتعتاده المشاعر . كما يعتاد

الأصبع الخاتم . ويصبح جزءا من حياته العادية لا يكاد يحس به أو يحس

فيه . ولا يعود رباطه الوثيق أكثر من رباط يشد دانتين تسير في طريق محنوم

لا تكاد إحداهما تشعر أن الرباط موجود إلا إذا وقع تنافر في الطريق أو اختلاف في

وجهة السير . فإذا بالرباط الجسيل يصبح قيلا ثقيل .

— لن يكون رباط حبا قيلا أبدا .

— حتى بعد أن يبدل العود ، ويبس الجسد ؟

— تتحدثين عنه كأنه شيء يتعلق بالجسد .

— أو ليس كذلك ؟! أعمالك شيء في دنيا لا يعلق بأجسادنا .. حتى الحياة

نفسها ؟! أنت كبري أن مصارة الحب معلقة بمصارة الجسد .. وأن وجهه مستمد من حرارته .

— حيا يستمد وجوده من شيء أكثر من الجسد ، شيء لا تفهميه أنت .
— تتحدثين كمريرات الصبايا . الذى أفهمه أنا أن حيك المتأحج له حدود .. له مدى .. من قدرته وقدرته . لا يمكن لمشاعرا أو طاقات أن تحمل أعمالا أبديا .. وعندما يبدأ أعمال الحب وتنجو جفونه . محس بحاجة إلى روابط أخرى تشد أحناء بالآخر .. أشياء مشتركة لا بد أن توجد بعد أن تبدأ ثورة الحب .. حتى لا يولى أحناء من الآخر فرارا .

— ماذا تعنين بأشياء مشتركة ؟

— أفضلين نفسك .. أم حقا لا تعرفين ؟

— تعين الزواج . مجرد وثيقة .. يمكن أن تشد اثنين انتهى بينهما الحب ؟
— لست أقصد بالزواج وثيقته .. بل أقصد الأشياء المشتركة التى يخلقها
— مثل ؟

— الأطفال .. المصالح المتبادلة .. الآمال المشتركة والمستقبل الواحد .
وعاشت برحة « هدى » سحابة حرية أحتضت ملامحها . وصمتت برهة تحاول أن تتألك .. واسترسلت « أم حبيب » تقول :

— حقيقة لم تطغ هذه الأشياء بدهلك ؟؟ حقيقة حسبت أن حياتك يمكن أن تستقر إلى الأبد على هذا الشعور العائر ؟! أم تشعري أن هناك أشياء أرسخ من هذا هى التى تكون دعائم حياتنا وتستندنا فى المدى الطويل .

ومدت « هدى » يدها تصعصعها على حبيبها وهى تحس أن رأسها يوشك أن ينحصر .. وتغتم بصوت خافت :

— لا أحب أن أفكر فى هذا كله .

— حتى بعد الدرد البهس التى تستل إلى شعرك . والتجاعيد الجميمة التى تحاول أن تجد طريقها أسفل عينيك ؟

— لا تحاول أن تبعثى اليأس فى نفسى . إننى مارلت صغيرة
— إلى متى . إلى متى يمكن أن تتحدى على جمالك . لكنى يصعب لك دعائم
حياتك ؟! إلى متى يمكن أن تشدى من حولك . بشباك . خمس سموات ..
عشر سموات . وبعدها تبقين وحيدك فى تلك السنين الطويلة الباردة
الوحشة من غريف العمر .

وأقلت « هدى » رأسها إلى الوراء وأعصفت عينيها ، وأطلقت زهرة
طويلة . ومدت العجور يدها عرفت كمها فى حال واسترسلت تقول :

— سبى أنا .. على ما يبدو لك من جهل وعياني قد عصى الرمز
شيئا . لماذا لا تستمدين منه ؟! لقد كذبت أستقرى حياتى على مقر .. فى
رواجى الأول . ثم أحببت حيا جارفا محوما كهذا الحب الذى تبعثين

فيه . ولم ألق الحياة مع روحى . وتركته . وفصلت أن أعيش مع الآخر .
بلا أى نوع من أنواع الروابط سوى الحب . ولا أكتسك القول أن استمعت
بعياني قرة . طسها مستطول مدى الحياة . لأنا أحب .. ولحب يبدو لنا فى

أوجه عملاقا ساحرا لا تستعصى عليه معجزة . ثم بدأت المشكلات . فقد
كانت له روحه . وعرفت أن أحتمل . ولكنه لم يحصل هو .. ولست أدرى
ما هو هذا الذى لم يحصل . أهى المشكلات صلا .. أم هو الشباب الغدير ..

والجسد الشرحل .. أم كلاهما معا . فإن المشكلات لا تستعصى . إلا إذا قدنا
الرفة فى حلها . والجمال الداوى . يجعل الرجل دائما أقل رغبة فى حل
مشكلاته . اللهم . احرقنا ووجدت نفسى . فى منتصف الطريق ..

حائرة شاردة مبهكة القوى دليلة المس . وكان عيني أن أقطع بقية الطريق المقعر
الموحش وحدى . لولا قطعة ظل . وغدير لم يصف بعه بعد . لاحت فى على
جانب الطريق تلاحتنى فى المسير . أبل بها ريقى وأطل بها رأسي عندما

يمهدنى السور وتحرقى الوحدة . وجدت بقية من حياتى الأولى فى وندى
وأحلامها . وأحسنت بهم كأوراق تكاثف من حولى لنفسي وهج

الشمس . أحسست بهم على طول الزم . كئشى بمحى إحساسا بالألفة في حياة موحشة مقفرة .

وصمتت المعجور برهة تلتقط أنفاسها . وبدأ الشروذ في عيسى هدى .. وعادت المعجور تقول في صوت خافت كأنما تحدث نفسها — عمرها طويل يا بئسى . طويل وموحش ومصر . وأشقى ما به رعبات حسدا التي تبدل على مدى العمر . وأحق ما معدة أن تجعل لرغبات هذا الجسد في حرة من خيرات العمر . حكما على الممر كله . فتطلى تقاسى مهابقية العمر .

وصمتت المعجور مرة أخرى .. وطال صمتها هذه المرة . وصرعت هدى : زفرة حارة .. ثم همت متسائلة : — وماذا تريدني أن أفعل ؟

— لا تجمدى بقية عمرك على هذه الفترة من حياتك .. ليس هناك سعادة دائمة في هذه الحياة .. من العت أن تطبق بأيديها على مواردنا . ونظمه سيكيميا مدى الحياة . فإذا ما اكتشفنا بعد فترة أنه نصب . أصابتنا الخيبة وقتلنا النفس السعادة في هذه الحياة محدودة الكم . متعددة الموارد . وعليها أن نعرف متى نترك المورد قبل أن ينضب منه . حتى لا نخجل فيه .. ويصبح صعب يأسا ، بعد أن كان منبع آمالنا .. ونجف على كأسه حلوقنا . وتنتك قوتنا .. لقد عشت في حبك أجل أيام عمرك . فلماذا لا تجمدى الله عليها ؟ لماذا لا تحجربى ما أخذته من حبك ربها .. وتتركين بما تلقينته من نذر بأن هباته قد أوشكت . ولم يعد وراءه غير الحسارة ؟! لماذا لا تؤعين بأنك شربت الكأس .. ولم يعد بها غير التآلة ؟

وصمتت المعجور وعادت هدى : تسأل في هجة صيق وتبرم :

— وماذا تريدني أن أفعل ؟

— صعى بعفسك الهابة .. تجعل من أيامك السعيدة . ذكرى جميلة .

تعاودك كالسمة العطرة في خريف عمرك . كوني حازمة .. واطوى صفحة حبك قبل أن تلتفها الأيدي العابثة . لا تمحى الزم من الساعرة الفرصة لكي يحبل حبك الخميل . مشكلة مرمة تعص حياتك وحياته . انطلقى في الحياة مرة أخرى ورددى مع الفاتل : في بقية الزهر عراء عن الرجس .. عودى إلى أصدقائك ووسطك وعمدك . وحاولى أن تجدى لعفسك طريقا آخر غير هذا الطريق الملق . اسحى بعفسك مرمة حب آخر .. من يدري . سيبله أسهل من هذا السبل الشائك الوعر .

وهزت هدى : رأسها وهمت غائلة .. دون أن تحاول وقف الدمع المساب من عينها : — لبتى أستطيع .

وقبل أن تكمل حديثها دق حرس التليفون . وبهجة مدت يدها ورفعت السماعة ، وأحست بخلاجان عندما انطقت الصوت الذى تهر إلىه ، وصمت صوت شكرى يهتف بها قائلا :

— آلو .. هدى .

— أجل .

— أنا شكرى .

— أهلا شكرى .. كيف حالك ؟

— كيف حالك أنت أيتها الحاربة ؟

— الحمد لله .

— إل متى ستطلى غصية ؟!

— أبدا . أبدا . كان لابد من قضاء حرة نقاعة بعد العملية

— لقد سألت عليك عدة مرات .. فلم أجندك

— كنت في بيروت .

— وحدثك يا خاتمة .. لماذا لم تدعيا ؟

— لم تسمح الظروف . لقد ذهبت في عجلة .

— وإلى متى ستستمر في هذا الكسل ، لقد استمرت الراحة ؟

— أبدا .. بضعة أيام .. وأعود إلى العمل .

— وكيف صحتك الآن ؟

— أحسن .. الحمد لله

— إن لدى أخبارا كثيرة أود أن أقولها لك .

— ما هي ؟

— ليس في التليفون .. تحتاج إلى جلسة .

— بدأ تنق على موعد .

— متى ؟

— وصمتت هدى ، برهة في حيرة .. ثم قالت

— أتحدثي هذا لكي تحدد الموعد ؟

— أم لكيلا أجديك ؟

— أبدا سأكون في البيت طوال اليوم .

— إذا لماذا لا تلتقي الآن ؟

— لأنني في الواقع لدى بضعة مواعيد ستأتي إليّ الخياطة .. وعندى موعد مع

أحد الصمغيين

وقطعها شكرى قائلا .

— اسمعي يا هدى أنا أعرف مواعيدك هذه ، وأعرف طريقتك في

مخرجك .. إلى أريد أن أحدثك في أشياء هامة .

— مثل ...

— أولا لدى عرس لك مع كارينو الفردوس .. عرس مع جدنا ، وثانيا

لدى خي جديد مختار أحب أن أسمعتك إياه قبل أن يلفظه أحد . وثالثا . أريد

أن أراك ، لأنني أحس أني قد أصبحت عاجزا عن العمل بنومك . أيمكنك كل

ذلك مرورا لكي ألتفك ؟

وقبل أن تجيب هدى ، هزت أم حبيب رأسها في عيظ وقالت :

دعني بأن .. أعطي لتعلمك فرصة ، وحطمي هذا الحصار الذي فرضته

حول نفسك

وردت هدى ، في طجة مقتنصة :

تعال فثنا .. في العاشرة .

وضعت هدى السماعة . واسترسلت أم حبيب : نقول :

— إنسان طيب وبافع وبحك . ويريد الزواج منك .. لماذا تبغديه علك ؟!

إنك في حاجة إلى سد بسدك . قبل أن تترعى الوثائق الذي شددت نفسك

إليه . في حاجة إلى من يتلفك قبل أن تهوى عن صحرة حبك التي اعتلتها ،

وبأمت فيها عن كل من حولك . في حاجة إلى حقبة مخدر .. قبل أن تقدمي على

عملية البتر التي يجب أن تقوم بها .

وأحست هدى ، من كلام أم حبيب ، كأن سكباً يمر في قلبها ليرفع

مه حشاشته .

وبدت لها المعجوز كأنها يتدف على المقصلة .. وحاولت جهدها .. أن

تتألك وتعتجد .. ولكن أعصابها أفلتت وهتعت ياكبة بصوت ملؤه المرارة .

— لا .. لا .. لأن أقبل .. إلى أحبه .. أحبه .

وأحست المعجوز أن دموعها تساقب في تجاعيد وجهها وتمت قائلة :

— ليتني أستطيع أن أعتيك بقية عمري .. ليتني أستطيع أن أعتق شيئا .

ولكنني أعرف القدر خيرا منك . وأنه يبيد يد . ويسترد باليد الأخرى

ما وهب باليمين المركب . هذا القدر .. مراب كبير .. يمح السعادة ويستردها

مستعانا .. بالربا العاجئ .. بقدر ما يحسا من متعة .. بقدر ما يعرض عينا

من ألم . حم عليها . لكي تنجب رياه الفاحش من المتاعب .. أن نقبض يدنا
عن متعه ، وأن نكف عن التعامل معه . فنخرج من حياتنا كما دخلنا .
بلا سعادة ولا شقاء .. حم عليها أن نمش حياتنا صفر اليدين من المتع .. حتى
لا نسد عنها أبهى ضرب الرب الآلام والمتاعب . علام إذا خلقنا . ولماذا أتينا ؟!

٤٤

شكوك حمقاء

صم • سامي • المعطف على حسده وأحكام الكوفة • حول عنقه ليقبض
هبة الهواء القارس التي لست وجهه وهو يعادر باب الطائرة قبيل الحرب
وهبط درجات السلم وسط رهط المسافرين وأخذوا يتبعون مصيعة الطائرة إلى
مبنى المطار . وفي طريقه استطاع أن يميز وجه أخيه ، وعائقة ، وسليم ، وبعض
رفاق الحرب ، والمحررين يتوحدون بأيديهم وسط المستقبلين
وعائقة أخوه وشدت • عائقة • على يده في هبة ، وأقبل • سليم • مع بعض
المستقبلين يصاحبه مهتئين بسلامة الوصول . ووقف الجميع يتحدثون في
انتظار الانتهاء من إجراءات الخوارج والتفتيش الحركي . وانتحسى
• سامي • مأخيه وعائقة وسليم ووقفوا بجوار إحدى مدافئ العار النحاسية المجاورة
لحلب أحد رجال الشرطة وأحس • سامي • وجوعاً على وجه أخيه صائله
مستغراً :

— كيف حال والدق ؟

— شديدة القلق عليك . لم تكف لحظة واحدة منذ أول أمس عن السؤال
عن موعد وصول الطائرة .. قد تركتها على حال من القلق الله أعلم بها .
وتدخل سليم قائلاً :

— لماذا لا تحدثها في التلويح لتطمئنها عليك ؟!

ثم تلمت حوله ، وقبل أن يرد سامي سحبه من ذراعه قائلاً .

— تعال إلى مكتب صابغ الخوارج . فلا أظنه سيمارس في استعمال
تلويحه .

وسار سامي مع سليم إلى حجرة الضابط وهب الرجل مرحباً به .
— أهلاً وسهلاً أستاذ سامي . حمد الله على السلامة . لقد أديتم عملاً رائعاً
في القاهرة .

— شكراً . هل أستطيع أن أستعمل التليفون لحظة ؟

— طبعاً . طبعاً . تمهل . فأمرهم بقبول ؟

— شكراً . لن أزعجكم أكثر من دقيقة واحدة

— أستعمر الله . المكتب تحت أمركم .

وانسحب الرجل في كياسة من العرفة ليبحث لسامي فرصة الحديث ، وتبعه
سليم .. ووقف « سامي » أمام التليفون يطلب رقم البيت ، وبعد بضع دقائق
سمع صوت الخادمة تهتف بمسائلة :

— آلو .. من ؟

— أنا سامي .. كيف حالك يا عميدة ؟

— الحمد لله على السلامة يا سيدي .

ثم صاحبت في فرحة :

— سيدني . سيدى سامي في التليفون .

وما لبثت أن وجهت إليه الحديث فالتفت .

— دقيقة واحدة حتى أجهل لسيدني التليفون .

وبعد برهة سمع صوت والدته ، وقد عليها البكاء تهتف به

— سامي ؟ أين أنت ؟

— في المطار .

— حمد الله على السلامة يا حبيبى . لماذا عبت كل هذه المدة ؟ ولماذا

لم ترأسنى لتطمئنى عليك .. لقد .

ورد سامي مقاطعاً :

— لرجى كل هذه الأسئلة حتى آتى إليك .

— وكيف صحتك ؟

— على ما يرام .. كيف حالك أنت ؟

— كما أنا . مارلت أحسن بالخفقان كلما تركت العرائش . ولم أذق النوم

ليلة أمس . وأنتابتى الهواجس والأفكار لحرق عليك .. حتى تأتى ؟

— مسافة الطريق ... لن أعيب أكثر من نصف ساعة . مع السلامة

ووضع « سامي » السماعة .. ووقف أمام التليفون برهة .. وأحس بحس

شد يد إلى أن يسمع صوت « هدى » . وإلى أن يفيها بأنه وصل .. لقد ذكر

حرباً لأنها لا تمكث حتى وداعه .. وأحس أن من حقها عليه أن تشارك في

استقباله بطريقة ما .

وأدار القرص وقد أصابه نوع من الاضطراب والقلق . وهو يحس بالحس

الفرط إلى سماع صوت « هدى » . ودق الحرس بضع دقائق . وما لبث أن

سمع صوت « أم حبيب » ترد عليه بمسائلة :

— آلو .. من ؟

— مساء الخير يا أم حبيب .. أنا سامي :

— أهلاً وسهلاً سيدى سامي . حمد الله على السلامة .

وأحس « سامي » بشيء من غيرة الأمل وهو يسمع صوت « أم حبيب » ترد ..

وكان يتسنى أن يعاجي « هدى » بمحذنه . وراى من صيفه وهو يجد المرأة تنتظر

على السماعة . مما أوحى إليه بأن « هدى » غير موجودة . وإلا تركت

السماعة وأسرعت إليها لتحررها بئاً وصوله ، ووجد نفسه مضطراً إلى أن

يسأل :

— أين الست هدى يا أم حبيب ؟

— لقد خرجت .

— أين ؟

وترددت « أم حبيب » برهة قبل أن تجيب .

— لا أعرف يا سيدى .

— ومتى ستعود ؟

— أغلب ظنى بعد الانتهاء من عملها .

— عملها !! ومنذ متى بدأت العمل ؟

— لا أعرف يا سيدى .

— ومتى خرجت ؟

— لقد تناولت الغداء فى الخارج .

— أين ؟

— وردت العجوز ببساطة :

— لا أعرف يا سيدى .

وهتف « سامى » بشيء من الحدة :

— كل شيء لا تعرفين .. ما الذى تعرفينه إذن ؟!

— لا أحب أن أتدخل فى شئونها يا سيدى .

— عندما تأتى لأمريبا ألى وصلت .

— حاضرا يا سيدى .

ووضع « سامى » الساعة وقد بدأ عليه الصبى . وأقبل « سليم » فأحس

بما أصابه فسأله فى قلق :

— خير .. ماذا بك ؟

وحاول « سامى » أن يخفى عنه الضيق فرسم على وجهه ابتسامة وأجابها :

— لا شيء .

— ألم تجد والدة بخير ؟

— أجل .. أجل .

— إذن ما الذى صابقت ؟

— قلت لك لا شيء .

واستطاع « سليم » أن يدرك شيئا مما حدث ، ولم يشك فى أن « سامى » قد طلب « هدى » وأحس بأن هذه المحادثة هى التى سببت له الصبى .. فقال وكأنه يحدث نفسه :

— والبقية تأتى . ربما يتوب عليك منها ومن كل ما وراءها من متاعب . وكانت إجرامات المظالم قد انتهت ، وشكر « سامى » صابغ الجوارات ثم اتجه إلى الخارج .. وقبل أن يركب العربلة تساهل :

— من سيأكل معى ؟!

وأجاب سليم :

— سأعود أنا إلى المكتب . لأراجع بقية الصفحات .

— لن أتأخر عليك .

— أتتوى الحضور إلى المكتب الليلة ؟

— طبعاً ..

— لماذا لا تستريح ؟

— ممت أستريح ؟

— من السر .

— لقد مكثت ساعتين فى العاترة لا أصل شيئا سوى الراحة ..

— إن كل شيء يسير على ما يرام .. وليس هناك ما يستدعى حضورك الليلة

— المفروض أن أقابل عبد الوهاب بك . وأقدم له تقريرا عما حدث .

— يا أحمى .. الصباح رياح .. لم تظفر الدنيا .

— بل توشك أن تغفر .. ليس لديها وقت يصعبه .. وعصروما يهرصون

بها .

وتدخل أخو سامى قائلا :

— كنت أظنك ستقصى الليلة معا فى البيت . إن والسق فى أشد الشوق

إليك .

— سأجلس معها كما تريد ثم أعود إلى المكتب .. هيا بنا .

وجذب أخته إلى السيارة وهو يسأل قائلاً :

— أستاذهم إلى المكتب ؟

— أجل

— بن أنا أخرج عليك . إذا سألت عسى أحد قول له إلى سأكون في المكتب في

الساعة السابعة .

وودع « سامي » مستقبليه ، وانطلقت به العربة وقد جلس أخوه إلى

جواره .

ولطعت العربة طريق المزة وكلا الأخوين واجه شارد .. ولم يستطع

« سامي » أن يجمع ذهنه من معودة التفكير في الحديث القصير . فذهب

لأمله .. الذي صار بينه وبين « أم حبيب » .

كان يتمنى لو أواجهه « هدى » .

ولكنها قطعاً لم تكن تعرف أنه عائد .

وأى لها أن تعرف !!

لو حاولت أن تسأل الخادمة أو الخرب أو البيت لهرعت .

ولكن تسأل من ؟

أى إنسان ؟؟ أى عامل تلهوم . كان لا شك سيخبرها .

باعتبارها من ؟؟

أى إنسان أيضاً ؟؟ صديقة .. قريبة .. صحفية .. إن السؤال لن يستعصى

عليها لو أرادت ، فهي ليست غبية .

ولكن من يدري .. ربما حاولت وفشلت .

أو ربما أرادت أن تجنبه أى احتمال لريبة أو شكوك

ولكن هيا لم تعرف .

ألا تتوقع هي أن يعود بين يوم وآخر ؟؟

ومادنا تفعل إذا هي توقعت ؟؟

تلازم الدار ليل نهار ؟

بالطبع لا . إنه لا يمكن أن يعرض عليها ذلك . رغم أنه غير مستبعد لاسيما

وهي لم تزل بعد في دور النقاهة

إنه لا يطلب منها ملازمة الدار ليل نهار في انتظار عودته .

ولكنه أيضاً لا يتوقع منها أن تتركها .. ليل نهار . وهي تعلم باحتمال

عودته .. أو حتى لا تعلم .

ليس المروص أن تنتهر فرصة غيابها . لتهرب من الدار .. تخرج قبل

العشاء وتتناول العشاء في الخارج . وتضطر طويلاً وساعات من الليل غائبة

حتى تعود في آخر الليل إلى البيت بعد انتهاء العمل !!

هذا . إذا عادت

وأحسن بعيان في جوفه . وكره أن يترك نفسه بها لوساوس حماقه .

وحاول جهده أن يعبر بحرى أفكاره .. وكانت العربة قد أحدثت تعبيراً بيوث مرة

البيض المحفصة وتعمل السائق وهو يصيرب الغير لبعض صبية تجمهرو وسعد

الطريق

ونظر « سامي » إلى أخيه . فاستطاع أن يميز لسمرة الثانية ما علاه من وجوم

واكتساب فقال مستائلاً :

— ما بالك ؟

وأجاب الأخ وهو مستمر في شروده :

— لا شيء

— بل بك شيء . صدقيني . م أحد في وجهك ما تعودت أن ألقاه من

بشاشة إن الدنيا بحير . ماداً يدعوك إلى الاكتئاب ؟؟

وهر أخوه رأسه وأجاب في صوته الخافت ولهجة المقصدة

— لا شيء

وعاد سامي بمائلته :

— هل هناك ما يضاهيك في الجامعة ؟

وتنهذ أخوه قائلا :

— في الجامعة ، ولي غير الجامعة

— شيء خاص بالدراسة ؟

— لا .

— شيء خاص بك أنت ؟

وصمت الصبي ، وأحس سامي ، من نظراته إلى ظهر السائق أن الحديث

في متابعه ليس بجائز العربى ، فقد بدد ورت سائقه رفق قائلا

— مستحدثني بكل شيء عندما يعود إلى البيت .. لم تتعود أن تخفى عني

متاعك .. أليس كذلك ؟

وتنهذ الصبي ولاذ بالصمت .

وأحدث العربى نختار مدخل دمشق المتسع بأشجاره الباسقة المزداء عن

الجانب ، ويردى بساب مجبه ومن ورائه أودية المرمى وقد بدت مقبرة تصصف

فيها الریح .

ولم يستطع سامي ، أن يرحى عيبه وهو يمر بيت « هدى » ، وتعلق

بصره بالشرفة وراء الشجرة العالية التي تعود أن يقبع وراء رجاها على المقعد

الكبير وفي حجره « هدى » .. ونفى لو استطاع أن يقهر من العربى ويعطو ليعصم

« هدى » بين أحضانها .. ولكنه أحس باستحالة أميته .. لأن « هدى » ذاتها

غير موجودة . وهو لا يعرف متى تعود الأليقة .

وأخيرا وقفت العربى أمام باب البيت .

ولم تمس خطوات حتى كان يستقر بين ذراعى أمه ، وقد أحدث تصببه كأنه

صعل جعير

ونظر إليها وهو يرى دموعها تساق وقال صاحبكا :

— علام البكاء ؟ .. على عودتي ؟ .. ماذا كنت تفعلين إذا لم أعد ؟

— أبعد الله الشر عنك ، ولا أراى منك لو في أحرك مكروها

ثم نظرت إلى أعلى وحضت خاتمة :

— يا رب اجعل يومى قبل يومها .. يا رب اجعلها يحملان بأكفهما ..

ولاترق فيهما يوما بفيضا .

وهو « سامي » رأسه قائلا .

— يا ستي لِمَ كل هذا ؟ لماذا تتحدثين عن يومك ويومنا .. ادعى الله أن

يحمطنا جميعا . إن قدرته على حفظنا لا تقبل على قدرته على أخذنا

وضحكك الأم قائلا :

— يحفظكما أنما كفاية .. لن آخذ أبامى وأهام غوى

وأجاب « سامي » بما يعرف أنها تريد منه :

— ما زلت صبية يا أماء .. ربنا يحفظك طول العمر .

وانضى « سامي » من تحية أمه .. وأخرج ما أحصره من هذا لها ولأخيه

وللمحاجة . ولقبة الأهل والأصدقاء . ثم ذهب يبحث عن أخيه يعطى له

هديته .

وأحس « سامي » كأن مائه باردا قد سكب على رأسه .. ومضت برهة ، وهو يخلق في أخيه في شيء من الدهول .. وما ليث أن نتم قائلًا :
— الأوعاد .. أهدا كل ما استطاعوا أن يحاربوني به ؟
وهر أخوه رأسه في ألم وتساءل ، وهو يكت نوبة بكاء :
— أحقيقة ما يقولونه ؟

— عبه حقيقة .. ما لهم وعلاقات الناس !!
— لا يا أخي !! هذه ليست علاقة خاصة .. إنها وصمة .. إنهم يتحدثون عنها بطريقة خفية .. إنهم يجعلون منها سبة في جيبت .. يتحدثون عنك كمشيق من عشرات العشاق .. ويصمونك بأنك تنقض الليل غمورا بين أحضانها .. وسط القمار والرقص والهرطقة .
وأحس « سامي » كأن قول أخيه مدية تخر في صدره . وأجاب ، وهو يحاول جهده أن يصبط أعصابه .
— إن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك .

— كيف يكون إذن ؟ .. هل يمكن أن يتصوره أحد إلا كذلك ؟
وكره « سامي » لفه أنه يقف من أخيه الصغير موقف المدب .. وأن يقدم له نصرا عن علاقة .. وشرحا لوضع لا يمكن أن يكون على أفضل الوجوه وبخير التصورات .. إلا خاطئا . وصبح لا يبرره سوى الإحساس الحقيقي بالحب .. وهو يمرر لا يمكن أن يقنع إلا هردس .. هم طرعا الحب معه ولم يطق « سامي » أن يقف من أخيه موقف الحب العاجز . ولا أطاق أن يدخل ولها في جدل يصير به موقفه أو يقنعه بالتسليم بشيء بحس هو نفسه لو وصح مكانه .. لما استطاع أن يسلم به .

ووجد أن المشكلة أكبر من مجرد إقناع أخيه . إن أعماه يمثل قطاعا من الشباب الوطني الثائر الذي لا يمكن أن يسلم به إلا كمزوج رائع للكماح والوطنية . لا يمكن أن يتصور أبدا .. أن له قلبا يحب .. وإرادة تضعف أمام ذلك الحب ..

لهفة على لقاء

كان الصبي قد احتفى في حجرته ، وجلس إلى مكتبه متظاهرا بالقراءة في أحد الكتب ، وأدهش « سامي » إصراره على الاعتكاف وخلوده إلى الوحدة في حجرته . وانطواؤه .. على حوى يبغى عليه أن يفرح للقاءه ويتلفع على أخباره .
ووصح « سامي » أمامه رباط العنق والصدري الذي أحضره له وقال باسمه :
— ما رأيك في هذا ؟

وهز الصبي رأسه وأجاب في صوت خافت :
— لطيف .. متشكر .

ومد « سامي » يده إلى الكتاب فأغلقه قائلا :

— لا تحاول أن تفهمي أنك تستدكر . هيا غل في ما بك ؟
— لا شيء .

— لا داعي لأن تقول لي لا شيء ، لأني أعرف تماما أن بك شيئا .. فأفصح به لكي تريح نفسك وترخي .. غل ماذا حدث ؟

وقبحة رفع الصبي رأسه قائلا في حزم :
— لن أذهب إلى الكلية .

وتساءل « سامي » في دهشة :

— لن أذهب إلى الكلية !! لماذا ؟! ماذا حدث ؟

— الشيوعيون يهايموني بك .

— في أنا ؟! ماذا يقولون ؟

— يسمونك .. الأستاذ « هدى نور الدين » .

لا يمكن أن يتحيلة إلا أنه يكتب ويخطب ويأخذ ويخوض معارك المكفاح من أجل الحرية والاستقلال .. لا يمكن أن يقره إلا بمسلمات العزة والكرامة والصبر . مسلمات يبدو الخب بجزائرها صعبة ومذلة وهوانا .

ولم يحس في نفسه القدرة وقد تكاد على مناقشة تلك المشكلة . سواء مع أخيه أو مع غيره من الناس .

لم يجد أن الوقت قد حان بعد لكي يواجهه مع الصراع العظيم الذي لابد أن يهوضه مع جانبي المشكلة .

لم يشعر أنه قد وصل إلى النقطة التي يعتبر معها الملاحظة على توازنه والاعتماد بكلا الجانبين . والتي تنجم عليه أن يصحى بأحدهما لكي يخلص بالآخر .

كان يحس بأنهما معا قد باتا يكرمان حياته .. لم يتصور مرة واحدة أنه يستطيع أن يتحلل عن دوره القيادي في معركة وطنه .. أو يمضى بنفسه عن ميدان الصراع لكي يحيا حياته الخاصة مستمتعا باستراحة ماعسة لية .

ولا بات يتصور أيضا كيف يمكن أن يواصل السير في حياته تلك مجردا من حبه .. يعلم فيها لأهنا مكروبا . دون أن يجد ملجأ يلجأ إليه أو مقرا يستقر فيه .

لقد أمضى حياته صائما .. راهنا . وكان يمكن أن يواصل السير في دعوته وصومه .. كان يمكن أن يطلق في يداه الحياة .. غير عائق بقهرها وبأسها . إذا لم يجد فيها ما يهره بالجهل للرأى والراد .. حتى صادف ملجأه . الذي خلقه الله له .. فأحس بالسعة الأرض تحت قدميه ووهج الشمس فوق رأسه .. فاندفع إليه ونشبت به .

لماذا يرمونه عليه ؟

لماذا يحاولون أن يقيسوه بمقاييسهم ؟

ولماذا يحس هو عن الارتباط علنا .. وعرض وجوده عليه كجزء من كيانه !
أيمكن هذا ؟

إذا كانوا لم يهتموها كمشقة .. أهتملوها كزوجة ؟

لم تكونوا المقاضية .. على كل آمالهم فيه . ولتألمهم به ؟

وهز رأسه كأنه يصرخ عن دمه نقلا بوشك أن يودى به . ونظر إلى أخيه الصامت في حرد ، الطرق في رأس واكتئاب . وقال له ، وهو يتهدى في أمسى .

— حس . لا أظن الوقت مناسباً لمناقشة الموضوع . كل إنسان له كيانه البشري .. وله ميوله الخاصة ، ولست أقول ذلك لأعتمد على مروءة بشرية ، ولكن

لأوضح لك أن على كل إنسان يخوض معركته البشرية مع نفسه .. هو وحده الذي يستطيع أن يعرف ما هو حق وما هو غير حق .. وهو الذي يقرر نتيجة صراعه وعليه

أن يهتمها وحده وأنا مهتما بدوت لك أو لمؤك .. لا أريد عن إنسان .. وعلى أن أحوش معركتي مع نفسي .. وعلى أن أتحمّل نتائجها ، وهى به أغوه :

— لست وحيدك الذي تتحملها .. إننا نستحملها معك .

— أرجو الله أن يجنبى كل ما يسيئكم أو يخلدكم .

ونهم الصبي صمد دراخيه وضم أخاه في لفعة واندفع في نوبة من البكاء .. ولم يملك « ساسى » إلا أن يصرخ إليه الجسد الصغير المرتعش في حنان . وأن يدل كل

ما يملك من جهد حتى يبعد الدمع في مآقيه . فلا تصيبه نوبة البكاء . وتختلط دموعه بدموع الصبي .

وعاد « ساسى » إلى حجرته .. والأفكار تصطبغ في دمه .. وكل شيء قد بدا من حوله مبهما غامضا . عدا شيء واحد كان يلح عليه في وضوح وإصرار .. هو

لقاء « هدى » .

ومن أجل هذا .. كان عزمه على العودة إلى المكتب .

ولم يكد يستقر في البيت هيبه ليبدل ملابسه . حتى كان يبيض مرة ثانية ، ليأخذ السيارة في طريقه إلى الحديقة .

وكانت « طابرة » تجلس في انتظاره وبها إحساس الجالس على بركان لا يعرف متى سينفجر .

لم تعرف ماذا يمكن أن تكون نتيجة عملها الذي أقدمت عليه .
إنه عمل أحمق لا شك فيه .

لم تعرف « فائزة » ما به من حماقة ، إلا بعد أن فعلته .
ومع ذلك .. لم يكن هناك مفر من عمله .

لم تكن تستطيع أن تجلس صامتة . وهي تراهم يقدمونه بالقادورات
والحجارة .. كان عليها أن تفعل شيئا لحمايتها .

ولم تستطيع أن تفعل إلا ذلك الشيء .
وعليها الآن أن تجلس في انتظار نتائجه .

ودخل « سامي » فنهضت لتحيته ورد عليها التحية متسائلا .
— ألم يطلب أحد ؟

— لم يطلب أحد في هذا الرقم .. والتليغراف الآخر دق بصح مرات ورد عليه
الأستاذ سليم .

ودخل « سامي » مكبها فاستقبله « سليم » مهللا وهو يقول :
— أخيرا .. من الله عني بالمرح . نسلم مشكلاتك . لقد بدلت كل ما

استطيع لضاعتها لك .. بفضل .
وأزاح إليه كوما من المقالات والرسائل :

— مشكلات قراء ، وكتابات ، ومرمرين ، ورسائل إعجاب ، وشنام .
وأعطى المقعد لسامي وهو يستمرسل قائلا :

— لقد أخذت الإعجاب .. وتركت لك الشنم .
وحبس « سامي » على مقعده .. وبلا وعى امتدت يده إلى الساعة وهو

يتساءل

— هل سألت عني أحد ؟

— كثيرون سألوا عني .. قلت لهم إنك مسافر .
— أقصد الآن . بعد أن عدت ؟؟

— لا .

وبدت الحيلة على وجه « سامي » وراح يدير القرص طالبا رقم هدى ، وجلس
سليم يرقبه وهو يسأل .

— التت حضرت ؟

وردت عليه « أم حبيب » قائلا :

— لا يا سيدى

— ألم تتكلم ؟

— لا .

ووضع الساعة في صيق .

وأحس « سليم » أن هناك أشياء كثيرة .. يجب أن يقال ، وكان هو أحمق الناس بقولها .
معركة الشبان و الحروب .. والصحيح الذى أحدثته . وتهدد مؤاد ،

ودهاب « فائزة » إلى « هدى » .

كل هذا يجب أن يعرفه بتفاصيله ، حتى يستعد لمواجهة .

وقبل أن يفتح « سليم » شفتيه للحدث دق جرس التليغراف .

ورفع « سامي » الساعة في الحفة .

وبدت على ملامحه الحيلة وهو يتف عينا :

— أهلا وسهلا عود الوهاب بك .

— حمد الله على السلامة يا سامي .. لقد عشت الآن فقط أنك وصلت ..

كيف الحال ؟

— الحمد لله .. لقد فعلنا أشياء كثيرة .

— أعلم هذا .

— استطعنا أن نشرح قضيتنا جيدا وأن نسمع الرأي العام العالمى صوي

— كنت موفقا جدا . ولعلك تكون قد اتضعت بإصرارى على سمرك أنت

بالدات ؟

— أجل كان يجب أن أكون هناك صلا . إن هناك أشياء كثيرة حققناها بالاتصال الشخصي ، وأريد أن أسردها عليك .

— تعال في أي وقت .. إني في انتظارك في البيت .. هل تستطيع أن تأتي الآن ؟

وتردد : سامي ، برهة ولكنه ما لبث أن قال :

— أجل .. إذا لم يكن هذا يضايقك .

— قلت .. إني في شوق إلى رؤياك .

ووضع : سامي ، الساعة وهو يحس بشيء من الضيق .

كان يتلهف على لقاء : هدي ، وكان يحس أنها ستحصل به من آوبة وأخرى ، فلا بد أن تنحصر أو على الأقل تتحدث إلى أم حبيب ، ولا بد أن تخبرها ، أم حبيب ، بوجوده .

كان يشعر بمرط الإجهاد .. وكان يعرف جيدا المكان الذي يريعه . هناك على المنحدر الكبير .. في الحجرة الداخلة ، وراء الزجاج الذي يبدو منه بحري بردى . بجانب حتى يكتفى بين المصائب . والأشوار تتلألأ في حصص الليل . ودراعان تصمانه في شوق . وشعنا تحسسان عقه ودقه ، وأبعاس عادية تدق وجهه وبدا له كأن القدر يعانده .

وأنه قد تمح عليه أن يرى كل الناس قبل أن يراها .. ولم يملك إلا أن يهبط في اصطلام قاتلا لسليم :

— سأذهب إلى عبد الوهاب بك .. انتظري هنا .

— هل تمكنت كثيرا ؟

— لا أظن

— إذا سأنتظرك إذا أردت .

وبدا التردد على وجه : سامي ، وكأنها يريد أن يقول شيئا .. وعندما وصل إلى الباب أنفتحت إلى : سليم ، قاتلا .

— إذا تحدثت .. قل لها إني سأكون هنا في الساعة الثامنة .

ورفع : سليم ، رأسه وأجلب :

— كنت أود أن أقول لك شيئا هاما .

— عندما أعود .

— أفصل أن أقوله لك قبل أن تدع

— ما هو ؟

وهي : سليم ، مقتربا من : سامي ، .. وأمسك بدراعه برق وقال ببساطة

— عبد الوهاب بك يعرف علاقتك بها .

ورفع : سامي ، حاجبيه في دهشة :

— ماذا يدعوك إلى أن تقول هذا ؟

— لأن أعني أن يحدتك في موضوعها ففاجأ .

— وما الذي يدعوك إلى هذا الظن ؟

— لأن المسألة قد شاعت .. إن المشكلة لم تكن في أن يعرف هو ، ولكن في أن يعرف أن الناس كلها تعرف

— ما هذا الذي تقوله ؟

— حدثت معركة في فاعة الحرب بين الشبان حول علاقتك مهدي

— معركة في الحزب حول علاقتي بها ! ما هذا الذي تقوله ؟

— وبلغت مسامحة عند دخوله إلى حجرته . واضطر إلى تهدئة الشبان وهي

مركبهم .

وبدا الوجوم على وجه : سامي ، واستطرد : سليم ، يقول :

— وحصر بعدها فؤاد عبد الجبار .. وتغوى بكلام سخي من الذي تمرد أن

يقوله وأكد بأنه سيوقع بك قريبا .

وأطرق : سامي ، برأسه وبدا عليه الشرود ثم تم قاتلا .

— كل هذا حدث ؟!

وأحس : سليم ، بالصق الذي أصابه . وكره أن يخبره بما فعلته ، فابره .

ووجد أن من حقها هي أن تخبره إذا شاعت .

ومد يده فشد على ذراعه قائلاً :

— لقد أردت أن أحرك بكل ما حدث ، حتى لا نعاجزاً بشيء وتكون على استعداد للتصرف .

وتفخ « سامي » من أنفه نفخة ساخنة .. وتغم قائلاً :

— تصرف .. أي تصرف ؟!

— كل شيء يمكن إصلاحه .. ولكن يجب عليك أولاً أن تتحمل عملية التمر

وأطلق « سامي » مرة حارة وهو يردد بصوت عالٍ :

— بتر .. ما أسهل الأقوال !

ثم انفلتت خارجاً وهو يكاد لا يبصر ما أمامه .

طريق الصوب

وصل « سامي » إلى بيت « عبد الوهاب بك » واجتاز الساحة التي توسطها
البحر .. وصعد الدرجات الرحامية العريضة المؤدية إلى الطابق الثاني
وكان « عبد الوهاب بك » قد استقر على الأريكة متدثراً بالروب . وقد
أمسك بيده أحد الكتب السمكية التي ترعرع بها مكتبته ، ولم يكده بحسب سامي
بفارق الباب ويخطو داخل الحجرة حتى نهض لاستقباله مرحباً وقال وهو يشد
على يده :

— أهلاً .. وسهلاً .. حمد الله على السلامة .. تفضل .

واستقر على أحد المقاعد المريحة بجوار الأريكة .. ودخل أحد الخدم يحمل
القهوة . ودفع إلى جوف المذعة بكتيتي حطب ثم انصرف
وبدأ « سامي » حديثه فأعطى لعبد الوهاب تقريراً موجزاً عن كل ما حدث
حتى انتهى إلى الحديث الذي دار بينه وبين مندوب الاتحاد السوفييتي الذي فارق
معه بين أسلوبي الصداقة والتعاون التام مع احترام مبادئ الشعوب وحريتها
وعظمها . وأسلوب احتضان بعض العملاء لتكوين أحزاب تنصن نوعاً من
التبعية والسيطرة وعرض مبادئ ممية لا تلائم طبيعة الشعوب .

وابتسم عبد الوهاب وتساءل قائلاً :

— هل قلت له ذلك ؟

— أجل .

— وماذا أجاب ؟

— بالصمت . وإن كان يعلب على ظني أنه قد اقتنع بقوى في قرارة نفسه

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

بن أعتقد أن حكام الاتحاد السوفيتي يؤمنون بذلك ، وإن كان التنظيم الحزبي لا يستطيع أن يحدد أتباعه الذين حاول الاستاد إليهم قبل أن يكسب الصداقة العنية للشعوب خشية أن يعقد ثقة أتباعه الذين ما زال يحتاج إليهم في تهيئة مواطني تقدمه في المناطق الخربة عليه .

وهر « عبد الوهاب » رأسه وعادته الأمانة تعلو شعبه ، وأجاب في هدوء :

— جازر . وإن كنت في بعض الأحيان أحس أن الشيوعية في حقيقتها لا يمكن أن تشكل ذلك الخطر الذي يمكن في أذهاننا وراء اسمها .

— كيف ؟

— لأنى أرى للشيوعية مفهومين . مفهومها كميادئ .. ومفهومها كنظام لحكم . أما مفهومها كميادئ .. فهي شيء نموذجي لسعادة البشر لا يمكن تطبيقه أبدا في دينا هذه وبعبارة البشارة تلك .. ولا أظن نظاما ما يمكن أن يطبقها بالطريقة التي تحقق أهدافها إلا إذا كان نظاما إلهيا في دينا الملائكة . فإذا ما حاولت تطبيقها بمفهومها كنظام لحكم . أصبحت في حد ذاتها سحرية المسخر إذا ما قوربت بمفهومها كميادئ . ولم تعد أن تكون نوعا من أنواع السيطرة على الشعوب . من أجل عملية بناء . وهر حرية جيل أو بضعة أجيال . لكني مورتها رعاء للأجيال التالية .. وهي هذا المفهوم الواقعي الذي انتهت إليه لا يمكن أن تكون إلا مرحلة انتقال في حياة الشعوب .. أو دور تربية أو فترة نقاش . أو عملية بناء . تتطلب سيطرة كاملة على الحريات وحشدات تامة للشعوب .

ورفع « سامي » حاجبيه في دهشة وتساءل قائلا :

— هل تعتقد ذلك حقا ؟

— طبعا إن الشعوب جميعا ككل كائن حي يمر بعترات طفولة وشباب وعجز ، وموت ثم إعادة ميلاد .. ودور المعز والوهن تحتله فترة الاحتلال التي

تتحكم فيها قلة متحومة في كثرة محرومة .. وتعشى العساد ، وتختل الموارير ، وتصنع الثقة ، ويتبدد الإيمان ، ويسود الفلق والحمران والطمع .. حتى يصل الاحتلال بالشعب إلى حالة انهيار أو احتضار .. أما إعادة الميلاد فتتمثلها التوارث التي تعقب فيها صرخات الوصع بكل ما فيها من آلام وأوجاع

صباحات المولود الجديد . الذي تحشد الجهود من أجل حمايته ووقايته من كل عدوان .. والتضحية من أجله بالكثير من الراحة . وتحرر الشعوب بعد ذلك بعترات الطفولة والوهن التي تحتاج إلى نوع من التربية . تفرض فيه القيود وتحدد الحريات . حتى يستكمل النضج بياه ، ويحسن بعفوانه ويكبر على القيود .. ولا يجد مبررا لمرأته حرمانه . ويطلق ليعم بحياته ، وبقدر إطلاقه وتحسنه يكون إشرافه على الهالة .

وحسنت « عبد الوهاب » برهة ثم أضحى بعفة ساحرة من فمه وامرسل يقول .

— تلك حياة الشعوب .. لا بد من عترات تربية وبناء ، وللتربية ، كما تعلم ، أساليب مختلفة من الشدة واللين ، وعمليات البناء تختلف في مدة إنجائها والمسألة بعد ذلك تتاح إلى مورية . بين نصيحة جيل من أجل جيل آخر أو النصيحة ببعض عمر جيل من أن يسعد الجيل نفسه بثقة عمره . وطابع الشعوب تختلف . وفترتها على احتمال النصائح متفاوت .. ونوع النصيحة المطلوبة تختلف أيضا بين شعب وآخر . وعندما يتحتم على شعب أن يشار في حربه لكيلا يموت جوعا . لم يجد أمامه بديلا للتنازل عن هذه الحرية .. ولكن إذا خيبرته بين حريته ، وبين مزيد من الطعام . فقد يتنازل بسهولة عن المزيد من الطعام . إن الحرية قطعا شيء جميل . منع .. ولكن عيبا في بعض الأحيان ، أن سارن عن بعضهم . لتحقيق ما هو أفضل

— هل هناك ما هو أفضل من الحرية ؟

— الحياة . وأشياء كثيرة أخرى لا نستطيع أن نتأها في هذه الحياة إلا بالتنازل

عن بعض هذه الحرية .

— مثل !؟

وصمت « عبد الوهاب » .. وأطرق برأسه واستغرق في التفكير ..
ومالبت أن رفع رأسه وقال في هدوء :

— مثل . كل شيء في هذه الحياة .. لا يمكن أن تحصل عليه . إلا إذا تارلت
عن حريتك من ناحية أخرى .. فلنكن نتمتع بحريتك المطلقة .. لا يمكن أن نتمتع
بشيء من مظاهر الحضارة من حولك . وكل منحة يمنحها لك المجتمع لا بد أن
يأخذ ثمنها من حريتك .. والمسألة لا يمكن أن تكون إلا موازنة بين ما تفقد من
حرية . وما تحصل عليه من مزايا بدل ما فقدت من حرية . وأنت بعد كل
ذلك حر .. أن تطلق في عاية لنتمتع بحريتك بين وحوشها ، وبين أن تدخل في
مجمع لتسلم إليه جرعا من حريته .. وتلتزم بالترامات وتحمى مزاياه فإذا
أحسنت بأن مجتمعك قد جاز على حريتك . وسلب منها أكثر مما تحصل وأكثر
مما منحك إياه . فليس عليك إلا أن تنور . لتفوق هذا المجتمع الجائر بكل
ما فيه ، وتعود لسان مجتمع آخر تولد فيه بين ما يملك وما تمنحه .

واهتم « سامي » ورد عليه قائلا :

— هذا هو ما أحب أن يصل إليه .. ما دما لا نستطيع أن نملك الحرية المطلقة
في مجتمعنا .. فضل الأقل نكون أحرارا فيما تمنحه له من حرياتنا .

— لا يمكن أن نكون إلا كذلك . لا يمكن أن يستقر مجتمع إلا إذا حدد
أفراده بأنفسهم ما يتناولون عه من حرياتهم . في سبيل ما يبتغون لأنفسهم عه
من رخاء ، وما يحفظون من مزايا

وصمت « عبد الوهاب » برهة ثم استرسل يقول :

— المسألة كما قلت لك . موازنة . يجب أن يوازن دائما بين ما يمنحه
وما يحصل عليه ، وكما لا نستطيع أن نمنح دون أن نحصل . لا نستطيع أن نحصل
دون أن نمنح .. أنت مثلا لا بد أن تتنازل عن بعض حرياتك إذا أردت أن تواصل

السير في الطريق الذي تسير فيه .

وأحسن « سامي » أن دمة الحديث قد تحولت فجأة إلى اتجاه يتندر
بالخطر . وكان « سليم » قد أندره بما عرّفه « عبد الوهاب » ولكنه لم يتوقع أن
يخص الرجل في المسألة مثل هذه السرعة .. ولم يجب « سامي » وأطرق صامتا
مستظرا .. كيف يمكن أن يترك « عبد الوهاب » الموضوع . ومادا يؤول إلى
يقول

وعاد « عبد الوهاب » يقول بعد برهة صمت :

— لست أدري في الواقع كيف أبدأ الحديث في هذا الموضوع .. بل
ولأدري حتى إذا كان من حق أن أطرقه أم لا .. ولكني أحسن أن أسلك حثك
حقين - حق الوالد ، وحق المعلم - وأنا أعرف سلامة تفكيرك وأعرف سعة
أفئتك وكنت وثقا عندما بعضي بعض الشائعات عن هذا الموضوع أنت لا يمكن
أن تتورط في مشكلة . وإذا تورطت فأنت أدري الناس يحل مشكلاتك
ولكني أحسست مد بصحة أيام عندما حدثت المعركة في الحرب . أنك بحاجة
إلى من يساعدك .. وأحسنت في نفسي أن أكون الناس بمساعدتك

ومرت برهة صمت أطرق خلالها « سامي » وشرذ بعينه في جوف
المدفأة . وأحدث الصور تتوالى بسرعة على دمه هدى . وفائرة . وسليم .
وتتبد « عبد الوهاب » ثم عاد يقول :

— هل ضابقتك بمحذبي في الموضوع ؟

وهز « سامي » رأسه بالنفي في شيء من الأسى وقال :

— حديثك لا يصابقني أبدا . وإنما تطور المسألة هو الذي أصحى مرعفا .

— كان لا بد أن تتطور إلى شر من هذا

— ثلثا !؟ أنا لم أفعل شيئا أسى به إلى أحد .

— مجرد العلاقة .. أسأتها إلى نفسك . وصمتت بظنها كل هؤلاء الشباب
الذي يؤمن بك .

— ماذا يظنونى .. نى !!

— لِمَ لا ؟

— وماذا يعاب على ؟

— أحقا لا تعرف ؟

— هل يسيون شكل العلاقة ؟

— وموضوعها . لا يمكن أن تضعهم بوضعك في هذه العلاقة على أية صورة من الصور .. أو بأى شكل من الأشكال .

— ماذا ؟

— لأهم لا يهمون أن يكون نموذجهم شئ، تربطه بالطريقة هدى نور الدين ه علاقة ما .

— إنها غير من أية سيدة .

— في طرفك أنت ، وبميك اهبة .. فإذا كنت تستطيع أن تقنع كل مرد منهم بوجهة نظرك . وإذا كنت تستطيع أن تجعلهم جميعا يظنون إليها بميك اهبة هل تكون هناك مشكلة . فهل لديك الاستعداد للقيام بهذه العملية ؟ وصمت سامى .

م يستطع أن يتصور نفسه وهو يشر الشباب بحب هدى بدل من نشرهم بالقومية .. والكفاح .

وعاد ه عبد الوهاب ه يقول :

— على أية حال . هذا جدل لا فائدة منه . يجب أن تعرف حقيقة بسيطة وواقعة . أنت معطوف في سبيل يصعب عليك السير فيه هذا الحمل الذى تحمله . فإما أن تلقى عن كفتك . وإما أن تبدل سبيلك .

وتبد ه سامى ه وهو يحس أن ه عبد الوهاب ه قد قرر له الحقيقة الواقعة التى لم يحاول هو أن يقررها لنفسه .

واسترسل ه عبد الوهاب ه قائلا بطريقة حازمة .

— فإذا كنت تعذر قيمة العمل الذى تقوم به . وإذا كنت تحس بحبونه . لوطك ، ولش حولك بل ولعسك أيضا فقد تحم عليك أن تقطع كل علاقة لك بها .

ورفع ه سامى ه رأسه وتسايل في صوت ملء بالمطارة :

— حتى ولو كانت هي أيضا قد باتت شيئا حيراني ؟

واعتدل ه عبد الوهاب ه في جلسته ، ثم مد يده فأسسك برفع ه سامى ه وضبط عليه بكفه قائلا :

— اسمع يا سامى أنت واهم .. أنت تعيش في أوهام حب بشد أعصابك . ويرهب أحاسيسك .. ماذا تقصد بأنها قد أصبحت حيوية بالنسبة لك ؟ لقد فقدت أبى مد عامين وظلت أن حياتى ستدوى بعده ومع ذلك وجدت نفسى أعيش وأعمل كل ما يحمله الناس أما أكثر من تجربة في هذه الأشياء .. ما كان عليك أن تترك أحاسيسك تجرحت إلى حد أحد مثل هذه العلاقة بمكر الاستمتاع بها لفترة ما على ألا بدعها تستأثر بها وهز ه سامى ه رأسه وقال في أسى :

— هذه ليست مجرد علاقة .

— كان يجب أن تجعلها مجرد علاقة . كان يجب أن تحسم الأمر منذ البداية إنا نحن الذين يصح الحب لأفصا نحن الذين نغرسه ونسجه ، ونعود أنفسا عليه حتى يصبح حراما من حياتنا ، ومن كياننا ، وببيت ولا غنى لنا عنه .. كان يجب عليك أن تعرف منذ البداية أن لا طاقة لك بمثل هذه العلاقة ، أو الحب ، لوسمه كما نشاء .

— كنت أظنه شيئا خاصا في وحدى .

— وحدك ؟ أنت لست موحدا في دائرة . وهي ليست محسوقة عادية وكان يجب أن تعرف أن مثل هذه العلاقة بين إنسانين شهيدين لا بد أن يناع أسرها في يوم ما وأنها ستكون معمرا لك . وأنت في حاجة لأن يكون

بلا معمر ، ولا مطمح وسط الممركة التي تفرسها . يجب أن تكون قويا حتى تواجه خصومتك في ثقة . يجب أن تبني كل شيء .

وصمت « عبد الوهاب » وسطر إلى « سامي » يرقبه في شرود وإطراق وتحدث سامي في صوت خافت كأنه يتحدث بنفسه قائلا :

— لست أضر إيهاء المسألة بمنزلة هذه السهولة التي تتحدث عنها . لا يمكن أن تقرر فيها أمرا ثم تنوي تعديده .. حتى تنتهي منه . سهل جدا أن عجل أمام المدعاة في خلوة ثم تصبح بما يجب وسبي عما لا يجب . وقلوبا حالة وأعصابا مستريحة . عندما أقول لك إلى أحس أنها قد باتت شيئا حيويا في حياتي .. هذا أعنى ما أقول . إني لا أبالع إذا قلت لك إلى أشعر أحيانا أنها أكثر حيوية من أي شيء آخر .

— حتى عملك وكفاحك ورسالتك ؟

— أحيانا .. أجل

— إلى هذا الحد ؟

— إنه لا ؟! أم تقول أنت بعثت أن عليها دائما أن يوازن بين ما يحبه مجتمعا

من حرياتها وبين ما يحبه لقاء هذه الحريات . إلى أحس أحيانا أنه ليس هناك ما يعادل حرية مشاعري حريتي في أن أحب كما أشاء وأحبا مع من أشاء .. ليس ما يعادل هذه الحرية حتى انتصاراتنا التي حققها بكفاحنا .

حتى كل هذه الأشياء الباهرة التي يصحى بكل شيء من أجلها

— هذه هزات صمغ من الخطأ أن نعملها تسطر على تصرفاتنا ونحوها عن طريق الصواب .

— طريق الصواب ؟ كيف يحدد طريق الصواب ؟ تحده هزات عباد صائمة ندوس كل مشاعرا وتحطم كل ميولا . تضطر إلى اتباع طرق جانبية تلام طياتها . طرق الصواب المستقيمة في عمتها وصمت لما قصة نكوبيا غير المستقيم . هرق مستقيمة استقامة غير طبيعية . لا يمكن أن نلهم

بشرط طيحتهم عدم الاستقامة . والنتيجة مجتمع حاشد بالدروب المثوية الرديرة والطرق المستقيمة الحايوة . أترى الطرق حقا قد وصحت للبشر الكائنين .. أم لبشر موهومين ؟ إن لنا سمات وطبعا وحقا .. ما أطل الذي شق طريق الصواب قد انخرس وجودها قط

وصمت « سامي » وعاد إلى إطاره وشروده .

وأحس عبد الوهاب بكل ما يضطرب في باطنه من مشاعر .. ولم يجد هناك جدوى من الاستمرار في الحديث .. فهر رأسه بطه قائلا :

— إلى أهمهم مشاعرك جيدا .. لا تنس أني أحكم عيبك كما قلت ، وأنا جالس أمام المدعاة مسترخي الأعصاب حالي القلب .. أنا أحبك . وأعرف قدرك . ومن أجل هذا قلت لك ما قلت . إلى أشعر أنها أزمة لا بد أن تمر وأدعوا الله أن يمحى القوة والجلد عن نخطها إلى رعم كل ما قلت في أني إليك ، وفي إرادتك ، وفي حسن فهمك ، وفي قدرتك على اجتياز هذه

وصمت « عبد الوهاب » .. وساد السكون البرقة . فلم تعد تسمع إلا طرقات « المطب داخل المدعاة .

ووقف « سامي » ومد يده مودعا في صمت . وبس « عبد الوهاب » لصاحبه قائلا :

— لديها أعمال كثيرة . لديها اجتماع المقاومة الشعبية . واجتماع في مجلس النواب .

وأجاب « سامي » قائلا :

— سأعود الآن لمكتبى .. لأعد لكل ذلك .

وعادر الحجره وكأنه يحمل على كتفيه عتا ينقل كاهله ويغص ظهره .

الحجرة ، وفار الحديث حول اجتماع القاهرة وعهد الأثرى وموقف الأمر بكان
والفرص الروسى .. وأنشأه كثيرة . أحس سامى أنه يطقها بلا وعى .
وأذنه معلقة بحرس التليفون .

ودق الجرس . فأصابت رجعة ، ومد يده ورفع الساعة . فلم يسمع غير
صوت سليم يسأله

— هل عدت ؟

— أجل .

— ماذا حدث عند عبد الوهاب بك ؟

— تحدثت فى الموقف السياسى وفى اجتماع القاهرة .

— فقط ؟

— وتحدثنا عن الشيوعية .. وعنى ..

— هل حدثت فى الموضوع إياه ؟

وأحس سامى « بنىء من الارتباك » وحيل إليه أن الشباب يسمعون
حديث سديم وأهم يعرفون كل شيء عن الموضوع إياه . وأنه يجلس أمامهم
عاريا .

ولم يملك إلا أن يجيب سليم بسرعة

— أجل .. تحدثنا فى كل شيء .

— وماذا قال لك ؟

— سأحدثك فيما بعد

— أرجو ألا يكون قد حدث ما يصابك ؟

— ليس أكثر مما هو معروف .

— هل تريد أن أتى إليك ؟

— لا لا .

— لماذا لا تعود إلى البيت وتسترخ ؟

مؤيد من الناس

عاد « سامى » إلى مكتبه مبكرا مكتوبدا وكانت الساعة قد بلغت التاسعة
والنصف . ولم يكند يدخل مكتب « هابرة » حتى وجد ثلة من الشباب فى
انتظاره . ولم يحس سامى قدرة على الترحيب بهم والحديث معهم . فقد كان
فى أشد الحاجة إلى أن يتخلو لنفسه . فى حاجة إلى أن يجلس ويهكر وحده .. كان
يمتد إحماس باخيرة والصباغ . كان يحس أن ثمة شيئا لا بد أن يقبل .. ولكنه
لم يكن يعرف ما هو هذا الشيء ..

ووسط كل هذه المشاعر المتصارعة فى ذهنه . لم يستطع أن يجمع حينا جارعا
يشده بعيدا إلى مكان وراء الشرفة الزجاجية المظلة على النهر المواجهة لأصواء
الليل

وم يحدث إلا أن يرسم ابتسامة عريضة على شفتيه ويحيى الشباب مرحبا فى
حرارة ثم يطلب منهم التفضل داخل مكتبه .

وسأل « سامى » فائزة وهو يتجه إلى مكتبه :

— ألم يسأل حتى أحد ؟

— سألت عبد إبراهيم ركنى وحسين طمعت .

وأحدث « هابرة » تسرد بضعة أسماء لم يجد « سامى » فيها ما ينفعه إلى
الاهتمام . واسترسلت « هابرة » تقول .

وقد ترك الأستاذ سليم المكتب بعد أن اطلع على تعارب المقالات
واعتمدها . وقال فى أن أحرك أن لديه موعدا هاما فى العاشرة

واستقر سامى على مكتبه وجلس الشباب على بقية المقاعد المرسومة فى

— إن لَدَيَّ بعض شباب الحروب .

— اصبرهم وعد إلى البيت .. إنك في حاجة إلى الراحة

— سأعود بعد أن أنهي أعمال

— أمرك .. ألا تريد أية مساعدة ؟

— متشكر .

وتردد : سامي ، برهة ثم سأل :

— هل سأل عن أحد في التلفزيون ؟

وأحسن سليم بما يعنيه من سؤال ، ومثاله كأنه في أزمة ، وأنه ينتظر تليعبوا
من هدى . وأن كل غروحه وبقائه حتى الآن لم يكن إلا انتظار له .. صعد
يقول :

— لماذا لا تعود إلى البيت وتستريح بدل هذا الانتظار المظني ؟

وأحسن : سامي ، بصوت من قول : سليم ، وعاد يتسائل في حدة .

— قلت لك .. هل سأل عن أحد ؟

— لا .

— انتبها . تصبح على خير

— وأنت من أهله .. سأراك صباحاً ؟

— إن شاء الله

وأغلق : سامي ، التلفزيون واستدار إلى الشباب وأحد في الحديث إليهم
والاستماع إلى مباحثتهم

وكان يحس بقلق خلال المناقشة .. كان يهيم في مظهرهم انبعاثاً بذلك الشيء
الذي دارت من أجله المعركة بينهم في قاعة الحرب .. كان يحس أن يتساءل
أحدهم في أية لحظة عن حقيقة المسألة .. كان يحس أنه يجلس وبه ذلك المعبر
الذي حدثه عبد الوهاب بك عنه .

وكان يتوق إلى أن يذق جرس التلفزيون ويسمع صوت : هدى . ولكنه

كره أن يذق وهم يجلسون أمامه .. وكأنهم يسمحون صوته أو يرقبون آثار
الحديث على وجهه .

وطالت المناقشة وبدأ في طريقة حديث بعضهم نوع من الخصومة
والتحدي .. وأحسن بأن توتر أعصابه قد بلغ أشده .. ولم يملك إلا أن يسي
المناقشة محاولاً جهده أن يبدو هادئاً .. وبعض الشباب يودعونه وقد بدا عليهم
أنهم يهجون الاستمرار في المناقشة بعد محادثته مكثبه .

وأحسن : سامي ، بأنه كان يمكن أن يكون أقوى بما كان لولا هذا الإحساس
الذي يكس في باطنه بأنه محطئ .. وبأن هؤلاء الصحار يعرفون أنه محطئ .
وعاد يذكر حديث عبد الوهاب ، بأنه يجب أن يكون بلا معسر
ولا مطن .. يجب أن يكون قويا والقا .. حتى يستطيع أن يواجه كل خصومه .

وبعض من مكثبه .. وعمل معه اليأس . وهو يحس أن العبء يزداد على
كتفيه . ويتسلى لو استطاع أن يعظم قيد الحب عن يديه ويطلق من أسره حرّاً
قويا .. بلا معسر ولا مطن .

ومع ذلك فقد كان حبيه أقوى من يأسه . فمد يده إلى التلفزيون وأدار
القرص .

وعلا صوت : أم حبيب ، حانفا متحشرجا ليلامه بمريد من حزن ويأس ،
قائلاً :

— آلو .

— أنا : سامي ، يا : أم حبيب .

— السيدة لم تأت بعد يا سيدى .

— ألم تحدث في التلفزيون ؟

— لا .

— متشكر .. تصبح على خير

— تصبح على خير .

ووضع السماعة في أنس .. ونظر إلى الساعة في يده .. فإذا بها قد أوشكت على الثانية عشرة . متعصب الليل .. ولم تعد .. ولا تحدث في التليفون ؟! وعدد الشك يحرق في نفسه ، ليصف مريدا من الأنس والحزن والمرارة والأسى .

وبعد ؟!

ما آخرة كل هذا ؟!

لماذا لا يحطم القيد ويستريح ؟!

لماذا لا يتخلص من كل هذا ؟

لماذا لا يستعيد حريته .. وسلامته .. وقوته . وثقته بنفسه .. وثقة الناس به ؟!

لماذا لا يحررها من عبودية الحب ؟! لماذا لا يكون حاسما في أمره ؟

وبعض عن مكتبه .. وتناول معطفه .. وهم بمغادرة المكتب ، وقد أحس كأن النهاية المحتومة تقترب .

وفجأة دق الجرس .

وتوقف مكانه .

وعاد الجرس يدق .. وسار إلى التليفون . ورمع السماعة .. حصل إلى أذنه .. أرقى الأصوات وأجملها هاتفا :

— آلو .

وأحس « سامي » كأن كتل الحزن والأنس والمرارة الراسخة على صدره .

قد دابت . وبرغمه ملأ نفسه شعور بالراحة وأجاب هائما :

— هدى ؟!

وهتف به الصوت الذائب :

— سامي ؟!

وصتت لحظة كأنها تحاول التقاط أنفاسها وعادت تسأل :

— متى عدت ؟

— قبل المغرب

— وإلى الآن لم أرك ؟

— ظلمت أذني لك التليفون منذ السادسة حتى الآن . وه أم حبيب ؟ تغري

— أنت لم تعودى .

— منأسة جدا .. لو علمت أنك آت لما غادرت البيت .

— أين كنت طيلة اليوم ؟

— أتوى أن تضع الوقت في الحديث في التليفون !!

— لو خطر ببالك أن تتحدثي .

— اسمع . صبح السماعة حالا وتعال . إن أكاد أموت شوقا إليك

ووضع « سامي » السماعة .. وانطلق إليها .

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

القاهرة . وقطع عليه الكتابة راكب عراق حصر المؤتمر وأحد يساقته و
قراراته

وأخيراً وصل إلى دمشق . وقد بذله أنه قد أسس يومه الحافل المرحق وأنه
أرثث أن يستقر في أمتع ملجأ وأهدأ مستقر . بعد طول بعد وغية وشوق
ولهفة

ولكنه لم يكذب إلى المطار . حتى جرفته موجة من الوسواس والتداعب
والأزمات . ظلت تنقادته حتى أحس بأنه يعيش يوماً بلا نهاية . وأن القصر قد
ألقى عليه نعمة الاستقرار .

بل أكثر من هذا . فقد أحس لأول مرة في حياته ، أن مقرة الأمن قد باتت في
مهب الريح . تنقادته الأنواء . وتعصف به الأنواء . وأن الأرض قد ماتت
به .. حتى كاد يفقد إحساسه به كمستقر يحمله الراحة والأمان في حياته
المرهقة .

ومر بعده شريط سريع لقائمة المتاعب . بدأ بالتنقادته هدى « وتحدثت
أخيه عن شائعات علاقته بها بين الطلاب ، ثم بإبدار « سليم « له بما حدث في
قاعة الحرب بين الشباب . ثم تحدثت الذي دار بينه وبين « عبد الوهاب بك »
والذي أنهى بصديقه من علاقته بهدي .. وأخيراً هذه المناقشة المبررة بينه وبين
الشباب .

ووصل إلى بيت « هدى » ، فأوقف العربة في الطريق الجانبى ، ثم اتجه إلى
باب البيت وقد صمم المظف على حسبه ، وأحكم « الكوبية » حول عفته .
لبقى ساعة ربح باردة . هت على يردى واستدعت تصغر في الطريق الجانبى
الصيق

وصعد السلم متاثلاً الخطى . وقد غلب الإجهاد دمه وجسده .
وأنقلت الوسواس والتحديرات ، والمشكلات المعقدة من حوله . نسخة الشوق
وقيدت اندفاع اللهفة .

عبء على كتفيه

بدأت امدية مقعرة في منتصف ليل قارص البرد صافر الريح . لا ترى في
مراقبها اخالية سوى عربة مارة .. أو بائع يقف بحرته على ناحية الطريق يتصيد
بقايا ربات الليل . وقد لب وجهه « بالكوبية » حتى لم يعد بينه وبين
حدثي عليه وطاقي أنفه .

والدور قد أضيق عليها الصمت وسادها السكون ، إلا من هبات ريح تلطم
بواجهها وتعصف بالأشجار الجرداء من حوله ، والظلام قد عم إلا من مصابيح
تهلج كأنها تتناهب ، ولاحات الإعلانات في أعين الدور تلمع ونصوء في رتابة
كأنها حرة عصبية لإنسان صاقل بالمثل

وه سدى . ينظف بحرته وسط الطريق متحجها من مسى الخريدة إلى بيت
« هدى » . وقد شرد ذهنه وبلغ به التعب أشده .

لم يستطع أن يصدق . عندما ارتد به الدهن إلى بداية اليوم .. أن كل هذا
حدث في يوم واحد .

لقد بدأ أول اليوم بهيماً .. بهيماً ..

بدأ اليوم في القاهرة . باستيقاظه المبكر وترتبه « الحقائق » ودعاه في
عجلة إلى شوارع وسط القاهرة لا يتنازع ما تبقى من هدايا .. ثم عودته إلى
المدى ، والتقاءه ببعض الصحفيين ، ثم خروجه للقاء رئيس مجلس الأمة
المصرى ، ثم تناوله الغداء في سفارة ألمانيا الديمقراطية . وعودته بسرعة إلى
المدى وإطلاقه إلى المطار .

ولم تذهب رحلة الطائرة سدى . لقد جلس يكمل التقرير الذى بدأه و

ووقف أمام الباب وتردد بين صفط الجرس وفتح الباب بمفتاحه
وأحست هدى بخطواته أمام الباب ، فاندفعت من الأريكة .. وكانت
أسبق منه إلى فحشه .
وتم بكده يخطو إلى القاعة حتى اندفعت إليه واستقرت في أحضانها مرتجة
كالمصنوع بلله القطر
ومضت برهة وهي مستقرة في أحضانها .. وقد تثبتت به في خوف ولوعة .
وأحدث أنفاسها تلاحق في صدره . وقد سبت كل ما حوفا . حتى الباب
المفتوح لم تلفت إلى خلقه .
وأخيرا رعت رأسها .. ثم همست قائلة :
— حرام عليك .. كل هذه العلية .
ومدت يدها فأغلقت الباب ، وأحاطها « سامي » هامسا وهو يصمها إليه
وهمس شغفيا وأنفها وهيئها بشفتيه .
— لا يمكن أن تصوري مرط حاجتي إليك . أريد أن أرقد بجوارك وأسى
كل شيء .
— تعال .. تعال يا حبيبى .. إنك تبدو مرهقا .
— لا تكاد قدماى خملانى .
— لماذا تجهد نفسك هكذا ؟
— لكي أراك . كان معروفا أن أرقد في فراشي منذ يصبح ساعات بعد هذا
اليوم الشاق والرحلة المبهكة
— أن متأسفة .. لو علمت لما تركت البيت لحظة
وتوقفت أمام باب حجرة الخلوس متسائلة
— أتحب أن أغسلها أم في حجرة النوم ؟
— في شوق شديد إلى مقعدنا ، وأشجرة وراء نافذة ، وأصواء الخيل وراء
الشجرة . وأنوار المصباح في مجرى بردى

— أنا أيضا لي لفة إلى لوحتنا الحبيبة . في لفة إلى أن أعينها واقعا .. بعد أن
خشيت من طول الحرمان أن تكون قد أصحت ذكرى .
واستقر « سامي » على المقعد الكبير . وجلست « هدى » على جانب
المقعد . ومدت يدها لتحس جبهه وأنبه وشفتيه في حان رائد . ثم انحست على
وجهه تمس شفتيه في رفق .
وجدتها « سامي » إلى حجره ، واستقرت في جلستها المعتادة متكئة في
أحضانها
وأحاطها « سامي » بذراعيه . وأطلق بصره من وراء النافذة إلى الأعصاب
المهترئة والأصواء المرتجة . ومد ساقه وتهد وحاول أن يريح جسده المشنود
ويرخي أعصابه المتوترة .
ولم يكن الاسترخاء في جسده تلك بالأمر اليسير . كان يكفى أن يستقر
على المقعد المريح ويمد ساقه ويرخي أعصابه .. ويجذب « هدى » إلى حجره ..
ويصمها بين أحضانها ويسرح بعبه في منظر الحبيب .. حتى يمس بأعصابه
هذات وجسده قد استرخى .
ولكنه أحس وهو يجلس جلسته ساعتذاك ، أن شيئا أقوى من إرادته يوتر
أعصابه .. وبدا له كأن مرط التعب قد أصابه بحالة تصب في جسده وفي دمه
وفي نفسه .
ولم يكن هناك أكثر من « هدى » على الإحساس بما به .. بما في أقصى
أعماقه . من مجرد مسحة هم على وجهه .. أو لفة شرود في عييه
ومضت فترة وهي متكئة بين ذراعيه . تحس بشدة أعصابه وتوتر
دهه .. وكانت تعرف حالته تلك عندما يصاب بمرط الإجهاد .. وكانت
تصمها إليها ، وترجحه في أحضانها ، حتى يروح في النوم . يسد رأسه على
ذراعيه .. كالطمل . وتظل الساعات ترقبه في عيائه حتى تشمر بشيخ
ذراعها دون أن تجسر على مسحه من تحت رأسه . خشية أن توظفه

وكانت تحس بأشياء كثيرة تود أن تعملها وتقولها بعد تلك الغيبة الطويلة .
ولكن إحساسها بحاجة إلى الراحة كان أقوى من لغتها عليه وشوقها إليه .
فرغمت إليه وجهها وأخذت تتأمل عيبه الشاردين في رجاح العادة .. ومهنت
مستأنة .

— ماذا بك ؟

— مجهد

— فقط !

وهر : سامي ، رأسه قائلا :

— وصيق الصدر

— مم ؟

— من اليوم المرهق الذي مر .. لقد بناى يومى بلا هاية ، ولم يخطر ببالى
أنى سأستقر في آخره بجوارك أبدا .
وتساءلت : هدى ، في دهشة .

— لماذا ؟

— لأنى .. لأنى ..

وتردد : سامي ، برهة .. لم يعرف .. هل يصرح لها بكل ما حدث ؟

هل يخبرها بكل ما وجه إليه من تعديرات ؟

هل ينطق بكل ما لاقاه من نثر تزلزل حبهما ؟

وعادت : هدى ، متسائلة في خوف :

— لأنيك ماذا ؟

— لأنى لم أجدهك .

— فقط ؟

— أجل .

ومدت : هدى ، ذراعها نصمه إليها في لحظة . وعادت تمسح رأسها في

صدره كالقطة . ثم تساءلت :

— أتعب أن تسترحى في الفراش ؟

— كما تشائين ؟

وبهضت : هدى ، من فوق ساقيه .

وسارا إلى حجرة النوم .

وبعد لحظات صمهما الفراش الدافئ الوثور

ومرة أخرى حاول : سامي ، أن يسترحى .. أن يرخ دمه ويرضى

أعضائه . ولكنه أحس أن حالة التصلب اللباضى . والتوتر النفسى . كانت

أقوى من أن يرضها .. مجرد استلقاء على الفراش .

وأحس : هدى ، بمجزه عن الاسترخاء . فأخذت لتحسس رأسه

وجنبه في رفق ، ومهنت وهى لتحسس شفتيه :

— أفضض عينيك يا حبيبى .. ولم

وأغمض : سامي ، عينيه وتهد ، ولكنه لم يسم .

وعادت : هدى ، تبتسم به .

— لا تفكر في شيء .. اتس كل ما مر بك .

وأجابها وهو يمز رأسه بيده ، وقد فتح عينيه :

— لا أستطيع .

— لماذا ؟! صم رأسك في صدري ، وأغمض عينك .

— إنى أحس كأن مصباحا قويا يشع داخل رأسى ويهد أعضائى ويمسح

من الاسترخاء أو النوم

وأحس : هدى ، بأن ما به شيء أكثر من مجرد إجهاد ، إنها تعرف

إجهاده ، تعرف كيف يستطيع هو نفسه أن يتخلص منه بمجرد الاسترخاء ربع

ساعة بين أعضائها . تعرف كيف أصاعته هى مه في دقائق بعد كأس من

الويسكى .. رغم أنه أنكر أى تأثير للخمر عليه .

وسحبت جسدها من أسفل المطاء ، ومدت يدها فأصابته الأباجورة
وأمسكت بكفه تحبسها في رفق ، وهتفت به :

— سامي .. قل ماذا بك ؟

وهره سامي : رأسه قاتلا :

— لا شيء .. أطفئني النور . سأحاول أن أعصر عيني وأستريح .

— لا أظنك تستطيع النوم .. دعنا نتحدث . قل لي ماذا بك ؟

— قلت لك لا شيء

— مدد يدي تخفي عني متاعبك ؟

— ليس هناك ما يستدعي الإقصاء .

— أتحب أن أكرم علك متاعبي . أتذكر إخاكت عني بأن أذكر لك ما في

حتى تساعدين على إزائته ؟

— لا أظن هناك شيئا يمكنك فعله .

— ولكنك قلت لي إن مجرد الإقصاء كاف لإراحتنا

ومدد سامي : يده ليغطي النور ويجذب : هدي : بجواره قاتلا :

— سامي .. سامي .. ستهي كل شيء بمجرد أن أستريح .

— لم أأم حتى أعرف . هل صابقت عياني عن البيت ؟! إلى على استعداد

لأن أذكر لك كل ما فعلت منذ أن خرجت حتى عدت

وهره سامي : رأسه وعادته : هدي : تتسائل وهي تحاول أن تتصالحك :

— هل عاودتك وسواسك الحميم ؟! قل يا حبيبي . قل . هات كل

سحائمك ، قل أغضب منك أبدا .

وعاد : سامي : بير رأسه بالنسي ، وقالت : هدي : وقد غلبتها الأسي :

— إدد ماذا بك ؟! لماذا لا تصارحني ؟

ورد سامي مضطلا :

— أصارحك بمماذا ؟

— بكل شيء

وتهد : سامي : وأحاب :

— كل شيء يمتد على اليأس والفرارة

— كيف ؟!

— أحس أن المظائق تنبأوى على حنا من كل جانب .

وأحسنت : هدي : بيد تنحصر شيئا في باطنها . وتتسائل في صوت

خافت :

— هل قال لك أحد شيئا ؟

— هل أسألني .. أكتفيت أحدا .. لم يقل لك شيئا ؟

— إلى هذا الحد ؟

— وأكثر .

— ماذا قالوا لك ؟

— قال لي أحى : إنه لا يريد أن يذهب إلى كليته

— ماذا ؟

— لأنه لا يستطيع أن يواجه الطلبة وهم يشعرون عني الإشاعات ، ويهدق

البعض منهم عني اسم : سامي نور الدين .

وتهدت : هدي : وهي تحس كأن سكبها نحر في الوثائق الذي يربطهما معا .

وعادت تهمس متسائلة

— وماذا أيضا ؟

— لم أكذب حتى حدثني عن امركة التي مشيت في قاعة الحرب بين

الشباب من أجل علاقتنا

— علاقتنا عني ؟! داخل الحرب ؟!

— أجل .

— أسمعول هذا ؟! ألا يحتمل أن يكون سليم ...

وقاطعها سامي هزة بالسة من رأسه واسترسل يقول :

— لم يكن سليم وحده هو الذي قال لي .

— من أيضا ؟! لعلها عازية ؟!

— بل عبد الوهاب بك .. وليس الخرب .

— ماذا قال لك ؟

— أبدي لي رأيك صراحة . قال لي إن لا أستطيع السور في طريقى بالعب

الذي أحمله على كفى

٤٩

قـوـلـو

أحسنت هدى : بموجة من الأمي واليأس تعمرها . وهي تجد أن أعر
ما تمثلك قد أحاطت به الأبدى وصيقت عليه الحناق . تحاول سلبه منها .. ولم
تعرف كيف تقاوم .. ولا ما هي نتيجة مقاومتها .

وهست قائلة في يأس وكأنها تحدث نفسها :

— هذه الدنيا المحزنة ! هل أصبح لأعر الناس عندي عبثا على كتميه ؟!

وتذكرت ما قاله لها : سليم : « عازية » : « أم حبيب » .

وتذكرت نواهاها من أجل الخلاص .. النواها التي أطارها مجرد لقلاله

وإحساسها به بين دراعها . وأنعاسه الدافئة تلعب وجهها

وأحسنت بأن عليها أن تحصى لتحصل عبء الخلاص . وتسو به في طريق
الفرقة الثالث الفاسي .

أجل . إذا كانت تنوى أن تفعل شيئا من أجل خلاصه .. فهذا هو وقته ..
وعليها أن تحزم أمرها .. وتقدم عليه .

وساد الصمت برهة .

وأحسنت سامي : أن حديثه قد آلمها . ونسى لو لم يقله . لا سيما ، وهو
يعرف . أنه لم يلقى عبثها أبدا من على كتميه . وأنه لا يستطيع أبدا أن يقدم
على هزتها .

وتبد وهم بأن يقول شيئا .. يريحها به .. عندما سمعها تبس قائلة :

— أنا أيضا أحسن أنا يجب أن معكر في أمرها ونحكم عقبيتها

وأحسنت سامي : في لهجتها شيئا جديدا شيئا كواحر الإبر . فسأها

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

— ماذا تفعلين ؟

— أفصد أنه من غير المقبول أن تستمر علاقتنا على ما هي عليه الآن .
ولم يعرف « سامي » ماذا تهدف « هدى » بقولها هذا . ولكنه أحس كأن
دقات ماقوس تصل إليه من بعيد . وعاد يسألها في هجة بأمر .

— وماذا تقترحين ؟

واردردت « هدى » ريقها وأحست كأنها حامل أقبال يجمع كل قواه لومع
الحمل مرة واحدة . ولمت شجاعتها وصمطت على أعصابها ، وشدت الرماد
وأطلقت طفلتها قائلة في لهجة مسحها ما استطاعت من هدوء .
— هناك إنسان تقدم للزواج مني .

وصممت برهة لثباتك أنعاسها ، ثم عادت تطلق الطفلة الثانية قائلة :
— وأعتقد أنه إنسان ملائم لي .

واستمرت الطفلة في جوف « سامي » . ولكنه لم يبد حركة ولا رجعة .
ولا رمش له جس ولا انتصت له جارحة . وأجاب في هدوء كأنه يقرر أمرا
لا يسيه :

— ولم لا ؟! ما دام ملائما لك .. إلى لم أحاول قط أن أسبك من الزواج .
وصاد الصمت .

صمت عجيب

صمت أشد صمحا من كل ما في الدنيا من صحيح .

وطوى صممتها الأبدى . صرخا في باطنها . وعويلا كأنه عويل المآثم في
أفاضي الصعد

أبهده السهولة يأخذ قولها ؟

أبتلك البساطة يقدف بها من عن كعبه .. وكأأن قطعة حلى يسلمها الصانع
لأول شار !

أعده حقا قيمتها عنده ؟!

وفي صدره كانت ثورة أعف .. وضحج أشد .

أعكدا فجأة قررت الخلاص !

أكان ردها عليه جاهزا معلا !

أترأها كانت توى . يسبا ويرين نفسها . أن تودعه به حتى ولو لم يقل
ما قال ؟!

ولكن ما قاله كان عن أزمة طارئة .. فساد تواجبه بمنزل هذا الرجل القاطع
البتار ؟

ولكن من هو هذا الطارق الماعش ؟ .. الذي طرق بابها وأحست هي أنه ملائم
لها !

من ؟! لماذا لم تقل اسمه ؟!

لقد تعودت دائما أن تخبره مارحة بأسماء الذين يطلبون القرب منها سواء
بالزواج . أو بالعشق أو بمختلف الوسائل والطرق
فلماذا لا تنطق اسم هذا الطارق الجاد ؟

ونظر إليها في صمت .. وانتظر أن تنطق به . ولكنها لم تنه بكلمة

وأحس يلقى . وحوف .. من اسم الطارق الجديد .. كيف تقدم إليها .
وكيف عرفته ؟! ما نوعه ؟! ما شكله ؟! ما سه ؟! ما عمله ؟

ومع كل ما به من لغة على معرفة حقيقته . لم يحاول أن يسأل

إحساس بالكرامة .. دفعه أن يتسكع بمظاهر الخلد والصبر والتسلية
بالواقع .

واسمرت هي في صمتها الظاهر تحاول أن تكبت كل ما في باطنها من
اضغالات حتى بعد صبره هو ، فسأل في هجته احادلة المتصبة

— من هو ؟

وتربث برهة .. كانت تذكره أن تسببه له أي ألم .

وعاد يسأل :

— لماذا لا تخبريني من هو ؟

وصمتت برهة ثم أطلقت طلفتها الثالثة .

— إنه شكرى رئيس الأوركسترا .

وأصابته الطلقة في الصميم .

أهذا هو الإنسان الملام لها ؟

كان يظنها تعرف الملام من غير الملام .

كان يظن العارف رجلا كبيرا .. محترما . ذا مال .. يستطيع أن يوفر لها حياة رخاء وطمأنينة .. ويجعلها نعم بأسرة طيبة وبيت هادئ مرغ أما هذا الرجل . وما يعرفه عنه وحس وسطه وبيته عاشق ملام . وليس روحا ملالسا

وهي في حاجة إلى روح . لا عاشق . لشدة ما أعطأت الاحتيال .

ونظرت هي إليه .. والصرخ ما رأت يدوي في باطنها ، والمويل يمرق أحشائها . كانت تنظف على صفة مه .. كانت تنظف على كلمة حنان يسكت بها ذلك النحيب في باطنها . ولكنه لم يقل شيئا .

كان يمس بشيء يدعى في باطنه هو الآخر .

وكان يمسى لو استطاع أن يهرب من كل شيء . وأن يجرى .. ويجرى . بلا توقف .

وهمس بها كأنه يحدث نفسه :

— أهذا هو الإنسان الملام ؟

وأجابته في مرارة :

— أتجسم عليه أن يكون عجوزا .. حتى يلاعننى .

وهز « ساسى » رأسه وأجاب :

— أنت أدري بما يلاحضك .. كنت فقط أظنك أعقل من هذا .

وأصت « هدى » كأن كل شيء قد انتهى .

انتهى بساطة غير معقولة . كأنه عطف البحر أو ملح البرق .. ووجدت نفسها تنفج فجأة وحدها .. وسط الأعاصير والمواصف والأواء .

وكانها اكتشفت فجأة ما ضلته بنفسها . ولم تستطع أن تكتم المويل في باطنها فتنفجرت باكية .

وصمت هو .

كان أكثر منها على أن يحكم جرحه اللامى .

واستمر جالسا بجوارها على المرائش يرمق فراخ الحجره .. بعينين جامدتين كالأنعود ، وجسدها يبتز بجواره من فرط البكاء .

وارداد إحساسها بالضياغ وهي تجذب نفسها معرفة في البكاء دون أن يأخذها من ذراعيه أو يمسها إليه . وهو الذى لم يكن يحتمل دعمها أو يطبق حزنها

وتغلكها إحساس المريق . وأحدثت المراتبات تبت أمام عينيها ، والجدران تتأرجح .. وتحت لو قال لها شيئا ، أو مد لها يدا .

وهمت به وحدة بكائها نغم ، وهي توشك أن تروح في غيوبة .

— صسى إليك .

وأصمتت عينيها . لتخفى تلك المراتبات . التى تواتر أمامها .. وتبعد عن نفسها ما توشك أن تقع فيه .

وأحس « ساسى » بما أصابها طامعى عليها يرقق ، وأخذ يمسها إلى صدره ويقل وجهها المرقق بالدموع ، ويمس بها في جرع ولطفة :

— هدى .. ماذا بك ؟! هدى .. حبيبتى !!

وهمت « هدى » وهي تنظر إليه في ضعف وكانها تصعد من قاع بعيد الأعماق :

— ساسى . لماذا تتركى هكذا ؟! كيف تحمل أن تتركى وأنا أبكى ؟!

وأجابها « سامي » وهو يرقدها على الوسادة :
 — أسف يا حبيبي .. ولكن يجب أن تحمل من الآن أشياء كثيرة .. لم يكن
 يحملها
 وتهدت « هدى » .. وهمت وقد عتقها البكاء :
 — أجل .. أشياء كثيرة يجب أن يحملها .
 ثم همت وهي ترفع إليه ذراعها :
 — ضمني إليك ثانية .. عني أقوى على الاحتفال .
 وضمتها « سامي » إليه .. ثم سحب نفسه من بين ذراعها . وترك الفراش
 لي صمت .. ووقف يرقب جسدها وقد غمره إحساس موجش مريم .
 إحساس التناكل يلقى نظرة أخيرة على أحب الناس إليه ليركه إلى غير رجعة
 وأحسست هي أنه يوشك على الخروج وتحاملت على نفسها .. وجلست في
 الفراش وهمت به :
 — هل قررت الذهاب ؟
 — أجل .
 — ومتى ستعود ؟
 وسادت خرة صمت .. قطعها « سامي » بقوله :
 — أفضل ألا أعود .
 وأحسست « هدى » كأن هذا تطبق على عتقها لتكلم أنفاسها ، وتمايلت
 وهي ترفع إليه عينين ينهر منها الدمع :
 — لماذا ؟
 — لأن أحب أن أترك لك الفرصة لتعيد القرار الذي اتخذته
 — ولكن .. أن أفقدك هكذا مرة واحدة .. غير معقول .
 — بل غير المعقول . أن تتحدى قرارا كهذا . وعني مارلا يلقى . وغير
 معقول أن آتي إليك .. وإنسان آخر قد دخل في حياتك .

وصمتت هدى .
 كان سامي على حق .
 إذا كانت قد موت أن تتحد قرارا كهذا فيجب أن تكون حاسمة فيه
 وغير معقول أن تكون حاسمة إذا كانت ستظل تراه كما كانت تراه
 ولكن .. أن ينتهي كل شيء الآن !
 في هذه اللحظة ! هكذا صمخة ! . شيء عجيب . مروع أن يتركها . وهي
 تحس أنها تراه لآخر مرة وأن رحيله إلى غير عودة .
 وأن كل هذه الأشياء التي تحيط بها والتي تحس أنها جزء لا يتجزأ منها معا .
 والتي تذكرها دائما . بأنه سيعود ليجلس إليها على هذا المقعد .. أو تلك
 الأريكة . أو يستريح إليها في هذه الشرفة ويرقب هذه الشجرة الوارفة ،
 وتلك الأصواء المتلاذبة . كل هذه الأشياء التي لم تعد لها قيمة في حياتها إلا أن
 تذكرها به .
 قد باتت أشياء مفرقة .. تشعرها دائما .. بأنه كان هنا ، ولن يكون ، وبأن
 كل ما فعلته معه .. لم يعد يوسعها أن تفعله .
 كل هذه الأشياء ستكون في نظرها ، معضا لنفأس والكآبة والوحشة
 المروعة .
 ولم يكن هو أقل منها ارتبعا .. في ياطه . ولكنه كان يحس أن جدارا قد قام
 بينهما .. وأن من الجانب زحزحته .
 وأن عليه أن يجرم أمره وينطلق .
 وأن يتحمل الآلام .. التي يوشك أن يتحملها كجزء من آلام الحياة .. التي
 لا مفر منها . وهو يحس دائما أن الحياة في حد ذاتها راحة مريحة .. لا بد من
 قصاتها .
 ومع كل ذلك . ومع كل ما حاول أن يحيط به نفسه من سياج التحمل
 والجلد . أحس وهو يرقب دمعها الحار .. أن هذا تطبق على رفته . وأنه

يحتاج إلى مزيد من الجهد لكي يوقف الدمع الذي يوشك أن ينهر من عينيه
وحسبها وهو يحاول أن يبقيا في الفراش . حتى يقصر فترة الوداع .
— انتهى هنا — إنك في حاجة إلى الراحة .. لا داعي لأن توصلي للباب
وهم بأن ينطلق إلى الخارج ولكنها تشبث بدراعه قائلة :
— ما تركت تخرج مرة دون أن أودعك إلى الباب .. عدعي أوصلك للمرة
الأخيرة .

وسارت بهزازه وقد حجب الدمع عنها كل ما أمامها .. حتى وقعت وراء
الباب ، وحاولت جهدها أن تتألك ، ومدت ذراعها لتصمه . وهي تكتم
صياحات العويل في باطنها .
وصمها إليه في لحظة ومد شفتيه يقبل شفتيها المبللتين بالدمع .. وانتقلت شفتاه
لتمسح الدموع من عينيها .

وأحس بمقاومته تنهار . وبقرته على كبت الدموع تنهار
وأحس بشيء ساخن يترق على خديه .. لم يدر أكان من عينيها أم عينيه
وقطع الباب بسرعة .. واندفع منه إلى الفراغ المظلم والريح الصافرة .

www.mlazna.com
^ RAYAHEEN ^

مقاومة وحشيين

حرج : سامي إلى الطريق ، وقد انتابه إحساس عجيب . أشبه بإحساس
الخارج من معركة سكن فيها الدوى وانطلقاً للهبوب وحقت الصباح . وأحاط
به صمت موحش يسيء بأن كل شيء قد انتهى . وأنه يستطيع السبر دون أن
يشعر أن حياته معلقة بصحيح طلقة أو دوى قذيفة ، وسار في الطريق . وكل
شيء غريب من حوله . أشباح الدور وهيكل الشجر والأصوات المرتجعة ..
بدو مروعة كأطلال المعركة وقدمه عملائه كأنها حود . لا يكاد يعرف
حتى علم حياته التي يحاها من الدمع . ولا يشعر بأنار انخراع التي ألحقت بها
شظايا الفرقة ، وسهام القذيفة .

وعاد إلى البيت .

لم يعرف كيف عاد .

كيف أدار العربة .. وكيف سار بها . وأين وضعها ، وكيف حملته قدمه
على الدرج ، وكيف دخل البيت ؟

لم يعرف إلا أنه يرقد على الفراش ، وعينه تحديق في السقف .. والمصباح
الكبير الذي يصيء دمه ما زال يشد أنصافه ، ويعقده كل أمل في الراحة
والاسترخاء .

ويرغمه أطلاق وفرة حارة .

انتهى كل شيء .

أخيراً .. بسرعة عجيبة .. وبسهولة لم يكن يتوقعها قط

بسهولة ؟

أحقا !! انتهى بسهولة ؟

لَمْ لَا ؟ لم يزل على قيد الحياة . يمشي ويحرك . ويستيقظ عدا كما تعود
أن يستيقظ ويسعد إلى عمله ، ويبحث فيه كما تعود أن يفعل . و . و .
يومه كما كان يمر . ليدفع به إلى يوم آخر . وآخر . وتسير الحياة
وأطلق رفرة أخرى

وحاول أن يمسح عييه ولكن المصباح الذي يصوه داخل دمه
لم يمس لإطباق جسمه قيمة .. واستمر تلازمه القطة .

وأحس بدكروها تسلسل إلى دمه .. بطريقة مريحة . محذرة ولكن
لم يثبت أن قطع الطريق عليها . ومضعا عن دمه كما يمس الساهر .. عمله يوم
تسلسل إلى عييه .

وعاد يستمع إلى دقات القوس يقرع في باطنه .

انتهى كل شيء .

هذه الدب العجيبة تأتي دائما إلا أن تصعب أسط النباهات لأروع
الأحداث .

كل شيء ينتهي فيها يمس الطريقة .. السريعة الحاطمة . كل شيء ينتهي بمس
سيف مرعب بتار . يقطع في عصية عين .. مكان الحياة لم تجش فيه .. وكأنه
ما كان .

ومرة أخرى عاد يردد :

— عجيبة !!

عجيبة . أن يقطع عن أقرب الكائنات إليه في هذه الدنيا . وأشده
ارتباطا به . مثل هذا التر الحاسم القاطع ، دون أن تعرف منه قطرة دم أو سد
عنه صيحة ألم !!

عجيبة أن يرقد هكذا في صمت . لا يشعر بأكثر من شد أعصابه ويقطع
دهن . ويمكر في حياته كما تعود أن يمكر . ويتنظر طلوع الصبح في عده .

كما تعود أن يطلع .. وبشروق الشمس كما تعود أن تشرق . لوتدي ملاهيه
وتخرج ويقابل الناس ويتكلم ويكتب .. و . و . و .
ولم لا ؟ !

الحمد لله .. الذي منحه هذه السكينة . وهذا العصر

ولكن أحقا .. يمس بالسكينة والعصر ؟ !

أم هي ما يسمونها سرقة السكين . أو تخدير الحركة ؟ لكن ما يكون .
إنه يشعر بأنه قادر على السير . قادر على أن يواصل العيش . وأن يعاود
الحياة وحده .. كما كان .. قبل أن يوثق وبها في حياة واحدة

وحاول أن يذكر كيف كانت حياته من قبل .. وأحس بها كأنها شيء
بعد بعيد كأنهم الطفولة .. وبدأت أباهما معا مدينة مبسوطة .. كأنها
فروع الكروم تظلل كل حياته .

ولم يعرف إلى متى ظل يمكر . إلى متى ظل المصباح الذي يصوه في دمه
موقدا .. ليشد أعصابه .. ويهزج جسده .

حتى اسبلج الصبح . وفتح عييه واستيقظ . لم يعرف من يوم . أو من
سهاد

وعاد فرائشه .. وحلق دفته .. وقرأ الصحف .. وارتدى ملاهيه ..
وأعطر .

فعل كل ما يفعله في صباحه . وكان جديدا لم يهرأ على حياته ، وعاد
البيت .

ولكنه لم يذهب إلى مكتبه

لم يجرؤ على أن يذهب . كأن ثمة شيئا في المكتب يفره منها
م يجرؤ على أن يجلس إلى مكتبه بجوار النديمون الذي تعود أن يسمعه صوتها
كل صباح

كان يمس بأنه انطلق من ممكن الخطر .. وأن عليه أن يظل يحدو .. ويعتو

حتى يصبح بمحاجة منه .

وساعدته الظروف على الانطلاق .

كان لديه من الأعمال ما يمكن أن يحرق فيه من أحصاه إلى قمة رأسه .

وطواه العمل . أو طوى هو نفسه فيه . بطريقة عدائية لم يكن هناك أن

منه على فعلها

وصحة إحساسه بالفلاص .. نوعا من القوة على خوص الممارك المتعددة

نشبت من حوله .. بينه وبين الشيوعيين من ناحية . وبينه وبين الرجعيين

ناحية أخرى .. وبينه وبين الانتصارين من ناحية ثالثة .. غير الممارك المزعجة

الحمقى والشبهيين والشحجون والأغبياء والأدعياء .

وراح يقضي أيامه بين مجلس النواب والحرب والمقاومة الشعبية . ومط

الخريدة ، وحجرات المحررين لا يتوقف لحظة لراحة ، أو تفكير

ولا يمنح نفسه فرصة استرخاء لينسل إلى دمه فيها ذكرى .. أو تتطرق إلى

حلها مهمة

اطلق يعلو في عمله .. وكأنه هارب من طيف يلاحقه .. ويجمع صلا

المحروب .. أمسوها كاملا

سبعة أيام بيناتها . استطاع أن يهرب من كل شيء . حتى من نفسه

لم يدخل مكتبه خلالها إلا عابرا .. ولم يمنح نفسه فرصة الإنصات إلى

تليفون .. ولا حاول أن يسأل عن إنسان سأل عنه .

وأحس كل من حوله بانفعاده في العمل ، وبدأ لهم فرط حماسه وغيوره

محموفة واحدة كانت ترقبه . وتذكر ما به .. كانت تحس بما

وما يفعل . وكان شيء يدمى في باطنه من أحده وكانت تسمى لو استطاعت

تسلك به وتحدثه وتماومه .

وليكها لم تملك سوى الصمت .

كانت « فائزة » تحس بعملية التبر التي أقدم عليها . لم تكن تعرف

كيف .. ولا لماذا .

وليكها أحس قلب الحب .. أنه أقدم على خطوة حاسمة . وأنه فعل شيئا

خطيرا ، وأنه يحاول الهروب .. حتى لا تصيبه بكسة .

وكانت تدعو الله من قلبها ألا يتكسر .

وبدا كأن الله قد استجاب .

وحيل إليها أنه قد اجتاز المحنة . عندما عاد ذات مساء إلى مكتبه وحياتها

باسما .

— مساء الغمر يا فائزة .

— مساء الخير

— كنت أود أن تكتبي لمصلحة الهاتف كي تبذل رضى الخاص .

— هل أجمله مكتوما ؟

— أجل .

وقبل أن يستقر على مكتبه سألها بطريقة عابرة :

— هل سأل عنى أحد ؟

— دقي التليفون عدة مرات ثم سكنت .

وجلس « سامي » على المقعد ، وأحس وهو يستقر في مكتبه .. بأنه في

حاجة إلى فترة استرخاء وتفكير .

إحساس جديد بدأ يتناه .

إحساس خطير لا يعرف مبعثه .

الواقيس الحزينة التي كادت دقائقها تبعث من قلبه بعيدة خائفة قد أحدثت

تقرب وتصال .

وشعور بالقلق ، والضييق ، والتوتر .. قد نبت في نفسه وأخذ يتراكم ويؤيدا

رويدا . حتى أحس أجرا أن شيئا قد حدث بكاد يصحح وأن الصراع انشمالا

في باطنه يكاد يتطلق من شعبته

وازداد به التعب والإرهاق .. من فرط العدو والهروب .. وأحس بقرط الحاجة إلى أن يتوقف لحظة لينتفض أنفاسه .. ويرعى أعصابه .
 ولم يعرف بالضبط ماذا أصابه . فهو إحساس بالإجهاد من فرط العمل .
 والعدو والهروب ، والإيمان في المقاومة .
 أم هو إحساس بالحنين .. والرغبة في العودة .
 أم مجرد إرهاق ؟ أم بكسة ؟
 أما كانت .. وأما كان مصدرها من باطنه أو من خارجه .
 وأرهاقا كان أم مللا .. أم حياء .. أم أي شيء آخر لم يفهمه .. ولا حاول أن يفهمه .

لقد وجد سائقه تقوده إلى مكتبه . ووجد معه يستقر على مقعده وأحس بأن صراخا قد قام في باطنه .
 لم يعد الأمر مجرد صراخ وهويل .
 فقد أنطق الصراخ في باطنه شيئا هاجعا .. أحده يتمطى ويتعذب . ويسأله عما فعل به

وبدا الصراع
 بدأ يلطمه من جانب العقل المقاوم .
 لحظة تشكيلك ولوم . لنصاحب الماجر .. المهجور . إنه لم يحاول أن يسأل عنه مرة واحدة خلال هروبه .
 لقد بدا وكأنه كان ينظر القلعة بفارغ صبر .
 ورد الحين انيقط اللطمة هاسا :
 ما الذي يدري .. بأنها لم تسأل ؟
 سألت ! متى ؟ وأين ؟ ولماذا لم تترك خبرا ؟! أترأها حقا كانت تصرع عن الاتصال به .. واستدعائه إليها .. لو أرادت .
 وعاد الحين يرد :

جاءت جفا .. أن تكون حاولت أن تسأل عنه وفشلت
 وجاءت جفا .. أن يكون قد ألم بها شيء .

وعاد اللحن المقاوم يرد في صرامة :

كلام فارغ . إنها استطاعت المقاومة بغيره ، بل أغلب الظن بأنها لم تشعر حاجة قط إلى المقاومة .. لأنها وجدت من تستند عليه .. وتشغل بأمره .
 وازداد الحين بقعة . وتحوّل همه إلى صياح .
 لا . لا . إنها تحبه تحبه

لقد كان هو السبب في كل ما حدث . كان عيبا قاسيا ، وكان تصور أن الأمر يمكن إنتهاكه بضربة سيف .

وبدا الأمر له سهلا . هيا . وهو يحس في الحرى والهروب ، يحيط به سباح من العمل المرهق

ولم يعرف وقتذاك . أكادت فطرة منه على المقاومة . أم هي سرقة سكين حتى أحس معاناة أنه يكاد يسقط إعياه فأدرك . أن سرقة السكين قد انتهت ، وآلام الجراح قد بدأت .

وإذا بقضى الجرح تقوده .. بجراحه الباردة .. إلى أقرب مستقر .
 وردت المقاومة .. على ذلك النافوس . بأن أغلقت الباب في وجه الجرح العائد .
 بالزوم على تغيير رقم التليفون حتى يوقف كل احتال ، تسد الخطر منه وحتى يصيه اليأس . فلا يعود يتفحص لكل دقة من دقائقه ، ولا يعود يحس بالخللان . إذا سمع صوتا غير الصوت الوحيد الذي يلهف على سماعه ، ولكن شيئا لم يستطع أن يوقف الحين استيقظ . والشوق العائد ، وأعدت الكسة تصاعف ، وآلام الجراح تزداد .

وأحس برغبة شديدة في أن يطلق ليرغمي بير أحصاب

ودق حرس التليفون

ونغمي أن يسمع همسا الحلوا

ونكس صوتا حشاشا هتب به :

— تو

— مساء الخير يا سليم ؟

— ماذا تفعل ؟

— أبدا . سأراجع تجربة مقال

— ثم ؟

— ثم .

ولم يعرف مدايوى أن يفعل فقد حلاذه من كل شيء إلا من الحنين إليها
ولتصغيره . ولكن أحس أن عيه أن يقول شيئا فأجاب .

— ثم .. أعود إلى البيت لأنى مرهق

— لماذا لا تأتى إليها ؟

— أين ؟

— ها فى الحرب إن لديها بعض الأصدقاء المصريين وهم يودون

رؤيتك

وأحس بأن طوى عباءة قد قدف إلى مقاومته التى توشك أن تعرفها موجات
الحسين . فأسرع بالتفاطه قائلا .

— سأتى حالا . مسافة الطريق

وبهر من مقعده كأنه يهطل من قمم سحر فتح له السحابة بابه
يعتق . ليعود إليه مرة ثانية ، وهو أشد ما يكون صيدا ، وأصعب ما يكون
مقاومة

لماذا .. فعل كل ذلك ؟

لماذا أقدم على عملية التعذيب التى أقدم عليها ؟

به يعرف جيدا مدى تسلسلها إلى كيانه يعرف جيدا . تعدد استصاها
من قلبه ، لماذا أقدم .. على هذه الحزة القاسية

واستمر الصراع الداعل .. فى الزبداد .

والحين يتصاعف ، والمقاومة .. تتريح .

حتى بدأت هجمة شوق جديدة من خارجها .

كان يجلس فى مكتبه عقب انتهائه من العمل يتصفح بعض الجملات .

وأستد بإحدى الجملات . فإذا بصورتها تعاليمه على علاتها .

وحاول أن ينحيا بعيدا .

ولكن بصره ظل معلقا بها ، وانتقلت عيائه إلى التعقيب الذى كتب أسعها

« على إشاعات الرواج » .

واتابه إحساس بالارتياح ، ولكنه ارتياح مشوب بالوساوس !

لماذا ادعت إد أن « شكرى » قد تقدم إليها ، وأنها قد قررت الرواج مه ؟

أتراها قد استقرت معه على مجرد علاقة ؟

وأحس كأن لكمة قد أصابته ، وملأه إحساس بالمرارة والألم .

ولكنه عاد ينفض الوهم عن ذهنه .

لا .. لا .. غير محقول أن تفعل هذا .

لا بد أنها قد عدلت عن الفكرة . أو ربما لم يكن لها أساس من الأصل .

ولم تكن إلا محاولة لإيقاده منها بعد أن قال لها ما قال

لشد ما كان قاسيا !!

وراد به الحنين .

ولكن لماذا لا تتحدث إليه ؟ . لماذا لا تظليه ؟

لماذا استطاعت أن تقاوم كل هذه المقاومة ، وقد أوشكت مقاومته هو أن

تبار ؟

ومد يده بمنبر مفتاح الراديو .

ليصفا من أن تمتد إلى سماعة التليفون .

وأخذ يسبح إلى حديث سياسى عن الأحداث فى العالم

وانتهى المتحدث من حديثه .

ومد « سامي » يده ليلطف الجهاز ، ويهني للعودة إلى البيت ، حتى يبرر من حيله المترايد .

ولكن قبل أن يدير المفتاح .. سمع صوت المدب يقول -

— والآل سيداتي سادتي يقدم إليكم بعض الأغاني .. يندوها بأغنية للمطربة هدى نور الدين .

ورفع « سامي » يده عن المفتاح ، وأخذ يرفف السمع .

وبدأت المقدمة الموسيقية

وعجل إليه أن القدر يرفع المعول . ليهوى به على آخر حصن من حصون المقاومة .

كانت أصغته الحبيبة المسجلة على الشريط مع الحاجة .

وعلا صوت هدى .. ينشد الأغنية .

وحمله الصوت الرقيق .. بعيدا .. بعيدا

إلى مكان وسط التلوج البصر ، والنداءة تترانص بها أكنة الذهب

وهي تجلس أمام البيانو ، وصوتها العذب يهيم له بالأغنية

ونظير إلى الساعة .. فإذا بالليل قد انتصف .

وانتهت الأغنية .

ليجد نفسه بلا وعي ولا إرادة

يسدل من المكتب .. ليطلق إليها في سكون الليل بعد أن طوى الحين كل

أثر للمقاومة .

لقاء... وفرة

انطلق « سامي » .. كما يطلق عصمور حبيس فتح له الفصح

انطلق يساق الربيع .. خصباً .. لطيفاً . يكاد يختص كل شيء .. ويقول

كل شيء .. وقد أحس لأول مرة أن العبء الذي حمل فوق أكتافه ، والذي راح

يعتو به هاربا خلال الأيام الثقيلة الماضية .. قد نعتت وداب ودرته الرياح

خعت العويل في ماطه . وهذا الصراخ .. وانتهت المعركة التي شدت

أعصابه وألقت مضجعه .. والتي أثارت في جوفه إعصارا لم تسكن ربه ،

ولا استقر غباره في نقطة أو رقاد .

انطلق سامي يعدو إلى بيت هدى إلى مستقره الطبيعي ، وملجئه المريح .

وكان ما أصابه لم يكن سوى جروح عاصفة ، وشروخ نوء ، ألصق به إلى

هبة اليأس ، وعنته الضلال . فها سكنت العاصفة وهذا النوح . انطلق إلى

المرحأ ، بعضه عه آثار الصراع ، وبعضه حراج المعركة .

انتهى الكابوس المروع الذي أمسك بخناقهم وكنم أنفاسه

انتهى تماما .. بنفس البساطة والسرعة التي بدأ بها .

ولم يعرف وهو يطلق إليها .. كيف بدأ الكابوس وكيف انتهى .. ولكن كل

الذي عرفه ، هو أنه يريد أن يعدو إليها ليأخذها بين ذراعيه ويصممها إليه

علا يتركها أبدا .

وأصبحت الشائعات حرافات ، وكلام الناس هراء ، واجيد سحافة ،

والسياسة ترهات ، ومعاركها أباطيل . و . و . كل شيء لم يعد له قيمة ،

وهو يطلق إليها ، وكأنه يهيم ولا يحشى ، يسرى ولا يهسر .

شيء واحد فقط في هذه الحياة يحسها الطعم والروح والياء ، شيء واحد يحسه الإحساس الحقيقي بها .

هو هذه المخلوقة الحسية ، التي أحبته وأعزته ، وأراحته ، ولم تنسَ إليه مرة واحدة .

المخلوقة .. الجميلة .. الرقيقة . التي لم تطمع من حياتها في شيء أكثر من أن يحبها .

المخلوقة العريفة ، التي رصيت بأن ترقد ببابه الخلفي ، وقضت بكل ما يستطيع أن يمنحه لها ما يلا صيق ولا إقلاق .

لم تحاول مرة أن تتعدى مكانها

لم تحاول أن تسأله المزيد .

لم تحاول أن تطالبه بوضع حبيبي ، غير وضعها بالباب الخلفي الذي تستر وراءه .

هل أمنت في التستر .. خوفاً عليه .. وحرصاً على صحته .

كانت تخاف عليه .. خوفاً أم على طفلها .

كان حبا حبيبا .

كان ؟

أز لم يزل .. كما كان ؟

نادا يتحدث عنه كشيء ماضي ؟

إن هذه العرفة . كانت وهما .. كانت حلما يبعث بددته اليقظة

سيذهب إليها الآن . ليجدها قد أوشكت أن تأوى إلى الفراش .

وايتم وكاد يفهمه .

عندما تذكر كيف أصابته الوسواس مرة . ذهب إليها مجاهوداً .

وكيف دخل فوجدتها قد أعزقت شعرها بالريث .. وعصيته ممتلئة ثم

عزقت منشقة أعزى على الفراش ، وهمت بالرقد .

وعجبت من أن يراها .. كما هي .

ولكنه لم يجد وجهها أروع ولا أبرأ مما وجدته وقتذاك .. بتقاطيعه المخلوقة الدقيقة .. وقد اضر ثغرها عن ابتسامة خجل .

وصحبا إليه . وأخبرها أنه عاد فجأة ليقضي على بعض الوسواس التي نبتت في نفسه .

ورادت ابتسامتها .. ثم انطلقت صاحكة سحرة . وهي تبت به وتضمه إليها :

— أحب خيرتك .

— أحقا لم أحببك ؟

— أبداً . اعمل دائما كل ما يحلو لك . إلى لا أفعل أبداً ما أحس أنه سيترك .

— لقد ظننت برهة متردداً ولكن الوسواس الحسقاء أثقلت عني .

— أعرف يا حبيبي .. وسواسك البلهاء . أعرفها جيدا وأحب دائما أن أريحك منها .

— من أجل هذا فضلت أن آتي إليك .

ومضت فترة صمت قطعتها « هدى » بقولها :

— لعطك قد اسرحت ؟

— جدا .

— لا تردد أبداً في الحضور في أية لحظة .. يخطر فيها بالك الحضور . لأنني

أحب أن أراك .. وأحب أن أريحك .

وعادت تضمه إليها ، وهي تسترسل قائلة :

— لا تصور كم أسعدتني معاجلتك .. رغم أنك رأيتني على هذه الحال .

وأمسك برأسها الصغير الملعوف في المشمة . وأحد بقل شفتيها وأنها

وعينها ، وهو يبتف ضاحكا :

— أحبك جدا وأنت على حالك هذه .

ووجد نفسه يتشمس وحيدا .. وهو يوقف العربى فى الشارع الجائى .

وبدا له أن الوقت لم يمر .

كان هنا بالأمس

أبدا .. لم تمر أيام طويلة ثقيلة .. عاتقة .

كان مجرد حلم مقبض مسحب .. عاد كل شيء إلى ما كان عليه .. بمجرد أن

فتح عينيه .

البر المساب بالمصابيح المنكسة فى مجراه .. والشجرة الطويلة القائمة ..

والأضواء المتلاذلة فى الليل .

وه البواب ، قد انكمش فى حجرته أسفل السلم .

وأحس بالآلفة معه . حتى كاد يترك بابه ويخيه وينته أنه قد عاد

وه أم حبيب ، لا شك قد رقدت .

وه هدى ، قد نفت شعرها بالشفة . واستلقت فى فراشها .

واستعرت فى النوم

ولكن ...

وأحس بطريقة إندار عصية فى دهنه .

أوافق هو أنها ستكون قد همت بالرقاد !

ألا يحصل ألا تكون قد عادت ؟

لا عليه .. ليتظرها حتى تأتي .. وتكون المفاجأة ثم وأروع

أجل .. سيقع فى انتظارها فى الفراش .

ولكن لا

إن المفاجأة قد تكون أشد مما تخيل .. قد تظه لعسا .. أو شيئا .. وقد تؤدى

المفاجأة

يجب أن يكون أعقل من هذا .

أجل .. سيقع فى انتظارها فى الفراش .

التسجيل .. وسامع المناجاة .

وقد تأتي فى تلك اللحظة ويكون ذلك أجل استقبالها

ولكن ألا يحصل أن تكون فى الدار ؟

ولكنها ليست وحدها .

ألا يحصل أن تكون فى إحدى تلك الولائم الصاحبة .. التى تصمم حفلة

الرملاء والمعجبين ؟

لِمَ لا !! ماذا يمنعها من هذا ؟

إنها قطعاً لا تتوقع حضوره .

وتصور نفسه وهو يفتح الباب . ثم يواجه كل هؤلاء السكارى ..

الفرحين فى الرقص والغربة .

أيه مهلة . يمكن أن يحدثها .. لو صل !!

ولكن لماذا يخشى مثل هذه المفاجأة ؟

إنه بلا شك يشعر بالصحيح وهو خارج الباب . وسبعينه ذلك إنداراً

بالأصراف

ولكن هب أنها مع أصدقاء لا يتحدثون صحيحاً

مثل من ؟

وأحس بشيء يلتوى فى بطنه .

وأحد يجيب نفسه ، وهو يصعد آخر الدرج مثل أى معجب أو

صديق .

شكرى مثلاً

وملأت منه الحرارة ، وكاد يكس على عمية عائدا القهقرى .

ولكنه توقف فى عداد وهو يلوم نفسه قائلاً : « غير معقول أن يفعل هذا »

غدا يأتي إلا أن يكون مثل هذه القسوة فى وسوسه وشكوكه ؟

ولكن ألم تنسره هي بأنه تقدم لزوجها ؟!

وعاد يرد على نفسه :

تقدمه لزوجها شيء . وحضوره في منتصف الليل ليجلس إليها
شيء آخر .

غير معقول أن تفعل هذا أبدا .

إنه يثق فيها ثقة مطلقة من هذه الناحية .

يعرف أنها أعقل من أن تسلم نفسها ببساطة لعلاقة مثل هذه .

يعرف أنها إما أن تتروجه . أو تتركه .. وليس هناك ما يضطرها أبدا إلى أن
تشيء معه علاقة بين يدي . فلا هي تبه ، ولا هي في حاجة إليه .

ولكن ألم تنسره هي بأنه قد دخل في حياتها ؟!

إن كل هذا التردد ؟

لماذا لا تقدم وفتح الباب ويدخل حتى يقطع الشك باليقين !

هب أنها خذلته .. وحطمت أمه .

وعادت المرازة مرة أخرى تملأ نفسه . وعاد الشيء يلتوى في باطنه

إن كل هذه الوسوس والخواجس والخاوف ؟

إنه يعرف جيدا كيف تبه .

ويستطيع أن يتصور تماما .. كيف كان وقع صدمة مرافقه عليها .

إنه يذكر كيف كانت تقوى دائما . لا أتصور أبدا أن يأتي اليوم الذي

تتركني فيه .. سأموت بلا جدال إن محرو تصورى بمثلك ، يجلس

أرتجف ؟ .

أجل .. قالت له هذا أكثر من مرة

فلماذا يقسو عليها في وسوسه ؟!

حتى يتصور أنها ببساطة قد أبدته لتضع آخر في موضعه .

وعاد شيطان الوسوس يلح عليه في عناد وإصرار .

ولكن هب أنها ضلّت ؟

ورد بيأس وحقق وقسوة :

« لو أنها ضلّت . محرو لي أن أواجهها . حتى يكون البتر في هذه المرة
قاطعا .. حاسما »

وأحس بشعور الجلال يتسلل إلى نفسه .

وكرر من نفسه هذه الرغبة .. المدمرة اليائسة .. التي دفعتها إليها ريشته
وظلونه .

لماذا لا يعود من حيث أتى . وبقي نفسه نتائج كل هذه الاحتمالات ؟

دقة من التبعون تجعل كل شيء واضحا . وتقصى على هذه المخاوف .
وإنذار واحد . كعمل بأن يحمل الطريق ممهدا . ويقصى على أي احتمال للمداجاة

مزعجة ، ويجعل زيارته مأمونة من كل الحواقب .

ولكن المخاطر لم يزد إلا إصرارا على الدخول

غير معقول أن يرجع لأنه يشك فيها .

بل للمعقول أن يدخل لأنه يشك فيها . فلو عاد وهو يحمل بالشك لظن

الشك معلقا في مصه أبد الدهر . مهما حاولت هي أن تضح به أنها كانت ترفد

وحدها .. بالزيت في شعرها ، والمنشفة تعصب رأسها .

أجل يجب أن يدخل . لأنه يريد لها دائما امرأة من كل شئ . يريد لها

بين أحضانها . ودية مغلصة ، لا يشعر أبدا إلا أنها له وحده . في كل لحظة

وبكل جملة .

أما مع الشكوك ، فإن حياته معها تصبح كارثة .

وإذا كان قد وصل إلى أعصابها . والشك يملأ رأسه . محرو له أن يدخل ،

ويقصى على الشك .

أو .

يقصى على كل شيء .

وبإحساس المعاصر .

وحسب المفتاح في ثقب الباب .

نقد كانت تسمى دائما أن يعود إليها في كل وقت .. كانت تحب معاجاته وهو يقدم لها التيلة .. أجل معجاة .. بعد العرفة . وطول البعد .

وأحس بشيء من الطمأنينة ، وهو يحمد السكون حيم والصمت قد أطلق لا صباح غناه .. ولا صجرات رقص ، ولا أصوات عريضة .

وأدرك المفتاح في الباب دورتين .. ثم دفع الباب فانفتح ، وبدت القاعة أمام عييه مفرقة في الظلمة .

لا همسة .. ولا نفس .

وخبطا إلى الداخل .. ثم أغلق الباب خلفه في هدوء .

وتقدم بصبح حطرات في القاعة متلمسا طريقه في الظلمة . ثم توقف ووصلت إليه أنفاس نائمة .

الأعراس المنظمة الطويلة .. التي يتخللها مقاطع حشرجة أو شعير .

وم يشك في أنها أنفاس ، أم حبيب « ترقد على حشيتها » التي طالما استأجرها للجنوس عليها في ركن الشرفة في ليلالي الصيف .

وكان يعرف طريقه بلا حاجة إلى ضوء . فأنهجه يمينا .. في الزمر المفضي إلى حجرة الجلوس وحجرة النوم .

وتوقف أمام باب حجرة الجلوس .. أو حجرتهما معا .

الحجرة ذات المقعد الكبير المريح الذي طالما استرحى عليه وهي في حجره ، وحياء نشر دان فيما وراء الباعدة الزجاجية العريضة . في فروع الشجر المهترئة ، والبر المندود والنجوم المتلاذبة .

وأحس بحنين شديد .. إلى وقعة وراء الباعدة

لقد بدا له في أيام حرمانه أن عهده بها قد انقضى

ثم يحظر بهالة ، أنه سيعود مرة أخرى ليسترخي ورايحها ، ويرجع عنيبه بالشربود

من خللها بين أضواء النهر ، وأصواء الجبل .

كان يظنها قد أضحت مجرد ذكرى

فإذا بها تعود حقيقة مرة أخرى .

وبحسب العائد ، وشوق العائب . مد يده ليدفع الباب ، وينلق على الحجر والمقعد الناعدة ، وما وراء الباعدة ، نظرة حين .. قبل أن ينسلل إلى حجرة النوم

ولم يكذب بفتح الباب قليلا ، وترى عيابه الحجرية من حلاله حتى يجد في مكانه .

كأنما قد أصابه شلل .

وأحس أنه فقد السيطرة على حواسه . وبدا له كأن أعضاء جسمه قد احتلقت بهم يعرف أين ساقاه وأين يده وأين رأسه

بل لقد بدا .. كأن الواقف في مكانه مخلوق آخر لا سلطان له عليه لقد أبصر أمامه .

ما طاف بدمعه كمجرد وهم . أو شك مرير . يستحيل وقوعه . وجد رجلا يجلس على مقعده .

نفس الحلة

وفي نفس المكان

يبدو سابقه في استرخاء عند حرف الباعدة لا فرق بينهما سوى أنه أنسك بيده اليمنى كأنما .. وباليه الأخرى أحاط « هدى » .

وجهد وراء الباب المخرج عن المشهد المروع عاجزا عن التصرف والتفكير . ومصت ثوب . وهو يقف مشلولها مذهولا لا يعرف ماذا يفعل

أيسحب مسكلا كما أن . ويعضق بين أنفاسه مبارد لدى كان فيه ١٥ أيعود في صمت . ليحتضن حيث كان . فإن أحدهم يحس به ولم يسمع إليه ١٦

أُعيد بالخرج يدمى في باطنه . والطعنة المسمومة تعد إلى صدره ١٩
ولم يحس برغبة في التفهق
وتعذبه نوع من عدد اليأس .. في أن يستأصل كل شيء من جنوده ، وأن
يقطع ما بينهما حتى آخر عرق .
ودفعه الشعور بالمرارة ، إلى أن يخرج مريدا من المرارة ، وأحس بأعصابه من
شدة التوتر تسترخي . وأحسبه من مرط العروق تحمض وتتلد .
وتغلطه رغبة جارفة في أن يواجهها ، وكأنه قد وجد أخيرا أن كل وسواسه
التي خدعته فيها .. قد تجملت في حمة لا ترد .
وجعلته الشعور بالمرارة واليأس يميل إلى القسوة والاستتار
واللامبالاة .
وانتهت ثواني التردد والحيرة .
ورفع يده على الباب وهو يرقب من وراءه .
وبصوتها الناعم ، ونزاعها المنفردة .. ردت « هدى » :
— أجل يا لم حبيب
نفس الرد الذي كانت تحبه على دقائق « أم حبيب » عندما تكون في
أحضانها
وأحس بالدم يغلي في عروقه ويتصاعد إلى قمة رأسه .
ومن خلال أعماه اللاهنة رد بكل ما يملك من قوة أعصاب .
— أنا لست أم حبيب . أنا سامي يا هدى
ومعصت برهة صمت .
بدا كأن كل من بالحجرة قد تجمدوا في أماكنهم
لا صوت ولا حركة
ثم تكلم هدى
ولم تلتفت

لقد بدا كأن الصوت وهم .. أو حلم .
وانتهت ثواني الصدمة .. والتفت كلاهما .
هي وصاحبها
لم يستطيعا التحرك من مكانهما .
واستدارت « هدى » رأسها لتجد « سامي » يقف بالباب أمامهما .
وينظر إليهما وجهها لوجه .
وبدا كأن ريقها قد جف ، ولسانها قد تصلب .
ومعصت برهة أخرى وهي تنظر إليه كالطير الجريح .. مليء مطراتها اليأس
والخوف والأسى .
وبدا الاضطراب على « شكري » . ولم يعرف كيف يتصرف .
وأحس « سامي » بأنه أكثر الثلاثة قدرة على التصرف .
خطا خطوة إلى الداخل ، وتساءل في مرارة
— رابعة غير ملائمة .. ولكن ما دامت قد وقعت فلا بد أن يواجهها .
ومعصت « هدى » حمة التائه اعلم .
— تفصل
وعادرت مقعدها وتقدمت إليه وهي تكاد تسقط إعياء ، لا تعرف ماذا
تقول ، ولكنها غالكت نفسها وتحتت ببعض كلمات اعتدال قائلة
— لم أكن أود أن يحدث هذا قط . ولكني أحس أني قد أجدع منكمما أحدا
ومطرت إلى شكري قائلة :
— لقد قلت لك إنني أحب إنسانا .
ثم أشارت إلى سامي قائلة :
— هذا هو الإنسان الذي أحبه .
ثم أشارت إلى شكري قائلة لسامي .
— الأستاذ شكري . - -

وارتحت « هدى » على المقعد في إعياء وبأس .

وجلس « سامي » على مقعد ثالث .

ومضت برهة صمت . بدا لموقف خللاها ثقيلا خائفا .

ولم يعرف أحد .. ماذا يمكن أن يقال .

وأحس « سامي » بأنه استنزل الأول عن هذا الموقف ، وأنه كذلك أقدرهم

على الكلام .. فبدأ حديثه قائلا :

— قد أكون أكثر كم مررة . وأشد كم إحساسا بالخلال والحرمة ، ولكني

مع ذلك أحس بأنني أملك رمان أعصاني .. وأحس بأن شيئا يجب أن يقال ليوضح

هذا الموقف المرير الذي وجدنا فيه .. وإلى لقاءه .

ثم نظر إلى « شكري » موجها إليه القول :

— لقد أحببت « هدى » . أحببتها كما يحب أحد ، وقد كانت دائما أهلا

لدا أحب . إنها مخلوقة تستحق كل شيء طيب في هذه الحياة ، وقد حاولت أن

أُسحبها كل ما أستطيع ، ولكن الظروف أعجزتني أن أحقق لها ما يبدو أنك

تستطيع أن تمنحها إياه . وأن تبني لها ما تستحق من سعادة وحياة هادئة

عالية .

وصمت « سامي » برهة ، وأحس « هدى » بمر رأسها ، وتصعق بأساسها

على شفتها .

وبهس « سامي » متثاقلا ، وهو يشعر أن الموقف المرير يجب أن ينتهي

وهر رأسه قائلا في شيء من الأسف المشوب بالسحرة

— كان مفروضا أن تبدأ أنت حيث انتهيت أنا ، ولكن يبدو أنه قد حدث

تشابك بيننا . ثم أكن وانقأ أنت قد دخلت حياتها ، ولا كنت تعرفني

أخرج من حياتها بعد

وعاد يهر رأسه ، وهو يمد يده مصابحا ويتمم ويقول

— ماذا يفعل إذا كنا لا نملك مصائرنا ؟!

وسار متجها إلى الباب الخارجي ، وسارت « هدى » وراءه

ووقف الاثنان وراء الباب .

كان الجمر المشتعل بينهما ، يبدو وكأن ماء قد صب عليه ليجمد منه محما

أسود باردًا .

وتهدت « هدى » في وبأس وقالت :

— كنت دائما أحترمك ، وراد احترامى لك اليوم حتى ...

وأحس « سامي » بمرارة في كلمة الاحترام ، وهمس مقاطعا :

— احترام . فقط .. أهذا كل ما تبقى لنا من مشاعر ؟!

وطأطأت رأسها وهست قائلة :

— أعجل أن أقول حيا .

ومد « سامي » يده ، هشد على يدها قائلا :

— أغني لك من كل قلبي حياة سعيدة . لن أنسى أبدا أنك كنت أحلى ما لي

حياتي . كنت أود أن تكون حائضا جميلة كحبا ، ولكن ماذا يفعل ؟! كل

ما أرجوه هو أن تتزوجي فعلا . فقد يمح ذلك حبا ، حائضا أكرم وأفضل

وشرد برهة ثم تنهد قائلا :

— كان يجب أن أقع بالوداع السابق ، ولكني كنت طماعا .

وهزت « هدى » رأسها قائلة في أسى وبأس :

— يبدو أن الله قد أتى لحبا إلا مثل هذه الحائضة لكي يهبه فعلا .. إن ما يبسا

لم يكن ليقطع إلا بمثل هذا .

وبهس همسة ولا ضمة ، ولا مسة شفة . انساب إلى الظلام .

ليحتويه الفراغ البارد مرة أخرى

عوضه إله الهذيلان

ترك سامي بيت هدى .. وسار في طريقه . لم يطلق هذه المرة .. ولم يعد هاربا .

لم يشعر أنه في حاجة إلى الخروب .. وإلى المقاومة .. وإلى الخوف من الارتداد .

ومع يهرب !!! وماذا يقاوم ؟ . وإلى من يخشى أن يعود ؟
ممن يهرب . ومطاردة الحب قد انتهت . والمطاردة .. قد أعيد سيقه .. ولوى عناته .. وكف عنه .

وماذا يقاوم . والجذب قد توقف .. والشدة قد أرحس . والصراع . لم يبق به سوى جانب واحد

وأى عودة يخشاها . بعد أن أحرقت مراكبه . وسد الطريق في وجهه . لم يكن هناك مبرر للهروب أو النقاومة .. ولا كانت لديه القدرة عليها .

كان كل ما يملك هو أن يسير صامتا .. واجها .. يالسا .. وأن يحاول وقف الانهيار الذي يحس أنه بات منه قالب قوسين فو ألقى .

كان يشعر في قرارة نفسه أن كل شيء قد انتهى . انتهى بقسوة . وعف .. ليطمئنه بصبص الأمل . ويصد جمال الوداع

ويضيع حلالة الذكرى . ويطمس كل المعالم الطيبة الجميلة التي ميرت أهل أيام عمره .

انتهى كل شيء .. وكأنه قد تحطم بيد هوجاء مجومة . أصرت على أن تقصى عليه ونصف به . فلا تبقى له شيئا ولا تدر

و كأنها أحست هي بهذا ما عذرت عنه بمرارة بأنه كان يجب أن يحدث لكي ينتهي ما بينهما حقا .

وقد تكون على حق

ولكنه حق الجلال ، الذي يرى في حد مفصلته .. حسما لكل شيء . لا فارق بينهما إلا أن الجلال .. جلال .

أما هي فكانت حبيته !!
حيته فقط !

لقد كانت أحمل ما في حياته .. وأمر الناس لديها . وكان أحمل ما في حياتها .. وأمر الناس لديها .

أحقا كان ؟

أيمكن أن يفعل في أمر الناس لديها . ما فعلت به ؟

بعد كل هذا الحب والارتباط الذي جعلهما كأنهما مخلوق واحد .. تلقى به مثل تلك البساطة .. لتضع مكانه إنسانا آخر .. تجري به حياتها بيسر وسهولة . وكأنها أبغلت حركة بمركية . أو جوادا بجواد .

ولكن ماذا يروعه . مما فعلت .. بعد أن أنذرت به ؟
ألم تخبره بأن إنسانا قد تقدم لرواحها . وأنها قد وجدته ملائما لها ..

ولم يحترس هو على ما قالت .. وودعها الوداع الأخير !
ألم يحس هو وقدك أن في ذلك حلا لمشكلة مستعصية .. وانطلاقا له من

عملية أسر . وتحررا من استعباد ؟
حائر

ولكنه إحساس مؤقت . تنح عن فرد ما وقع عليه من صمط . وإرهاق . وإجهاد .

إحساس لم يشعر قط أنه يمكن أن يتحكم فعلا في مصيرهما معا . ليصبح له مثل هذه الخاتمة الزميمة

بدليل بكسته وعودته إليها .. يحين أشد .. وشوق أحر .. وإحساس
أنجح وأرفع ليحدها قد عصفت يدها من كل شيء .

وحتى لو كانت قد استقرت على إنهاء علاقتها .

أهمنى ذلك إنهاء حبها ؟

هل أحب ينتهى بمجرد قرار ؟!

أهان عليها حبها إلى هذا الحد ؟!

أهان عليها العرقه بلا شوق ولا لغة . ولا حزن . بل عاشق يحل محل
عاشق ، ومحبة يشغل مكان محبة .

وماذا هذه المجلة ؟

ولماذا لم تزوج .. كما قالت ؟

ولكن حبها تزوجت !!

ماذا كان يمكن أن يصبح موقفه وهو يقتحم بينها بعد منتصف الليل ليعده
بمفتاحه .. ويدخل حتى يغفها ؟

أى حادثة كان يمكن أن يرتكبها ، وأى مأرق كان يمكن أن يرح به فيه
لو أنها كانت متزوجة فعلا !

ماذا دفعه إلى مثل هذه الحماقة ؟

حبه ؟!

لغته المفرطة في حبا ؟!!

كان يظن أن بها من الخنوع مثل ما به !

كان يطلبها لتقلب على حجر العفرقة ، وشوك الحرمان .

كان يطلبها ساهرة . مسهدة . مقروحة الحس . تنتظر أوتته في كل
لحظة .. لتصم إليه في همة وتساؤه ألا يغيب عينا أبدا ؟!

ذلك ما دفعه إلى العودة إليها .

لم يكن جورا ولا حماقة .

ولكنها لغة الحب .. أصناف الشوق .. ولم يستطع أن يعا شيئا .. إلا أن

يعود .

ولقد عودته أن يعود .. ليحدها دائما في انتظاره .. لترى بين أحصائه .

في كل مرة كان يعود إليها على غير موعد ليحدها ذراعيها مفتوحين
لصممه . وشفتيها مصصتين لتقبله وكأنها لا عمل لها سوى انتظار عودته .

فذلك ما دفعه إلى العودة .

عرق الحب ، وعرق الشوق .. وعرق الثقة .

وعاد . ليحده بين يديها سكنى الحلال . لتجث بها حبا من جنونه ،
وتغشق في جوفه كل ما يحصل أن يتردد من أنفاس .

وغادرها .. ذبيحا .. يلطم جراحه في باطنه . ويسر بين الناس
كالتسلية .. متعذرا لظنا .. حروغ الرأس لا يتأوه ولا يتألم .. ولا يعرف كيف

يربح نفسه من هذه الحفرة التي تكوى باطنه .

كان عليه أن يلقى الناس ويحدثهم ، ويستمع إليهم ، ويستمع ما يقولون ،
ويباطله ذلك العذاب المروع الذي لم يخطر بباله أنه يمكن أن يصيب إنسانا

لقد مر في حياته بمحن كثيرة ، وداف أنواعا من الآلام الحسية ،
والنفسية .

لقد أهزاه كثيرين .. لورثوه بفقدهم . أحرانا أجمه . ولم ينج من آلام
المرض ، وحرارة المزمجة عبر مراحل حياته ، ولكن شيئا لم يصبه . يمثل هذا الذي

أصابه .

لم يشعر في حياته قط . أن شيئا يمكن أن يوحه ، يمثل هذه القسوة ،
والاستمرار ، والعجز عن بره أو تخفيفه

وحيدة لا يملك لها علاجا ليس لها تخدير . ولا تسكين ولا نتر
بل إن شيئا يحرق باطنه . بلا توقف

ينام به ، ويصحو عليه .. علاجه مرفوض من مبدئه

ويستمر فيه .

وكيف العلاج .. إذا كان الدواء هو سبب الوجع وأصل العلة ؟
وكل شيء يمكن التفكير فيه . إلا أن يعود إلي . أو يرفع السماعة لسمع
صوتها .

أيضا لقاء ؟؟

أيستجديها . كلمة حب !!!

وهل يستجدي الحب ؟

ليس أمأمة إلا أن يسير بالأمه . يتعذب ، ويتعذب ، ويتعذب . دون أن
تند عن شعته صرخة .. أو يند على ملائحته ألم .

ليس أمأمة إلا أن يتعذب وهو سائر في حياته الطبيعية . لأنه لا يستطيع أن
يفعل غير هذا .

الذين تحدث هم أمثال هذه الصدمات .. يعضون شيئا .. يقاومون به ،
ويعرفون عذابهم فيه

شيئا كالخمر .. وكالتفكير .. وكأحصان امرأة أخرى .

وبكده لا يملك هذا لأنه لا يعرفه . ولا يجسر أن يضع نفسه فيه .

إنه لا يستطيع إلا أن يكون هو .. الرجل السليم للعقل المتزن .

وهو في باطنه أبعد ما يكون عن ذلك .

في باطنه الدامي .. الموحج .. يريد أن يصرخ ويصرخ ، ويقول للناس
إلى مجروح .. مضطرب

يريد أن يقول . أه . ويصيح عيبه ويصيح على وجهه ويصيح كالطير .

أجل شيء ما لا بد أن يعمل لكي يخرج به تلك الجسرات التي غرق
صدره

ولكنه لا يملك إلا أن يردد حرفه . ويتلعج آخه . ويعمل .. كما تعود أن

يعمل . ويأكل ويشرب .. ويصيحك أيضا . إذا ما قال له أحدهم بكته .
كان عليه أن يفعل كل ما يعطيه الأحياء .

وهو أبعد ما يكون عن الأحياء .

كان عليه أن يتحرق في صمت وسكون .. دون أن يأمل في مقدر له سوى
الزمن .

وحتى هذا الرمز . الذي تشب به . وجدته يتسكع في أمأمة ، ويتهادى ،
ويأني أن يمر

كان يريد من الرمز أن يجري سريعا

عقد كان يأمل أن يخف ما به يوما بعد يوم . شهرا بعد شهر ، وعاما بعد
عام

ولكن الأمأمة لم تعمل له إلا مريدا من الوجع .. ومن هذا من الألم .

وحاول أن يجد في السفر وسيلة للفرار من أوجاعه .

ولكن كيف يسجو بها وهي مستقرة في باطنه ؟

ذهب إلى القاهرة مرتين ، وإلى موسكو مرة .. وظل في كل مرة أنه يريد
مها أنه يتعد عن موطن العلة . ولكنه لا يكاد يتعد ، حتى يحس بالعلة

تعاوده ، وإذا باليأس الموحج يلازم تفكيره .. الذي لا يمكن أن يكون إلا حرما
منه .. في دمشق ، أو في القاهرة ، أو في موسكو .

وسافر بوجعته ، وعاد بوجعته .

لو أنها كانت أكثر من هذا !

لو أنها صارت حبا ، حرقته من هذه الحافة المهيبة . ولم تلق به في الوحل
نظامه بقدمها !

لو أنها سحته وداعا أجمل ، وذكرى لطيفة !

لو أنها سحته شيئا جميلا يصكر فيه .. في الوحشة المصيبة !

لو أنها سحته فقط بعض الراحة في التفكير !

لو أنها هيأت له بعض ما يصمد بجراحه . من أعداد جميلة ، واحتالات
مريحة !

لو .. لو ..
وكانت « لو » الممتنعة هي في حد ذاتها سببا جديدا لوجيئته .

لو أنه يفس ؟

لو أن هذا الذه يكف عن التفكير فيها !!

ولكن كل شيء متجمع مستعصر .

ولا يبقى به بعد كل هذا سوى وجيعة فوق وجيعة ، وألم على ألم
والطريق المظلم الموحش طويل ، والأيام بطيئة .

وعليه بعد هذا ، أن يعمل ، ويعمل .

فقد أخذ الصراع يشتد .

وأصبح عليه أن يواجه صراعا في عمله ، كما يواجه صراعا في باطنه .

فقد أخذ الضغط على سوريا يشتد من جميع النواحي .

وتعاضت قوى الاستعمار وأعوانهم ، لتكوّن صففا أمريكيا بريطانيا

إسرائيليا تساعدها حكومات الرجعية من العراق ولسان ، لقاومة ما سموه

« بالخطر الشيوعي » الذي يحاول أن يجد في سوريا معدا إلى الوطن العربي ،

وارداد الحشد التركي على حدود سوريا . وراحت حدة الصراع ، وبدت كأنها

سوريا قد أصبحت رقعة سائقة يهزم بها الأسبق إلى الأنتام

وراد الحشبة على الوطنيين . ليخلصوا يوطهم سليما من الصراع الدائر فيه

وحوله . وأخذت الحاجة تشتد إلى درع تنق الوطن العربي .

وبدأت درع الوحدة تتشكل وتتخذ سماتها الواضحة ، بعد الجهود التي

بدت من أجل توحيد الجيشين المصري والسوري والتي انتهت باتفاق على

توحيد الجيشين في التسليح والتدريب لمواجهة الطوارئ المحتمل حدوثها

وتبادل الصباط وغيره وإرسال إمدادات من القوى الصادرة للجيش المصري

لتعزيز الجيش السوري المواجه للحشود التركية .

وأحسن ساسي بأول بوادر الوحدة الصليبية عندما وصلت القوات المصرية

إلى مياه اللاذقية تحيط بها من الأسطول المصري وتخلق جوقها طائراته ليتخذ
المصري مكانه بجزر السوري في خطوط الدفاع على حدود تركيا وعلى حدود
إسرائيل .

أحسن ساسي وسط أحراره بنى ، يرق ليضوء الطريق .. ليس أمامه فقط بل
أمام الأمة العربية كلها

الأيادي المتشابكة على حدود الوطن العربي . والدعاء المعلقة لكي تختلط على
أرض معركة واحدة .. للدفاع عن وطن واحد . قد وثقت أول رباط للوحدة
بين الشعبين .

ولم يدهش ساسي وتلك من الصحة التي أحدثتها وصول القوات المصرية ..
فقد كان يعرف معناها جيدا .

وملأت نفسه العبرة وهو يجدها تصل سائلة رغم كل ما كان يرمح به البحر
من إرهاب الأساطين والطائرات ويجدها تواجه التحربة الصعبة وترسم أول معالم
الوحدة وتوقد أول مشاعلها . وكانت قد دارت من قبل مباحثات اقتصادية بين
وحد مصري وبين الحكومة السورية لوضع أسس الوحدة الاقتصادية بين
البلدين ، وانتهت بالاتفاق على تأليف لجنة مشتركة لدراسة المخطط العملية
لتحقيق الوحدة الاقتصادية .

وأحسن ساسي أن الحركة تزداد احتداما ، وأن الخطوات التي تتخذ نحو
الوحدة تريد حدة ، وأن الأيام للقبلة لا بد أن ترسم خطوطها العميقة .. وأنها
ستظهر الذين يعملون عملا من أجلها والذين يتخلون عنها مجرد وسيلة لغايات في
أنفسهم .

ولم يكن يد من متابعة السجاج .

وكان البرلمان السوري عن وشك العودة إلى الاجتماع ، ولم تكن هناك أقوى
من كلمة الشعب ليفوقا حاسمة من أجل تحقيق الوحدة . فوجهت الدعوة إلى
مجلس الأمة المصري لإيقاد وفد من أعضائه لزيارة مجلس النواب السوري .

وبدت الوحدة وقد صدك إحساسا جارفا ، بين شعب وشعب . لم تكن قوايين
تدرس ، ولا حطوط تدبر ، بل كانت أقوى من كل ذلك كانت تبارا من
المشعر يهدير لهجرف في طريقه كل عقبة ، ويهدم كل حائل .
وتبقى الشعب السوري ، إخوانه المصريين ، بأذرع لمعى ، وكأنه يضم
الشعب المصرى كله .

وقد شهد مطار المرة ، لأول مرة في تاريخ الشعوب ، شعبا يعانق شعبا ،
وأمة تحتضن أمة .

واللجنة مجلس النواب جلس « سامى » يستمع إلى البيان المشترك .

جلس ينصت إليه ، شارد الذهن غارب البال .

كان يشعر أن جلسا من أحلامه يتحقق ، وأن انتصارا صعبا طوبوله تتعالى
وبوده تحقق .

ومع دقائق الطويل التي كانت تتعالى من حوله ، مؤدبة بغرب ميلاد جديد ،
كانت الأجراس المزينة تلى في باطنه .. مريرة موجعة .. من حرج لا يمل ،
وقرح لا يشفى .

وعاد السؤال يلح على دمه مع الذكرى الموجهة .

لماذا فعلت به كل هذا ؟

كانت تحبه دائما ، وكانت تحشى عليه ، وتكره لإلامه
كيف كان عليها أن توجه إلى قلبه الطمعة القاتلة .

أمعقول أن تفعل به هذا ، وهى ما زالت تحبه !

أم أن حبها قد دثره الريح !

ولكن أيمكن للحب أن يتبدد هكذا مرة واحدة ؟

ولماذا لم يحدث هذا معه ؟

لماذا لم يستطع نسيانها ؟!

لماذا يظل ذمه هكذا ممتقا بها ، يرفض أن يبعد عنها ، عن حساب

وسياتيا ، وحبيا وهجرها .

لماذا يأتى أن يبكأ الفرح في كل لحظة ويدمى الجرح في كل آونة ؟
لأنه ما زال يحيا ؟!

لا جدال في ذلك مهما حاول الإنكار .

ولو أنه انتهى من حبها ، لانتهى أبها من كرهها ، ومن متاعها ، ومن
آلامها .

متى ينعم الله عليه بالنسيان ؟

متى يمن الله عليه بالجمود والنبذ ؟

متى يستطيع أن يذكرها دون أن تتورق بعصه الشجوة ، وتتحرك الآلام ؟
لماذا لا يفعل الزمن شيئا ؟

لماذا لم تساعد كل هذه الأحداث الصعبة التي مر بها ؟

لماذا تصر على أن تبقى حية ، باردة في كل أحاسيسه ، ومشاعره ،
وأفكاره .

لماذا لا تبت ؟! لماذا لا تغيب ؟!

أستحق هى من كل هذه النجاسة ، بعد أن فعلت ما فعلت .

كيف يصجر عن سلوكها !

وكيف يستعصى عليه المراءى في كل من حوله وما حوله ؟

لماذا يستعصى عليه .. أن يجد لها بديلا .

بديل ؟!

كيف ! وكل نظرة من حوله ، أو حسنة ، تعيدها إلى دمه .

كيف ! والمقارنة بينها وبين الممر ، لا يكف عنها دمه وقلبه .

كيف ؟!

وهو لا يستطيع أن يشعر إلا بأنها الأصل ، وغيرها صورة باعثة رائحة
وبعد كل هذا لا يجد هناك أبعد منها عنه في هذه الحياة .

يبحثها كشيء مثير من لقاؤه .. مثير من الحصول عليه .. لا أمل حلوا
بتنظر ، ولا ذكرى طيبة تعود .

ولا يملك إلا أن يسير في طريقه الموحش يائسا .. موجعا ، دون أن يحاول أن
يجد لنفسه .. حلجا ، أو ملاذا ، أو مستترا .

مثل من ؟ أمثل هذه السهولة يجر الحب مستقرا ؟

ألم تفعل هي ؟

ولكن أستطيع هو ؟ وأين ؟

وتقف : فائزة ، أمامه في مكتبه ، ترفقه في حان وأسى ، وقد أعرق في

شروده الحزين ، وهي تكاد تنفث به : ها أنذا

ولكنه لا يكاد يبصرها .

إنه لا يبصر إلا ما أوجعه وأضناه .

ويتمنى لو استطاع أن يجد صدرا يريحه ، ولكنه لا يحس بالراحة ، إلا لصدر

هاجر ، ناء .

وتدب غيرة : يدها إليه بالمظروف .. الذي ضم الرسالة فيلمح عليه خطا .

يصببه برجفة .

أحيرا ذكرته . وهي التي لم تنسها ذاكرته لحظة واحدة .

وأمسك بالأوراق .. كما تمسك الأم بوحيدها العائد .. في لعبة وحرص ،

وشفت في حقيقة عودته .

وأخذ يقرأ ..

أخذ يستمع منها إلى ما سمته في رسالتها هذيان محموم .

أخذ يستمع إلى ساجاتها تروي له قصتها معه .

كيف رآته ؟ وكيف أحبه ؟

وانطلق به الفهن .. يردد المناجاة ويذكر قصته معها .

كيف رآها ؟ وكيف أحبا ! واسترسل دمه في الذكرى حتى لا يعمل

ساجاتها من طرف واحد .

لو كما سمعها هي .. هذيان محموم .

ثم عاد .. ليستقر بين السطور مرة أخرى .. ليستمع إلى مناجاتها الهامسة

الحزينة .. لتكمل حديثها أو هذيانها .

www.mlazna.com

^ RAYAHEEN ^

أحسنى يا حبيبي حتى النهاية .. أحمل هذيانى حتى أقول لك كل شيء .
أحسنى ولا تضجر .. فلم يبق من حديثي إلا القليل .
بقى القليل الذى قد لا تعرفه .
والذى قد يكون به بعض ما ينصمى معك .. ويمضى عمرنا .. ويبعد
تفتك لى ، وحبك لى .

وكما قلت لك . كل شيء يمكن احتياله فى هذه الحياة .. إلا فقد حدث .
البعد .. والحاجة .. والتشرد .. والحر .. وكل ما بالحياة من ألوان الشقاء ..
يمكن احتياؤها . ما دمت أشعر بأنك مارلت بحبسى . وبأن موقعى فى نفسك
لم يمس .

وبعلم الله .. هل بقي لى بعض أمل فى إنصافك وتفتك وحبك .. أم قد
عسى على حبا البعد ، وضيقه التواسوس والظنون .. وأصحبى هباء تدرؤه ريح
الفرقة والسيان ؟!

ولكن لماذا أثقل عليك بكل هذا ؟!

لماذا لا أقيم حديثى .. ولم يبق منه .. إلا القليل ؟!

لست أنرى .. هل تعرف أن ؟ غايرة ؟ قد زارتنى لتبينى أن خلاقتى معك
تتال من سميتك وتزول مستقبلك .. ولتقوم بدورها فى خلاصتك منى .
تركنتى ، وعواء القدير يدوى فى أذنى .. وريح خطرة تصفر من حولى .
وأجراس مفرقة تلقى كيانى .. وشهب حمر تنرصد فى طرفى .
ولم تكن وحدها التى تلقى الأجراس .

كانت فى دراعى ، آثار معركة استمدت بها الشرط حين حاول : رياض ؟
أن يهزمه . وقد عرفت أى خطر يمكن أن يأتىك من ناحيتى ، وأى استغلال
سوى يمكن أن يستغله عصبومك لعلاتى بك .

تجسدت لى ما خلفه من قبل أوهلما .. وأيقنت أن صدقتك سليم كان
الطريق الخطرة حين حذرتى ونحى عائدون من بيروت .

محاولة تضحية

عاده سامى : ليستقر بصره على السطور اللهي والكلمات الدالية . التى
خطتها هدى : فى رسالتها .. عاد ليرجع السمع إلى مساحتها الرقيقة الحسنة
بعد شروء سترجع به فى ذهنه كل ما سترجعت فى رسالتها ، واستعاد الذكرى
التي حاولت أن تستعيد بها بكل ما فيها من حلاوة ومرارة . وشعة وألم
عاده سامى : إلى الأوراق . ليصت إلى ما رددته من هذيان محسوم
الصوت اليائس الذى يرجع الذكرى ليس بها عى كبريته ويعرج همه
ليستمع إلى الحمسات الخمرية التى تشبث بالحلب وتلهف على العراء
عاد يستمع مع الأوراق إلى أحب الأصوات يهتف به عبر البحار قتلا
و بعد .. يا أعز الناس .. ما كل هذا الذى كتب ؟
ما استطعت أن أكتب إليك من حديث لا تعرفه . وأنت — كما قلت لك —
تعرف كل حركة فى حياتى وكل سكة .

دعنى يا حبيبي ألتقط أنفاسى .. وأغمض عيني ، وأرعى جسدى
وأوهم نفسي بأنى عدت لأستقر بين ذراعيك لحظة .
لحظة واحدة . أسترحى فيها بين أحضانك ثم أعود الحديث .
لحظة واحدة . أنعم فيها بقربك حتى لو أشجعت عى بوجهك
وحرمتنى ابتسامتك .

دعنى ألتصق بأى أحضانك . على أنسى وحديق ، وعلى أسكت دقائق عجب
البحارة التى تنوات عى أذنى فى رنابة عجيبة . لتذكرنى فى كل دقة بأنها نعم
بعيدا عنك . وأن كل أمل فى قربك ضييع .. دقة بعد دقة .

وتنبت لأرى نفسى . بقعة سوداء فى حياتك الباصعة ، ومعمل هدم يهدد
بناء مستطيلك الشاخ الأشم .

وبدا لى وقتك .. أن أقوم بنور كريم .. نبيل .. وخيل لى .. وسط
أحزان فرحتك وأنت غائب .. أنه قد بات على أن أستشهد فى حى .. وأن أقدم
نفسى قربانا على مذبح التضحية .

ولا أنكر أن بكيت ، وأنا جالسة وحدى .. أستعد لنمى رسالة الفراق
اللى سأحطها إليك ، وأنصوّر نفسى وقد احتضنت عنك .. وقطعت عليك كل
سبيل لى لقائى .

وبكيت ثانية .. وأنا أنصوّر جرعك وآلامك .
ولكنى رحت فى وحدتى .. أستعذب آلام الاستشهاد الموهوم .. وأصوّر
نفسى مادى يمكن أن أحققه لك من غير بالتضحية والاستشهاد .

وحاولت أن أمهد له . بالعودة لى حياتى الأولى .
حاولت أن أضمّر لى أصواء المسرح وأنهمك فى العمل وأحبط نفسى مثلك
الأصدقاء القدامى .

ولم يشق الأمر على فى غيبتك .
بل بدا طبيعيا .. فقد كان على أن أعمل شيئا أشغل به فراخى العريس ، ولم
يكن لدى من يهاد أحمرى على التقيد به .. بل كنت أحس فى غيابتك

بالضباع .. لا أنتظر من يومى شيئا ، ولا أمل فى شيء .
وأقول على « شكرى » .. بطرق بائى من جديد .
وأحسست أن لى حاجة لى متكا أستد إليه ، وأنا أوشك أن أفرغ نفسى من

الطود الشاخ الذى تملقت به ، واستقررت عليه .
فى حاجة لى من ينلقى قبل أن أهوى من صحرة حى التى احتلتها ، وبأب
مها عن كل ما حوى .. ونصمت فيها بقرى ملك .

فى حاجة لى حقنة همد .. قبل أن أقوم بعملية البتر التى أهم بالإقدام عليها

ومرت لى الأيام قبل عودتك ، وأنا أمهد لعملية الاستشهاد .. التى أوشك
أن أقوم بها .. كنت حلالها أروح وأغلو ، وأنا فى شبه غيبوة .. أسهر وأشرب
وأعى ، وأندج بين الأصدقاء ، وكأنى أدرب نفسى على حياة العذاب التى
أوشك أن أحيها .

وأديت النور كاملا .. دور المساق لى سيف الجلاد بقدم ثابتة ورأس
مرفوع ، وإتسامة على الشفتين .

ولا أكنمك أنى كنت أهدع نفسى ، وكنت أتوهم فيها قدرة حقيقة على
هدء الأشياء التى تسمح بها لى القصص التضحية ، والاستشهاد ، والتبل ..
إلخ .

حتى دق جرس التليفون .
وسمعت صوتك .
وأحسست بشيء يذوب فى باطنى .

ونسيت كل شيء .. إلا شوق إليك ولغنى عليك .
دكت حصون المقاومة التى شيدتها خلال غيبتك فى غمضة عين . تداعت
كأنها قلاع التلوج . سطعت عليها فمس الاستواء ، ووجدت نفسى أغف

وحيدة فى الفضاء .. ممدودة الذراعين .. مسئلة الميمن ، وصوت يضح يى
الحنايا .. هاتفا بك : « ضمنى إليك .. شدى لى صدرك » .
والاستشهاد ١٢ عليه السلام .

والتضحية ١٢ والنبل ١٢ والكرم ١٢ والواجب ١٢
ما عدت أذكرها ، ولا عاد لى بها شأن .
نسيت فى لمح البصر كل مارسمت من خطط ، وديرت من مشروعات ، ولم
أعد أذكر .. إلا أنك حيسى .

حيسى فقط ١٢
حيسى وحياى ، وكل شيء فى دنياى .

وهمت بك في سماعة التليهور .. تعال .. بلا مفاشة ، ولا استصار .
همت بها يساطة وسر . لأنى لم أجده على لسانى سواها . لم يكن هالك مبرور
للتعكر . فقد كنت عدته واضحة لنفسى تمام الوضوح
كنت لا أرى شيئا سواك .

أريدك .. يساطة .. وبلا تفكير .. ولا عراع .
لقد طغى وجودك .. يا حبس .. على كل شيء .
حتى على خوفى عليك ، وحرصى على مستقبلك .
بدد ما ادعته لى نفسى من نيل .. واستعداد للصحة والاستشهاد .
لقد انكسرت كل هذه البوايا الطيبة والرغبات الحيرة .. أمام رغبتى إليك ،
ولغبتى عليك .

ولم أستطع إلا أن أقول لك بيساطة « تعال » .
وأنت .
أنت إلى بعد طول عيبة ، وهرط شوق .. وشدة لوعة .
وكننت أنت بمسك هذه المرة .. تافح صمغرات الإنذار ، قارع موائس
الخطر .

كنت حزينا منكبا مبهما .
لم أجده اليأس والأسى فى وجهك كما وجدته حينذاك .
وأنت تعرف مدى إحساسى بك .. بأمالك ، وصيقتك ، ومتاعيك .
وكرهت نفسى .. وكرهت حسى .. وأنا أجمع منك كل ما سبه لك من
مشكلات ، وما أسطنت به من متاعب .

وبدت لى مرحفى بقلبك ، واندماخى لى أحضانك ، ونشئى بحبك
كأن صحوة للوث .. تحاول التثبت بالحياة الداعية .
وعاد الطريق المغم حيث كنت أسير لى جلاذى .. عاد ليبدو أشد ورجشا
وانزاعا .

وجابت الأفكار المشائمة الياسة تتواتر على دهسى .
وألقى اليأس طلالا فاقمة على كل شيء ، فى حياى حتى حىي لك
وعزت على نفسى وأنا أغث ورايك . أسحت حسى .. وحياى فأحملت
بها وررا . وأعجم كالشريدة الصائفة .. بلا أمل منى فى مستقر ، أو طمأنينة .
وبدأت أذكر وحشى فى الليالى الطويلة .. عندما تتسلل من جوارى
وتتركبى وحيدة . أحضرس الوسادة . أذكر قلبنى المستمر .. وإحساسى
الدائم بأنى أحتس . وأنى لأوشك أن أبيض . وبأن يدا لا تروح أن تتزعج
مى ، وتعتك عن طريقي . وتؤكد أنك لست لى .. وأنتك حلم تبده
البقطة . ووهم نصيحه الحقائق .

وعاد صوت « أم حبيب » يتردد فى أذنى .. كأنه صوت الدمى .
« صعى بتعتك الباية .. تجعل من أياملك الحالية ذكرى حمية . نعوذك
كالسمة المطرة فى خريف عمرك .. كوفى حارمة وأطوى صفحة حبك قبل أن
تلتعها الأيدي العالقة » .

وفى موجة اليأس العائرة التى طوت كل بوارق الأمل من حولى وجدتنى
أضح ضغنى لأفسى عما يشه أبات المختصر .. قائلة . إننا يجب أن نذكر بشيء من
العتل . وإن ما يسا لا يمكن أن يفسر . ثم ذكرت .. أن هالك إنسانا تقدم
للزواج منى .
وحتى هذه اللحظة .

حتى عندما قلت لك إنه من غير المعقول أن يستمر ما يسا ، وإن إنسانا تقدم
للزواج منى .
لم أكن أحسنت أن ما يسا يمكن أن يتبى فعلا .

رغم كل هذه الوسوس والغفوم والأسى واليأس . ورغم كل ما حطر بهنى
من متاعب حينا ، وضرورة إنبائه .

رغم كل هذا .. ورغم بوابى .. وخططى فى إنبائه ، لم أشعر أبدا أى

بأنه .

كنت أشبه بالصبي الذي يهدد بالانتحار ، مقعاً نفسه أن هذا هو سيده الوحيد إلى الخلاص .. ومقعاً من حوله أنه لا بد أن يصح هذا لحياته ، ويسير حتى حافة البحر .. ولكنه يحسم في قرارة نفسه أن ثمة بداً يستند لعمه وتوقف انتحاره .

وبهذا الإحساس . جرؤت على أن أتبعك بأن عزمت على أن أصح لحياتنا نهاية .

وانظرت أن تتدب بك . لتوقف هذا الانتحار الذي أوصلك أن أسير إليه ولكلنا تركتني أسير وبكيت

بكيت حتى .. وحياتي . وأنا أجدك تسلم بالنهاية في صمت وهذوهِ وبقيّة من عسّ ضئ . وبهالة أمل .. وبغيث من أم موصى في مكان سيقى دائماً بين دراعيك .. أحسست أنك تنصني إليك ، وتمسح دمي بشفتيك .. وتنحس رأسي .. وتشدني إلى صدرك .

وبهذا العاصفة ، وتنقش السحب ، وتشرق بسمتك ويعود كل شيء إلى مكان عليه . حتى هذه اللحظة .

حتى بعد أن انبرت باكياً .. كان ثمة بصيص من أمل . ما زال وجهه يكس لي نفسي

ولكنك تركتني أبكي لأول مرة في حياتي .

ورادت في نفسي المراقبة . وأنا أجد قلبك قد قسا عليّ . ورحلت أستجدي صمتك .. لعلها تقبلي من هلاك مجوم .

وضممتني إليك .. وبعد لحظات أبأنتى أنك ستتركني إلى غير عودة

كان كل ما دبرته من خطط ، وكل ما فطنت به من أقوال يسعى في إلى هذا الوداع الأخير

إلا أني أحسست مرة أخرى بالظمة قاسية . عجباً لي !!

لماذا أفرع كل هذا الفرع . أفرع من نتائج كنت أسير إليها وأسمى إلى دركها .

لماذا كنت كالطفل يقذف الآية على الأرض .. ثم يغمض عينيه فرعاً .. حين يسمع صوت ارتطامها .

ولكن ! أخطأ كنت أتوقعها !! أم حملت حبك لي فوق طاقته !!

أكنت أنا حمقاء !! أم كنت أنت القاسي !!

لا عتاب . ولا لوم .. ولا حساب . فما كتبت إليك لأعقب عليك ، أو أحاسيك .. وإنما لأستجدي معونتك .

وأنتس إصافك وحاشا أن أتبعك بالقسوة .

أنت حسي . وأكون طاملة إن لم أتمس لك عذراً فيما كنت عليه من إجهاد وبأس وأسى .

أكون كاذبة لو اتهمتك بالقسوة ، وأنت حمر الناس .. وأطهيم قلباً ، ولرفهم جانباً .

أكون جاحلة لو أنكرت حبك لي وعوفك عليّ . فقد عدت إليّ

عدت !! عجيب هذا القدر !!

يمن في الصحرة ما .. يأتيها من حيث لا تتوقع .. ويجعل من أعذب ما ردد .. أثر ما ندوق ، ومن أجل أمانيها ، أقسى صدماتنا .
أندري كم تحب أن تعود طوال الأسبوع الذي هجرتني فيه ؟
فلما عدت تحب أن أموت قبل أن أواجهك
تحب أن أسقط فاقدة الوعي .. حتى لا أواجه نظراتك اللائمة للعانية .
اليائسة .

ومع ذلك لم أكن أملك إلا أن أقبل ما فعلت . وأن أنتهي إلى ما انتهيت إليه !!
أعرف كيف تركتني أول مرة ؟
أعرف كيف مرت في أيام هجرتك تلك الساعة المشغومة ؟
حقيقة إسي قد دبرت خططي طوال مدة غيابك في القاهرة ، على أساس
الاستشهاد والنضحية والشبل و .. و .
وحقيقة أي تخيل في أوهامي .. كيف يمكن أن يحدث
ولكني لم أتوقع قط أن يحدث حقيقة .
لم أظنه مثل هذه الماراة والعداء
أن أفتدك هكذا صراحة .. وبلا أمل في عودة
أمر غير معقول .

كنت أتوقع على الأقل .. أن يكون الأمر باليسير .. وأن يظل يلتقي .. ثم
مفل من مواعيد لقائنا .. شيئاً شبيهاً حتى تعود البعد .
ولكنك أصبرت أن تنتهي كل شيء مرة واحدة .
ودهيت وتركنتي .. كمن برت سلفه . أو على وجه أدق برت قلبه إن صح
التعبير .. بلا عذر .. وبلا رابط أو عار
ولم أك أملك غير أنين جريح مجنون .
أجل يا حبيبي . كان الجون يلمس طريقه إلى جوارحي .
أنت تعرف هذه الآلام . فلا شك أنك قد قاسيت مثلها فقد كانت

مشاعري دائماً هي مشاعرك . ولكنك كنت دائماً أكثر جثلاً وأشد صبراً
تخيل ما قد تكون قاسيت من آلام .. وقد حاقت لي .. دون أن أملك
جثلك ، وصبرك !
ولم أعرف ماذا أفعل .

لقد قلت لك إن هناك إنساناً تقدم للروح مسي .
وكان شكري قد سألني الزواج فعلاً .
وأقبل على لي همتي .. يلح في طلبه .
وحاولت أن أجد عنه سبباً .. أتعقب به وأنا أسقط من حالي حبك نحو هذا
الدهوى السحيق .

حاولت أن أجد فيه المسكن لعملية بتر بلا عذر ولا صناد .
ومرت أيام .. وحرج القلب يدمي . دون أن يفيد فيه مسكن .. وفرح
الفرقود يبكى دون أن يفيد فيه صناد .
واسطقت كاجموية . أشرب وأغنى وأرقص وأسهر .. وأحاول أن أهرب
ملك .. من إباحات على مشاعري . واحتللت لدهي .
أحاول أن أفلت من قصة سيطرتك ، وقيد سلطانك
وظللت أعلو وأعلو . لا أسفر ولا أنام . لأراك برهسي في كل شبح
يطوف لي ، وأسمعك في كل صوت يهمس في أذني .
ولم أعرف ما آخرة كل هذا الذي أفعله ؟

أحقيقة أنوي الزواج من شكري ؟
أيمكن أن أجد في شيء من هذه الدنيا .. عزاء عليك وبديلاً منك ؟
وحيل إلي وأنا أحب نفسي باليأس المطلق . أن أجرى عائلة إليك لأرغمي
بين أحضانك وأتعذب بك . لن أتركك أبداً
ولكني كنت أعود لنفسي فأسألها : أنجل هذا مشكلنا ؟
أبهي المسألة مجرد عودتي إليك وإرغائني بين أحضانك ؟

وبعد ؟

بحود السيرة الأولى ؟

تأتيتك من ناحيتي الغيوم ، والشعاب ، والمشكلات ، والشائعات ، والأقاويل ، وأعيد إليك البقعة السوداء التي حاولت أن أزيلها من صفحاتك النقية .

وأنا ؟؟ أعود مرة أخرى إلى الخوف من أن أفقدك .. والقلق على صياحك . أعود إلى الأعصاب المشدودة في عيشتك ، والنعمة الدائمة عليك . أعود إلى التوتر والخوف . والخفاة بلا أمل في أكثر من حياة التنسر والخوف .

ومع ذلك ..

ومع كل ما كنت أدركه من خفايا مريرة تكثف حياتنا معا .. أحسنت أن صبري على فقدك قد بعد .. واحتياي بعندك قد وصل إلى أقصاه ، وبلغ في عذاب فرقتك حدا . جعلني أسلم بكل شيء في سبيل استعادتك .

و كنت قد حاولت أن أبعد عن كل ما يذكرني بك .. كنت لا أعود إلى البيت إلا لأرتقي في الفراش .. وكنت أحاول أن أحيط نفسي دائما .. بخصيج يشتت فكري .

حتى عصفت في الحنين .. وقبعت في الفار .. وامتلأت بدى إلى التسجيل وأحدثت أستمع إليه

وأفقدني صوتك .. بغية الصبر الذي تمسكت به .

وامتدت بدى إلى السماع . أطلبك .

وقبل أن أرعبها دق جرس الباب وبهت لأرى الطارق .

٥٤

اغفولك !!

قلب ه سأمي ه صفحات الرسالة وعالود القراءة :

ه فتحت الباب فإذا بشكري يقف أمامي

أقبل بلا تكلف .. وهو يحس من طرفة حياتي . ومن معاملتي له ، وملازمته في .. أنه أصبح قريبا مني وأنه بات مشرور روح .

وجلس في حجرنا .. على مقعدك ، ومد ساقه كما تعودت أن تفعل وراد في الحنين إليك ، وأغمضت عيني ، ونمت لو أنفجعهما لأجد معجزة قد حدثت ، وأجدهم مكانه .

وتحققت المعجزة .

وبدل أن أراك .. سمعت صوتك .

وعشتي واهمة أول الأمر .. حتى أبهرتك بالباب .

حس .

أطلبك تعرف تفاصيل إيهبات القاتلة التي مرت في بعد ذلك نلت أدري ماذا أقول في وضعها . أكثر من أني نمت أن أدفع عبرى ثما لاجتائها .

ولكن عبرى كان أرخص عند القدر من سحب هذه اللحظات .. فكان علي أن أحملها .

وأحتمل بعدها .. ظفرك الياسة اللامعة .. الحزينة

وأحتمل .. أسوأ هراق .. وأنا أحاول الأرواء عن طريقك

أنت .. يا أعر الناس .

وكان آخر ما سمعت منك ، هو رجاء بأن أتزوج ، شكرى ، حتى أصبح لحيا عاتقة أكرم .

أجل حاولت من بعد أن أسمع بصيحتك ، وأبى رجاءك الأخير ، وأن أتزوج من . لكني أصعب لحيا عاتقة الكريمة التي ترصاها ولكني أضعفت

أتراني في حاجة إلى الاعتذار عن هذا الإغماق ؟

أتراني في حاجة إلى تبريره ؟

لا أظن .

من أعجب طي أسلك في قرارة نفسك توقى بأن مثل هذا الرواج أمر محال .. محال أن أشد معنى إلى مخلوق ، كشكرى ، في حياة واحدة إلى الأبد لا أريد أن أجرحه . فقد كان دائما ، مخلوقا طيبا ، وكان دائما عطوفا نحوى .

ولكن ذلك لم يكن أبدا ، ليهرب احتيالى له مدى الحياة . وحتى ولو من أجل عاتقتك الكريمة التي أردتها لحيا . تركته . لأنني أيقنت من استحالة ارتباطي به كزوج . فقد كما تختلف في كل شيء ، وكان من البت أن أوههم معنى بحياة راسية قريرة . معه . أو مع غيره ، بعد أن عرف القلب حيث ووضع لم أحب مقياسا . بظلم كل من ألقى بمدك ، إذا ما حاولت المقارنة .

تركته .. لا من أجل أن أعود ذلك . فقد أحرقت اللقاء الأخير كل مراكني وأصحت العودة إليك مستحيلة .

ولم أعد أطمع منك في لقاء .

ولما عدت أطمع في صفح ومطريرة .

عدت أطمع في أن تصمى ، وأن تحبى كما أحببتى دائما .

عدت أطمع في الذكرى الجميلة ، التي تميتك أن تكون دائما ، عاتقة حينا هل تذكر جلستك وراء الباعدة وأوراق الشجرة ومبالا النهر وأصواء

الجليل ؟

هل تذكر ما قلنا وقد أحسست ذات مرة أن هذه المزيات الجميلة .

متصبح ذكرى يوما ما ؟

كم يعذبني .. أن أشوّه لك هذه الذكريات ؟ كم يقص مصحفي ويمص عيشي أن أحذف قد بت مخلوقة بعصية كريمة عندما أطوف بدهشت .

وهمت ذات مرة أن أحدثك ، وأن ألقاك . لأشرح لك حقيقتي لأصف نفسي معك ، ولأؤكد لك ، ألى حيثك دائما ، وأن حبي لك لن يهتر أبدا .

هملت بأن ألقاك ، ولكني لم أجسر .. عشتيت على وعشتيت .. عشتيت على من ظلمك ، وعشتيت عليك من حبي .

وأصعروا .. عزمت على الرحيل . وإذا كنت قد وجدت لقاء بك مستحيلا . فقد وجدت قرى منك أشد استحالة

وسعت العرصة في دعوة وجهها إلى حالي ، من المنهر بعد أن ذهبت أسمى إليه لتقيم عده .

ووجدت في المنهر حير ممر . من العذاب الذي أعيش فيه . وتميت أن أودعك .. ودعا غير هذا الوداع القاسي الذي تركتني به ولم أعرف كيف .

حتى طلبتك في اهاتف ، ورعيت الساعة ، وصمت صوتك . ثم وضعتنا .

وبكيت .

هذا كل ما استطعت أن أودعك به ، وداع من جانب واحد ، وبكته خير من لا شيء .

ودخلت .

حلتني الباعرة .. إلى حيث أسترع من غناء اللهفة عليك ، والشوق إلى نفاثك .

وأخذ الشاطئ ينأى ، ودور بيروت تتضاءل ، وأنا أتسلل من ديارك ..
بلا أمل في عودة ، وصورتك تملأ عيني .. بنظرتك اللامعة العاتية .
ودموعي تنساب ، وبذلك يندبل الدموع الذي تعودت أن تجفف به دمي قد نأى عني وكف عن عيني .

وتلاشت أشباح المدينة ، وسقط الظلام .

وتهدد كل شيء من حولي .. حتى طيفك .

وعدت إلي حجري .. لأكتب إليك .

وأستجدي صفحك ، وغفرانك .

ومسة من يدك .. تجفف الدمع .. الذي لا يجف .

وأخيرا يا حبيبي .

بعد كل ما كتبت .

لا أدري إذا كنت قد أفلحت في أن أفسر لك شيئا لم تعرفه .

هل أفلحت .. في أن أنصف نفسي ، وأن أستعيد موقفي عندك ؟

أفلحت .. أم لم أفلح .

أنا أحبك .

أحبك كما أحببتك دائما .

ومهما بقي في نفسك مني ومهما كانت ذكرىي .. فلا أظنني أجد في نفسي

أسمى منك موحنا .. ولا أعطي ذكرى ، ولا أروع أثرا ، ولا أجمل صورة .

كل يوم يمر لي يؤكد أني ما أحببت في حياتي سواك .

فاغفر لي ، ورد إلي .. في غربي .. بعض حبك .. لعله يؤنس وحشتي

ويجفف في عيني الدمع الذي لا يجف .

« هدى »

الخاتمة

وضع « سامي » الأوراق على مكتبه .. وأزاح مقعده إلى الوراء ومد ساقيه وألقى برأسه إلى الوراء .. وبدأ عليه كأنه قد فرغ من شوط طويل مجهود ، وأخذ يتملق في قطرات الغاز المتساقطة في بطنه ورتابة في المندفأة المعدنية اللامعة التي شعت منها حرارة ملأت الحجرة دفقا .

وشرد ذهن « سامي » منتظلا إلى النائية وراء البحار .

وأحس بالهتين يملأ نفسه .

حين هادئ ، مريح .. مس قلبه فأطفأ حرقته ، وسكن لوعته .. وخلف وجهته .

لأول مرة .. أحس بأن العويل في بطنه قد صمت .. والإعصار في جوفه قد سكن ، وأن الحمل الذي أنفل كاهله .. قد ألقى من عليه ، وأنه يستطيع أن يتحرك بين الناس .. ويتحدث إليهم .. كغيره من الأحياء .

كان يعرف أن كل شيء قد انتهى .. ولم تشعل الرسالة في نفسه بارقة أمل .. في عودة أو لقاء .. ولكنها مع ذلك دفعت في نفسه شعورا عجبها بالراحة والطمأنينة .. وإحساسا بأن الشيء الذي فقدته .. لم يضع ، وأنه ما زال موجودا .. رغم بعد الشقة .. ونأي المزار .

وكان أشبه برجل فقد ابنه في حرب .. ثم علم بوجوده أسيرا .. وشتان بين البعد والفقد ، والفرقة والضياع .

إحساس بالسكينة قد ملأه ، وهو يجد « حبه العزيز » لم يبحث به غير ولم تنس حياته .. ويجد أمامه الحلوة .. لم تتلفها غليظة ولم يفسد جمالها ..

وشعور بالاستقرار قد أراحه بعد طول ضياع وهو يحس أن أعز الناس عنده لم يخذله .. ولم يجيب فيه أملة .. وأنه لم يكف عن حبه لحظة .

ولم تعد تزججه فرقة .. أو يوجعه بعد .. وأحس كأن أفق حياته قد أشرق من جديد ، وبأنه يستطيع أن يسير في طريقه في هدوء وقوة وثقة تنظره أجل ذكريات عصره .

ومرت به الأيام وهو ينطلق في كفاحه .. بلا حل من هموم ينقض ظهره ، وبلا حرقه من بأس تكوى بطنه .

وأخذت الانتصارات في سبيل الوحدة تتوالى .. تبادل مجلس النواب السوري مع مجلس الأمة المصري الأعلام رمزا للكفاح المشترك .

وخطب رئيس مجلس الأمة المصري ، بمناسبة إهداء العلم السوري ، فأبد القرار الذي أصدره مجلس النواب السوري كخطوة في طريق الحرية والوحدة .. ودعوة للحكومتين المصرية والسورية لتحقيق الاتحاد .

ثم أذيع في دمشق أن وفدا اقتصاديا سيسافر إلى القاهرة لبحث مشروع الوحدة الاقتصادية الذي أعدته الحكومة السورية مع المسؤولين في مصر ليكون خطوة تمهيدية للوحدة الكاملة .

وقبل أن يسافر الوفد أذاع بعض المسؤولين أنه لا يمكن التعميل بالوحدة الاقتصادية حتى لا تصاب بتسكس .

وأثار التصريح « سامي » وأتصاره وازدادت حماسهم للتعجيل بإعلان الوحدة وتحقيقها .. وإزالة كل العراقيل التي تنبثها المباحثات والمناقشات .

وأصر أنصار الوحدة .. على تحقيقها فورا .. وأهدم الشعب كله بشعور جارف نحو أمل طالما سعى إليه وآمن به .

ودرس مجلس الوزراء مشروع الوحدة وأصدر قرارا بانتداب وزير الخارجية للسفر إلى القاهرة لمباحثة المسؤولين .

ووصل الوزير إلى القاهرة واستقبله الرئيس « جمال » وتسلم قرار المجلس .

بطلب الوحدة .. واتفق على أن تكون قاعدة الوحدة دولة واحدة ، ورئيسا واحدا ، ونشربا واحدا ، وتشبلا سياسيا واحدا ، وسياسة اقتصادية واحدة ، وتعلما واحدا .

وأقر مجلس الوزراء القاعدة وانتقل إلى القاهرة لإنجاز مشروعها .

وذهب « سامي » إلى القاهرة مع هيئة الحكومة السورية ليشهد حلته الأكبر بتحقيق .. واستقبلهم الرئيس « جمال » مع وزرائه في مطار القاهرة .

وعقد رجال الحكومتين في أول فبراير اجتماعا مشتركا انتهى بتوقيع رجال الدولتين على وثيقة الوحدة أكدوا فيها أن الوحدة التي هي ثمرة القومية العربية هي طريق العرب إلى الحرية والسيادة وسبيل للتعاون والسلام ، وأن واجبه أن يتراجعوا للوحدة من نطاق الأماني إلى حيز التنفيذ في عزم ثابت وإصرار قوي ، وأن يفتخروا بابها لكل بلد عرف يريده أن يدفع عن العرب الأذى والسوء ، ويعزز سيادة العروبة ويحفظ كيائها .

وفي المساء خرج الرئيسان السوري والمصري متعاطلين لبعنا للعالم كله مولد الجمهورية العربية المتحدة .

ومرت بضعة أيام وعاد « سامي » إلى دمشق .. تملؤه ثقة النصر .. وهو يحس أن الوحدة قد قلت أظفار الخصوم .. وأدخلتهم الجحور .

وجلس إلى مكتبه بقلب بعض الأوراق ، ودخلت عليه « فائزة » فأدارت مفتاح الراديو وغالت باسمه :

— عطية الرئيس « جمال » في مجلس الأمة .

وأخذ « سامي » ينصت إلى الصوت الغادئ العميق يمدد معالم المستقبل المشرق المجد قائلا :

« في حياة الشعوب أجيال يروا عدها القدر ، ويختصها دون غيرها بأن تشهد نقطة التحول الحاسمة في التاريخ .

« إنه يتبع لها أن تشهد المراحل الفاصلة في الحياة الخالدة . تلك المراحل نشبه

مهرجان الشروق ، حيث يحدث الانتقال العظيم ساعة الفجر من ظلام الليل إلى ضوء النهار .

« إن هذه الأجيال الموعودة تعيش لحظات رائعة .

« إنها تشهد لحظات انتصار عظيم لم تصنعه وحدها ، ولم تحصل تضحياته بمفردها ، وإنما هي تشهد النتيجة المجيدة لتفاعل عوامل أخرى كثيرة وأصلت حركتها في ظلام الليل ووحشته ، وعملت وسهرت ، وظلت تدفع التوافيق بعد التوافيق إلى الانتقال العظيم ساعة الفجر .

« لقد عدنا ساعة الفجر وربأنا انتصار النور الطالع على ظلمات الليل الطويل » .

وفي نفس الوقت كانت يد أخرى تمتد لفتح الراديو تديره محاولة أن تضبط المؤشر .

في مكان ناء بالمهجر .. جلست « هدى » تستجدي الجهاز صوتا عربيا . وبين المشرجات ، والذبذبات ، والأصوات المختلطة المتشابهة .. استطاعت « هدى » أن تلتقط صوتا عربيا واضحا ، أولقت عليه المؤشر ، وأخذت تنصت إليه في لفظة وهو يقول :

« لقد أكد شعب سورية بشجائب الأيام .. تجربة بعد تجربة أنه طليعة القومية العربية ، وأنه رأس حرية في الدفاعها وأنه الحارس الأمين لثرائها المجيد .

« أيها المواطنين : لقد بزغ أفق جديد على أمل هذا الشرق .

« إن دولة جديدة تنبثق في قلبه .

« لقد قامت دولة كبرى في هذا الشرق ، ليست دخيلة فيه ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعبدية .

« دولة تحمي ولا تهدد ، تصون ولا تبعد ، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تشد أزر الصديق ، ترد كيد العدو ، لا تحيز ولا تعصب .. لا تتحرف ولا تنحاز .. تؤكد العدل .. تدعم السلام ، توفر الرخاء لها وللمن

حولها .. للبشر جميعا بقدر ما تحمل وتطبق .

« أيها المواطنون أعضاء مجلس الشعب ، وفقكم الله ، وبارك لكم وحدتكم ، وحي جمهوريتكم العربية المتحدة » .

وصمت الصوت .

وأحست « هدى » بذنها يحملها بعيدا .. بعيدا .. إلى مكان حبيب إلى قلبها .. استقر به من لا تعرف له صفة إلا « أعر الناس » .

وذكرت أمانيه وأحلامه .. وكفاحه من أجل هذا الشيء الذي تسمعه بتحقيق الآن .

وأحست برجفة تسري في كيانها .

أترأها قد أسهمت بمساعدتها من أجل تحقيق ذلك الشيء الذي آمن به وكفح من أجله ؟

أترى حقا .. لم تذهب تضحياتها سدى ؟

أترأه سيذكر لها ذلك .. ويغفر لها .. ويصفح عنها ؟

لماذا لم يكتب لها إذن ؟

أترأه استكثر عليها في وحدتها وغربتها كلمة غفران ؟

لو عرف ماذا يمكن أن تفعل بها كتابته .. لما تردد في الرد .

عجيب هذا الإنسان !

ترجمه مجرد كلمة تأتي إليه عبر مئات الأميال .. يتلهف عليها لثرباً صدعه ، وتلم جرحه .

وأحست بشيء ساخن يسيل على خدها .

ما آخرة كل هذه الدموع ؟

لماذا تأتي أن تحب ؟

لماذا تدنو .. مرة ذكرى .. ولمسة حنين ؟

ليه يكتب إليها .. عله يكفكف عيونها ويخفف دمعها .

وفي نفس اللحظة نادى « سامي » « فائزة » لتعلمي الراديو .

وشرد به الذهن برهة .. عقب الانتهاء من صياح الخطبة .

ووقفت فائزة تنتظر أوامره .

ورفع إليها بصره قائلاً وكأنه قد نوى أمراً :

— أعطيني ورقة وقلما .

— هل مكتبك الافتتاحية ؟

— سأكتب رسالة .

وعادت « فائزة » تحمل الورق والقلم .

وأمسك « سامي » بالقلم وبلا تفكير بخط أول كلمة .

« يا أعز الناس ..

« أكتب إليك ومندبل الدعوى في يدي .. أكتفك ما بقي من دمعي ..

ومن دمعتك » .

واستمر « سامي » في الكتابة .

وفي الخارج جلست فائزة وقد أسندت رأسها إلى كتفها .

هذا الإنسان العجيب !

لماذا لا يريد أن ينسى ؟

وهزت رأسها ثم تنهدت في شيء من الارتياح .

لماذا تحاول هي أن تتصل ؟

لقد فعل الزمن شيئاً كثيراً .

وسيفعل الزمن أكثر .. وأكثر .

لماذا لا تصبر ؟

الصبر والزمن يفعلان المعجزات .

وملأها إحساس بالثقة .

وعادت تنهد في ارتياح .. وعلت بسملة الأمل شفتيها .

(تحت)

فهرست الجزء الثاني

صفحة	صفحة	٢٨ — في الطريق الأبيض
٤٦٤	٤٢ — وجهها لوجه	٣١٥
٤٧٢	٤٣ — ليتني أستطيع	٣٢٥
٤٨٣	٤٤ — شكوكك حقا	٣٣٧
٤٩٢	٤٥ — لحظة على لقاء	٣٤٨
٥٠١	٤٦ — طريق الصواب	٣٥٧
٥١٠	٤٧ — مزيج من الرأس	٣٦٥
٥١٦	٤٨ — عبء على كتفيه	٣٧٧
٥٢٥	٤٩ — فرار	٣٩١
٥٣٣	٥٠ — مقاومة وحزن	٤٠٣
٥٤٣	٥١ — لقاء .. وفرقة	٤١٨
٥٥٦	٥٢ — عودة إلى الحديان	٤٢٣
٥٦٨	٥٣ — محاولة لتضحية	٤٣٥
٥٧٩	٥٤ — الفرار !!	٤٤٣
٥٨٣	٥٥ — الخالة	٤٥١
		٢٩ — أجل ما سمعت
		٣٠ — معركة حب
		٣١ — استدعاء
		٣٢ — نهد
		٣٣ — حرية الأحياء
		٣٤ — اندحار
		٣٥ — أكثر على ؟
		٣٦ — الناس طيون
		٣٧ — إلا ساعة لإموضعنا
		٣٨ — محاولة لتأثر
		٣٩ — مطاردة
		٤٠ — ليلة حافلة
		٤١ — محاولة إنقاذ